آخر لقاء

مع هؤلاء

جمع وإعداد

محمد خير رمضان يوسف

مصطفى صادق الرافعي

محب الدين الخطيب

سعيد حوَّى

سعد ظلام

جمال منصور

حسين عرب

محمد حسن بريغش

إسماعيل أبو شنب

محمد مأمون الهضيبي

عبدالقادر الأرناؤوط

حسين مجيب المصري

أحمد ديدات

مصطفى العقاد

عبدالله المطوع

صفي الرحمن المباركفوري

محمد عمرو عبداللطيف

عبدالحميد طهماز

عبدالصبور شاهين

علي جريشة

عبدالحليم عويس

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة

هـذه جولـة أخـرى مـع أدباء وعلمـاء ومفكـرين ومشـهورين في كتـاب، سـبقه آخـر في مثـل عـددهم بعنوان «**آخر لقاء مع ٢٠ عالمًا ومفكرًا إسلاميًا**»، ورجوت أن يحقِّق هدفه، من اطِّلاع القارئ على مدارس في الفكر والاجتهاد، وكلها تنبع من معين الإسلام، فلا يحقد على أحد مادام من أهل السنة والجماعة، فلم يخالف نصًّا قطعيًّا، ولا اجتهادًا مجمعًا عليه، وليعذره، وليأخذ برأي غيره إن لم يعجبه.. المهم أن يتعاون المسلم مع أخيه المسلم على البرِّ والخير، ويتقبلَ اجتهاد الآخرين برحابة صدر، ولا يثير خلافات لم يتفق عليها منذ قرون، لئلا يشقَّ الصفوف، ويوهن القُوى.

وليست الدعوة هنا إلى تقبل كل الآراء المطروحة، ولكن الهدف الاطلاع والتفاعل، لئلا يرى المسلم نفسه غريبًا إذا نزل في مجتمع إسلامي من غير بلده، وبين علماء لم يأخذ منهم أو لم يتعرَّف عليهم.

ولذلك لم أعلق على كلام أحد من هؤلاء الأعلام، ولم أجتهد على اجتهادهم.

وتتنوع هذه اللقاءات بين أدباء سخَّروا أقلامهم لنثرٍ بليغ يشعُّ منه نور الإسلام.

وكتَّابٍ لا يملُّون من التبحُّر في أعماق الإسلام وأسراره وحِكمه، والكتابة عنه بأفانين.

ودعاةٍ على أبواب الإيمان، يزدادون إيمانًا وحماسًا يومًا بعد يوم، فتتنوَّرُ قلوبهم قبل أن تُقذَف كلماتٌ من أفواههم كالدرر، مؤثِّرة بليغة، ويرجون أن تبلغ دعوتهم آفاق البلاد وأنحاء القلوب.

وسياسيين دخلوا معترك الحياة لحاجة الأمة والدعوة والوطن، فيخطِّطون بعد خبرة ودراسة، ويحذِّرون من خطط الأعداء والأذناب، ويعلنون كلمة الحق ولو غضب المتجبِّرون، ويعلِّمون أمة الإسلام بالحسنى ولين القول، لئلا يكونوا إمَّعة، إن أحسن الناس أحسنوا، وإن أساؤوا أساؤوا.

ومحدِّثين يقفون وراء أقلام عملاقة، نهلت من معين السنة النبوية الكريمة، فيحقِّقون ويدقِّقون، ويقارنون ويصححون، وينفون ما علق بها من أثر وضعٍ أو ضعف، ويبرزون ما حسن منه وصحّ.

ومناظرٍ لا مثيل له في العصر، سقط بعد أن تحدَّى أكبر المنصِّرين، وناظر القسس والكهّان، وغلبهم جميعًا، وأبقى دويًا في علياء الأمم، رافعًا به صورَ الحق والتوحيد، لا يمحوه كيدُ عدوٍّ كرَّ أو فرّ.

وأمثالهم من مؤرِّخين أكفاء، وباحثين، ومصلحين، وأهل خير وإحسان، رحمهم الله أجمعين.

وقد رتبتهم حسب تأريخ الوفاة، وأولهم وفاة عام ١٣٥٦هـ، وآخرهم في العام الذي أقدِّم فيه الكتاب للطبع: ١٤٣٣هـ.

وقد وثقتُ هذه اللقاءات جميعًا من مصادرها بأمانة، وذكرت أسماء المحاورين.. وكلها من المجلات والجرائد والشبكة العالمية للمعلومات.

وترجمتُ لهم من «تتمة الأعلام»، إلا من كانت وفاته قبل عام ١٣٩٦هـ، فمن «الأعلام» وغيره.

ولم أحذف شيئًا من الحوار، ولا عدَّلتُ في لغته، إلا ما كان خطأ إملائيًا أو نحويًا، فإن لزم وضعت كلمات بين معقوفتين ليُعلم أنها من كتابتي.

وبعض هذه الأجوبة آنية تتعلق بحوادث معينة، لكنها تبقى تاريخًا بإفادة شاهد عليها أو خبيرٍ بها.

ولاشك أن الذي يقرأ لهؤلاء الأعلام كلماتهم، سيخرج بفائدة وخبرة، ويضيفها إلى ثقافته الإسلامية.. ويدعو لهم جميعًا بالخير إن شاء الله.

والله الهادي.

محمد خير يوسف

١٤٣٣/٣/٢هـ

مصطفى صادق الرافعي

(الأديب الإسلامي النابغة)

الترجمة:

من مصر، من أصل طرابلسي، تخرَّج في علوم اللسان والشريعة على أبيه، حتى حذق العربية وفقه الدين وثقف الأدب، ولما بلغ ربيع العمر أصيب بصمم شديد، فكان يُكتب له ما يُراد مخاطبته به.

وذكر الزيات من مآثره في مجلة (الرسالة) أن آباءه «شيوخ الحنفية في مصر، تولوا قضاءها وإفتاءها وإقراءها حقبة طويلة من الدهر، فدرج هذا الناشئ الصالح في حجور أربعين قاضيًا من قضاة الشريعة كانوا من أهل بيته».

وقد قال فيه الشيخ محمد عبده: «أسأل الله أن يجعل للحقِّ من لسانك سيفًا يمحق به الباطل، وأن يقيمك في الأواخر مقام حسّان في الأوائل».

وقال شكيب أرسلان في كتابه «تاريخ آداب العرب» الذي طبع في ثلاثة أجزاء: «لو كان

هذا الكتاب في بيتٍ حرامٌ إخراجه للناس منه، لكان جديرًا بأن يحجَّ إليه، ولو عُكِفَ على غير كتاب الله في نواشئ الأسماء لكان جديرًا بأن يُعكفَ عليه».

وقال الزيات أيضًا: «الرافعيُّ أمة وحده، لها وجودها المستقل، وعالمها المنفرد، ومزاجها الخاص، وأكثر الذين كرهوه هم الذين جهلوه: كرهه الأدباء لأنه أصحرَ لهم بالخصومة فانفرجت الحال بينهم وبينه، وكرهه المتأدبون لأنه رفع مقياس الأدب فوسمهم بالعجز عنه، وأنكره العامة لأن الأمر بينهم وبينه كالأمر بين العمى والنور».

ومن رثاء الأستاذ محمود شاكر له: «لم أفقدك أيها الحبيب، ولكني فقدت قلبي»، «حضر أجلك فحضرتني همومي وآلامي».

وله مؤلفات أدبية عديدة وإن أدبه – كما يقول الزركلي – من الطراز الأول. ومن مؤلفاته: تاريخ آداب العرب، تحت راية القرآن، من إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، وحي القلم.. توفي رحمه الله سنة ١٣٥٦هـ، ١٩٣٧م.

هذا اللقاء:

أُجريَ معه هذا اللقاء قبل شهرين من وفاته، وهو سؤال توجه به إليه محرر «الدنيا» عمّا بعد الموت، وماذا يريد أن يُقال عنه، فكتب إليه هذا المقال، الذي نشر في العدد (٢٠٣) من مجلة (الرسالة)، وفيه ملف عنه بعد وفاته، ١٤ ربيع الأول عام ١٣٥٦هـ، ص٨٦٢.

نص الحوار

بعد الموت ماذا أريد أن يقال عني

بقلم المرحوم الأستاذ مصطفى صادق الرافعي

سأله محرر الدنيا منذ شهرين هذا السؤال، فكتب إليه هذا المقال:

ما هي الكلمات التي تقال عن الحي بعد موته إلا ترجمة أعماله في كلمات؟ فمن عرف حقيقة الحياة عرف أنه فيها ليهيئ لنفسه ما يحسن أن يأخذه، ويعد للناس ما يحسن أن يتركه، فإن الأعمال أشياء حقيقية لها صورها الموجودة وإن كانت لا تُرى.

وبعد الموت يقول الناس أقوال ضمائرهم لا أقوال ألسنتهم، إذ تنقطع مادة العداوة بذهاب من كان عدوًا، وتخلص معاني الصداقة بفقد الصديق، ويرتفع الحسد بموت المحسود، وتبطل المجاملة باختفاء من يجاملونه، وتبقى الأعمال تنبه إلى قيمة عاملها، ويفرغ المكان فيدل على قدر من كان فيه، وينتزع من الزمن ليل الميت ونهاره فيذهب اسمه عن شخصه ويبقى على أعماله.

ومن هنا كان الموت أصدق وأتم ما يعرف الناس بالناس، وكانت الكلمة بعده عن الميت خالصة مصفاة لا يشوبها كذب الدنيا على إنسانها، ولا كذب الانسان على دنياه، وهي الكلمة التي لا تقال إلا في النهاية، ومن أجل ذلك تجيء وفيها نهاية ما تضمر النفس للنفس.

وماذا يقولون اليوم عن هذا الضعيف؟ وماذا تكتب الصحف؟

هذه كلمات من أقوالهم: حجة العرب، مؤيد الدين، حارس لغة القرآن، صدر البيان العربي، الأديب الإمام، معجزة الأدب، إلى آخر ما يطّرد في هذا النسق، وينطوي في هذه الجملة. فسيقال هذا كله، ولكن باللهفة لا بالإعجاب، وللتاريخ لا للتقريظ، ولمنفعة الأدب لا لمنفعة الأديب. ثم لا يكون كلامًا كالذي يقال على الأرض يتغير ويتبدل، بل كلامًا ختم عليه بالخاتم الأبدي، وكأنما مات قائلوه كما مات الذي قيل فيه.

أما أنا، فماذا ترى روحي وهي في الغمام وقد أصبح الشيء عندها لا يسمى شيئًا؟ إنها سترى هذه الأقوال كلها فارغة من المعنى اللغوي الذي تدل عليه لا تفهم منها شيئًا إلا معنى واحدًا هو حركة نفس القائل، وخفقة ضميره. فشعور القلب التأثر هو وحده اللغة المفهومة بين الحي والميت.

سترى روحي أن هؤلاء الناس جميعًا كالأشجار المنبعثة من التراب عالية فوقه وثابتة فيه، وستبحث منهم لا عن الجذوع والأغصان والأوراق والظاهر والباطن، بل عن شيء واحد،

هو هذه الثمرة السماوية المسماة القلب. وكل كلمة دعاء وكلمة ترحم وكلمة خير. ذلك هو ما تذوقه الروح من حلاوة هذه الثمرة.

من كلام الرافعي:

قيل له رحمه الله: هل تكره الموت؟ فقال لا بل أكره ذنوبي، أما الموت فهو اكتشاف العالم الأكبر، نسأل الله حسن الخاتمة. وقيل له ما هي وصيتك إذا حضرتك الوفاة؟ فقال: هي تكرار المبدأ الذي وضعته لأولادي: النجاح لا ينفعنا، بل ينفعنا الامتياز في النجاح.

محب الدين الخطيب

(الكاتب الإسلامي الكبير)

الترجمة:

كاتب إسلامي كبير، عاش حياة مليئة بالأحداث، وقد كان في عصر تترنح فيه الخلافة الإسلامية لتسقط. ولد في دمشق، وتعلم بها وبإستانبول، وعمل في مدارس صنعاء، واعتقل في البصرة، وقصد مكة عندما قامت الثورة العربية الكبرى، واستقرَّ بالقاهرة ليعمل محررًا بالأهرام، وكان من مؤسسي «جمعية الشبان المسلمين»، وتولى تحرير مجلة (الأزهر) ستَّ سنوات، وأنشأ "المطبعة السلفية ومكتبتها" ونشر فيها كتبًا إسلامية وتراثية عديدة. وكان صاحب مكتبة شخصية عامرة، وله مؤلفات. توفي سنة ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.

هذا اللقاء:

لا أعرف أن هذا الحوار الذي أجريَ معه هو آخر اللقاءات الصحفية معه، ولم أورده لأجل ذلك، بل لمكانة هذا الرجل العلمية وتاريخه الطويل في النشر وصحبته مع الكتب، وقد يكون آخر لقاء به حقًا، ولكن لا أعرف ذلك، وعندما عثرتُ عليه من بين مطالعاتي أردت أن أتحف القارئ به، وأجدِّد العهد بنشاطه العلمي على الساحة الفكرية.

وقد أعدَّ هذا الحوار الاستاذ محمد إبراهيم السويلم، ونشر في مجلة (المنهل) الصادرة من جدة، في المجلد (٢٤) العدد (١٢) ذو الحجة ١٣٨٣هـ، ص ٧٥٤- ٧٦٢. يعني قبل ستة أعوام من وفاته.

نص الحوار

واقع العالم الإسلامي اليوم

س: ما رأيكم في واقع «العالم الإسلامي» اليوم؟ وما هي الطريقة التي يستطيع بموجبها أن ينهض نهضة مستمدة من روح الاسلام؟

ج – الإسلام الذي يشترك المسلمون في الانتماء إليه، ويتكون منهم باسمه واقع «العالم الاسلامي»، يمتاز بأنه جامع لشعب الحق والخير، التي قام حامل أكمل رسالات الله بتوجيه أمته إليها، والأخذ بايدي أصحابه نحوها خطوة خطوة، قبل الهجرة وبعدها، في ثلاث وعشرين سنة، فكان رأسها الأعلى وسنامها الأعظم صحةَ الإيمان بالله سبحانه وتعالى، واخلاص الطاعة والعبادة له، والتعامل بالأخلاق القويمة، حتى كانوا بها أمة صدق ووفاء وأمانة وتعاون على الحق المحض المشترك، وتوثيق الكيان الإسلامي بأسباب القوة من جميع أنواعها، ما كان منها وما سيكون.

وواقع العالم الإسلامي الذي كنت من شهوده في هذا القرن الرابع عشر الهجري، أي منذ استعجمت دولة الإسلام، مرتكسًا في سلسلة طويلة من أمراض الضعف، من جميع النواحي التي أراد لها الإسلام تمام الصحة وجماع القوة: فالإيمان بأصول الدين أراد له الدجالون والمرتزقة من الطرقيين والقبوريين، أن يكون شيئًا آخر غير الذي أراده هادينا الأعظم لأمته، والجيل المثالي الذي رباه محمد صلوات الله وسلامه عليه حتى كان أكمل جيل عرفته الإنسانية، تعمد أعداء الإسلام من المنتسبين إليه أن يشوهوا حسناته العظمى ويدسوا فيها ما يشعر بأنها كانت سيئات ولم تكن حسنات، فحرموا الأجيال المتعاقبة من شعوب الإسلام نعمة الاقتداء بأئمة الهدى والسير وراء القافلة الأولى، ففسد على المسلمين وعلى الإنسانية أكمل تاريخ

يستضاء بمصابيحه.. وحتى العبادات تحولت – إلى عادات: فصارت الصلاة منها قلما تنهى عن الفحشاء والمنكر، بل كثيرًا ما يقف المصلي في محرابه أو بين صفوف المصلين وهو مشغول الفكر في نصب مكيدة لأخيه المسلم بغير حق ولا هدى ولا كتاب مبين. والصيام قلما خلص من قول الزور أو العمل به، وقلما ربَّى في الصائم فضيلة الصبر والإمساك عن الأذى والمطامع والبغي، والحجُّ صار من أندر النوادر أن يجدد لصاحبه حياة بعده نظيفة من كل ما كان ملوثًا به قبل الحج من المآثم والأساليب الملتوية، والتواسي بين الطبقات بالزكاة والصدقات إما معدوم بالمرة، أو موضوع في غير مواضعه..

وعلة ذلك أن المسلمين فرقوا بين الإيمان والأخلاق، حتى كأن الأخلاق في نظرهم ليست من شعب الإيمان، مع أنها من صميم رسالة الإسلام، بل هي روح الإسلام، وبها كان المسلمون الأولون أمة صدق وإنصاف وتعاون ومواساة.. إنهم بفصلهم بين الإيمان والأخلاق تحولوا من «جماعة متعاونة على الخير متكاملة» إلى «أفراد متنافسين على الدنيا» وانصرفوا عن القوة الجماعية إلى الأنانية الفردية، فكان بأسهم بينهم أفرادًا وشعوبًا.

لا طريق إلى نهوض المسلمين نهضة صحيحة مستمدة من روح الإسلام إلا طريق الرجوع إلى الأخلاق الفردية، والأخلاق الإجتماعية، وأن يربي كل منا أولاده على الصدق وسجية التعاون، وأن يؤمن كل مسلم بأن ثروة كل مسلم ثروة له، وأن قوة الأمة الإسلامية بمجموعها قوة له، وأن مجموعة العالم الإسلامي أسرة كبرى لكل مسلم: يسوؤه ما يسوؤها، ويسعده ما يسعدها، وأن ما يملكه المسلم من مال يباح له منه – بينه وبين نفسه – ما يكفيه وذويه بالمعروف، وما زاد على ذلك فهو أمين لله عليه، ينميه ويزيده بالأساليب التي يرضاها الله ويثيبه عليها في الدنيا والآخرة.

إن هذه المعاني كلها داخلة في باب شعب الإيمان الإسلامي، وقد انحط المسلمون وهزلوا منذ فصلوا هذه المعاني عن المعنى العام لشعب الإيمان الإسلامي، ومنذ ظنوا – وفي الظن الإثم والخزي – أن عبادة الله شيء محرر عن معاني الفضائل الإنسانية الفردية والجماعية، فتحولوا من أمة نافعة قيمة غنية عزيزة متضامنة متعاونة، تتخذ من الصلاة طريقًا إلى الفلاح، إلى أفراد من قطيع متقاطع ينهش بعضه بعضًا، كالذئاب التي لا تؤمن بمعاني الإنسانية، ولا تعنى بفضائلها، مع أن الإسلام أكمل أشكال النظم الإنسانية، وأجمع الهدايات لفضائلها.

علة المسلمين أنهم لا يعرفون ما هم، ومن هم، وأين هم من غيرهم، وقد كان أشمل نداء نودي به المسلمون في صدر تاريخهم هو النداء العلوي الذي قيل لهم فيه:

«**أيها المسلمون، إن لكم معالم، فانتهوا إلى معالمكم**»[1].

والمسلم – ولا سيما في هذا الزمان – معرَّض للانغماس في مختلف لجج البر والبحر والجو، وفي مختلف تيارات الرأي والفكر والهوى، وفي مختلف دعاوى المذاهب والعقائد والنزعات، فإذا لم يعرف المسلم معالمه التي ينبغي له أن يرجع إليها بصفته مسلمًا – وهي شعب إيمانه – كما ينبغي له أن يفهمها فهمًا عصريًا سليمًا، تقاذفته حينئذ لجج البر والبحر والجو، وتلاطم تيارات الرأي والفكر والهوى، وصار عرضة لسخرية المذاهب والعقائد والنزعات، وكان مصيره إلى أن لا يعرف ما هو، ومن هو، وأين هو.. وكان مثله كمثل السفينة الضاربة في لجّي على غير هدى ومن غير اتجاه سديد..

إن رأس الحكمة في نهضة المسلمين أن يرسم لهم حكماؤهم مخططًا واسعًا تتعين به معالم إسلامهم على ضوء شعب الإيمان الإسلامي، وبهدي من السيرة الصحيحة غير المشوهة لأئمة الإسلام الأولين، من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وهم الذين دخلت بدعوتهم وبالاقتداء بهم شعوب الإنسانية في هدي الإسلام، وتكون بجهادهم وجهودهم هذا العالم الإسلامي، ونهجت لهم قوافله الأولى في نصف القرن الأخير طريق المستقبل إلى الهدف الأعظم.

والتاريخ ينتظر من حكماء المسلمين في هذا العصر، الساعة التي يشرعون فيها برسم هذا المخطط للعالم، قبل أن يجرف التيار أطفالنا اليوم ورجال المستقبل، فيكونوا ضد ما كان ينبغي لهم أن يكونوا عليه.

أحداث العالم الإسلامي اليوم

س: بصفتكم عاصرتم أحداث العالم الإسلامي أكثر من نصف قرن، واشتركتم في أكثرها

(١) هذا يروى حديثًا، كما في تفسير القرطبي ١١٦/١٨ وغيره، ولم أقف على درجته، لكن في موقع (الدرر السنية) ساقه من (الأربعين الودعانية) وذكر أنه لا يصح منها على النسق شيء.

ماديًا ومعنويًا، فما هو أهم حادث وقع لكم وأثر في نفسكم؟

ج – أحداث العالم الإسلامي التي وقعت في نصف القرن الأخير أكثر وأهم من الأحداث التي وقعت في مثل هذه المدة من أنصاف القرون المتعددة قبله:

* لقد تقلص فيه الحكم التركي عن البلاد العربية من لحج إلى شمال الشام.

* لقد زال فيه نظام الانتداب الفرنسي من سورية ونظام الانتداب البريطاني من العراق..

* لقد قامت فيه دولتان إسلاميتان كبيرتان في باكستان واندونيسيا.

* لقد انشمرت فيه إيطاليا من ليبيا وما يليها، بعد أن كان البهلوان «موسوليني» يمثل عليها مسرحية بعث الدولة الرومانية.

* لقد جلت فيه بريطانيا عن قاعدة القناة في السويس، وعن سائر مصر، والسودان، وأممت فيه القناة.

* لقد تحررت فيه المغرب من نظام الحماية الفرنسية بعد أن كان يطمع في إقامة شريعة للبربر غير شريعة الإسلام..

* لقد بدأت فيه الجزائر تتعرب، بعد أن كانت فرنسا تعتبر أرضها أرضًا فرنسية كالأرض الفرنسية في أوروبا.

لقد حدثت في العالم الإسلامي – في نصف القرن الأخير – أحداث كثيرة جدًا، وكنت أنا نملة صغيرة تسعى في كثير من آفاق هذه الأحداث وفي أوكارها، وكل حادث منها كان عند حدوثه عظيم الأثر في نفسي، لكني كنت في كل ذلك – من أوله إلى آخره – أراقب سنة الله في إدالة الدول وتطويرها، فيتبين لي من تسلسل حكمته السامية في ذلك أن لهذه السنَّة الإلهية مظهرين اثنين:

المظهر الأول: أن يعود الحق إلى أهله بقوتهم إذا تأهلوا له، وهذا هو المظهر الأقوى والأبقى، والجدير بالثناء والتقدير.

والمظهر الثاني: أن يعود لأهل الحق حقهم لا بقوتهم، بل بضعف أعدائه وأعدائهم، ثم يكون أهل الحق هؤلاء في امتحان من الله، فإما أن يمضوا في ضعفهم الخلقي والملي والاقتصادي

والحربي، فيسلبهم الله ما أنعم به عليهم عند أولى فرصة تلوح لأعدائهم بزوال ذلك الضعف الطارئ على أولئك الأعداء، وإما أن يستدركوا ما فاتهم في زمن الضعف فيخلعوا عن كيانهم رداء الخمول والانحطاط، والجمود، ويؤهلوا كيانهم للنعمة التي أتاحها الله لهم، فيصيروا أقوياء بإيمانهم وإمكاناتهم، فيحبهم الله كعادته سبحانه في محبة الأقوياء من المؤمنين.

إن هذه الأحداث الكثيرة والعظيمة التي كنت من شهودها في نصف القرن الأخير، كانت نعمة لنا من نعم الله – {وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا} – غير أننا حصلنا عليها قبل أن نستعد لها، بل حصلنا عليها قبل أن تستجيب شعوبنا لدعوة من يدعوهم من خاصتهم للأخذ بأسباب القوة المللية والقومية والخلقية، والأنظمة المالية، والصناعية، والحربية، للتأهل لها. فكان ما حصلنا عليه بضعف أعدائنا في الحربين العالميتين الأخيرتين، لا بقوة سعينا للحصول عليها قبل ذلك، وفيما بين ذلك وبعد ذلك، بل نحن في موقفنا من الدعوة الصادقة المخلصة لهذا الاستعداد مشتتون أوزاعا:

يرى بعضنا أن الاستعداد للقوة إنما يكون بتقليد أعدائنا الذي أضعفتهم قوتهم وأرهقتهم أساليبهم في الاستعداد، حتى لقد قال لنا كبيرهم في كتاب له يعتز به: «إن السبيل إلى ذلك واحدة فذة ليس لها تعدد، وهي أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادًا، أو لنكون لهم شركاء في الحضارة: خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب» هكذا قال بالنص في كتابه: «مستقبل الثقافة في مصر» ص٤١ طبعة دار المعارف بمصر ١٩٤٤م[٢].

وعلى الطرف الآخر المناقض لدعاة التفرنج هؤلاء، نرى في العالم الإسلامي دعاة آخرين يرون التمسك بما كنا عليه في العصور العثمانية من جمود، ويكابرون في الحقائق الكونية المحسوسة على غير ضرورة لذلك من صريح النصوص الشرعية أو الضرورات المتحتمة.

وصنف ثالث يرى الاندفاع في تيار المادة، والانغماس بملاهي الحياة، ولا يقيم وزنًا لقيود الأخلاق، والأخذ بالفضائل.

وإنما تجاذبتنا هذه الأهواء وتخاذلنا عن إقامة كياننا الأصيل على أساس الفضائل الخلقية

(٢) يعني طه حسين.

مدعمة بالعلوم الكونية والصناعات الحديثة وأسباب القوة في أكمل ما وصلت إليه، لأننا لا نزال في غفلة عن معرفة أعدائنا من أوليائنا، وعن التمييز بين ما ينبغي لنا أن نأخذ به.. وما ينبغي لنا أن نجتنبه.. ويوم تعرف أمتنا نفسها، وتحرص على التمسك بأسباب قوتها، والارتفاع بمستواها المادي والخلقي، فإنها ستبادر إلى تصحيح تاريخها الممتاز، ووصل ما انقطع من رسالته التي كانت من معجزات الدهر في صدر الإسلام، فتتعين طريقها إلى الهدف الأقصى في المستقبل مجتمعة كلها على ذلك، ومتعاونة فيه بالحسنى، من أندونيسيا إلى أقصى المغرب، وتستعد له أفرادًا وجماعات بأسباب القومية والخلقية، وبالأنظمة المالية والصناعية والحربية، ويوم يتم هذا الحادث المنتظر إن شاء الله، سأعتبره – وأنا تحت أطباق الثرى – أهم حادث وقع للكيان الذي أنا منه، فأستأنف حياة معنوية مستمدة من حياة أمتي الجديدة، إلى أن نلقى الله جميعًا في سعادة الخلود.

الطرق التعليمية ببلاد العرب والإسلام

س: هل لكم رأي في الطرق التعليمية التي تتخذها وزارات المعارف بالبلاد العربية والعالم الإسلامي لتربية النشء الإسلامي؟

ج – لما كنت أتولى تحرير مجلة «الأزهر» في السنوات الست الأولى لقيام النظام الجمهوري في مصر، سنحت لي فرص متعددة تعرضت فيها لهذا الموضوع العظيم، الذي كان ينبغي لحكماء هذه الأمة في جميع أنحاء العالم الإسلامي أن يدرسوه دراسة واسعة ودقيقة، وأن ينتهوا فيه إلى نتائج قطعية وحاسمة، ولكن الذي يقف في طريقهم الآن عقبتان:

الأولى: أن الأسس التي تقوم عليها أنظمة وزارات المعارف في جميع أوطاننا كانت مرسومة لها من أيام الاحتلالات الأجنبية.

الثانية: أن الأيدي التي تسلمت هذه الأنظمة بعد ذلك هي تعلمت بها، ولا تكاد تعرف غيرها.

وقد حدث بلا ريب كثير من التعديل والإصلاح في السنين الأخيرة، لكنه في الغالب يتناول الأشكال أكثر مما يتناول الحقائق، وهو في العرض لا في الجوهر، ومحاولة تغلغله إلى الحقائق

والجوهر في منتهى الصعوبة، لأن الأسس مرسومة بعناية وإتقان للحالة الحاضرة.

هذا الموضوع لا يستوفي القلم بمقال في مجلة، أو بإجابة في حديث، فأكتفي هنا بعرض بعض الحقائق التي تحتاج إلى شباب يؤمن بها، ويطيل التفكير فيها، ويجعل في أمانيه الكبرى الدعوة ليحققها.

بين التربية والتعليم

فأول ذلك أن التربية شيء والتعليم شيء آخر. والتربية أقسام: منها تربية العقل للإيمان بالحقائق، ومنها تربية النفس عمليًا لتهذيب النشء بمبادئ تليق بالجيل المسلم، حاملِ أرفع المواريث في رسالة إنسانية واسعة الأغراض بعيدة الأهداف. ومنها التربية الدينية التي تشمل التمرس بشُعَب الإيمان الإسلامي، واعتياد العبادات المفروضة، والتأدب بالآداب السليمة. ثم التربية البدنية التي تعين على تكوين الشاب المسلم القوي الذي يهتف في نشيد:

إنما الإسلام في الصحرا امتهد ليجيء كل مسلم أسد!

ووزارات معارفنا لا أعلم أنها تعنى من أنواع التربية إلا بالتربية البدنية! وبطريقة إفرنجية، وألمع القائمين بها والمشرفين عليها هم الذين يذهبون إلى أوروبا وأمريكا ليتعلموها.. وقد عاد أحدهم من هناك فأخبرني بأنه لقى قسيسًا أثنى له على الإسلام لأن فيه أسماء الله سبحانه التي تبلغ تسعًا وتسعين اسمًا ذات معان سامية، وذكر لي عددها باللغة الإنكليزية كما سمعها من القسيس. فقلت له: يا أخي إنها أسماء الله الحسنى، وأهديت له «المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» لأبي حامد الغزالي، وأرشدته إلى نظمها في نونية ابن القيم. فتعجب وقال: إنهم في مدارسنا لم يكونوا يذكرون لنا شيئًا من ذلك حتى سمعته من هذا القسيس...

ومن العجيب أن مدارس الفرير والجزويت وسائر الكاثوليك، وكذلك مدارس البروتستانت، من إنكليزية وألمانية وأمريكية، ومدارس الأرثوذكس، ومدارس الإليانس الإسرائيلي، كل هذه المدارس وغيرها من مدارس الملل تعنى بالتربية على طريقتها بأكثر مما تعنى بالتعليم.. وأما نحن فلا معنى للتربية إلا التربية البدنية بأسلوب أجنبي ممسوخ، ومع ذلك فإننا نسمع الكثيرين منهم يشكون من التقصير فيه.

التعليم والعلم العالمي

أما التعليم، فمن أكبر أخطائنا أننا لا نميز فيه بين العلم العالمي والثقافة القومية والملية.. وقد نبهت كثيرًا في مجلة «الأزهر» على أن هنالك علمًا عالميًا اشترك في تكوينه من ألوف السنين علماء من مختلف الأمم، وهو العلم الرياضي والعلم الطبيعي، وكان لأسلافنا نصيب كبير فيه، بل ان اسم «علم الجبر» اسم عربي محض لا تعرفه الأمم كلها إلا بهذا الاسم العربي، لأنه كان في زمان حضارتنا الإسلامية علمًا عربيًا، وكذلك الطب والكيمياء، وفلك السماء، وغير ذلك من العلوم التي كنا أهلها، ثم شارك فيها غيرنا وتقدموا بها حتى وصلوا إلى تحطيم الذرة والطيران في الأجواء، بتعاون الأمم المشتغلة بمعارف الكون، فكانت هذه العلوم عالمية نستطيع أن نساهم في تقدمها إذا وضعنا أيدينا في أيدي العاملين بها، ودخلنا إليها من أبوابها، واستعملنا مواهبنا الممتازة بطلب العلم للعلم، لا لأجل أكل العيش وحسب.

هذا هو العلم العالمي، مما نتعلمه في مدارسنا بمقياس ضيق، وبطرق مستقيمة أو ملتوية.

.. والثقافة

وهنالك قسم آخر مما نتعلق في مدارسنا، وهو «الثقافة» وغير ذلك. العلم العالمي مشترك بين الأمم، وأما الثقافية فلكل أمة ثقافتها.. فهنالك: الثقافة اللاتينية، والثقافة السكسونية، والثقافة العربية الإسلامية. بل إن الإنكليز والأمريكيين – وهما أبناء لغة واحدة – تعتبر كل واحدة منهما أن ثقافة الآخر تفترق – إلى حد قريب أو بعيد – عن ثقافة الآخر. ومنه يتبين لك أن من الغش دعوى مؤلف (مستقبل الثقافة في مصر) أن المسلم العربي ينبغي له أن يأخذ من الغرب كل ما عنده من علوم وثقافة وحضارة (خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب). لا ولا كرامة. إن هناك ما يجوز أن نأخذه وإن هناك ما يجب أن ندعه. إن من الأشياء أشياء يجب أن نأخذها عن غيرنا؛ لأنها من أسباب القوة، وإن من الأشياء أشياء لا يجوز أن نأخذها إلا من صميم كياننا، ومن خالص تراثنا، وصريح سننا.

لما انتهت الحرب العالمية الثانية، كان الإنكليز قد ملوا قيادة حزب المحافظين، وتعاون تشرشل مع حزب العمال إرضاء للرأي العام البريطاني، وطمع حزب العمال إذا تجددت الانتخابات أن يكسبوا الأغلبية، وأن تحرر المملكة من سيطرة تشرشل بعد الانتهاء من حاجتها إليه، فطالب (إتلي) وزملاؤه من حزب العمال المستر تشرشل بأن يجري انتخابات جديدة، فجعل تشرشل يماطل، ثم اقترح أن يعمل استفتاء بدلاً من الانتخابات. أتدري بماذا أجابه (إتلي) في كتاب مدون اشتهر عند جميع المهتمين بهذه الأمور؟ لقد أجابه بقوله: «إن الاستفتاء سنة غير بريطانية». يعني أنها طريقة أمريكية لم يسبق للإنكليز الالتجاء إليها.. فأفحم تشرشل ولم يكابر في هذه الحجة.

إذا كان حزب العمال البريطاني – المفروض أنه ليس محافظًا كالمحافظين – يحرص على السنن البريطانية، وينوه بها، ويعمل على حمايتها، فكم من رجالات وزارات المعارف في العالم الإسلامي والعربي يعلمون أن للمسلمين والعرب سننًا أصيلة جديرة بالاحترام والاتباع؟ وكم منهم من يحرص على تثقيف النشء الإسلامي والعربي بهذه السنن وتربيتهم على احترامها، والمحافظة عليها، والتصدي لحمايتها؟

المعضلة الكبرى هي أن مدارسنا لا تعلمنا ما نحن، ومن نحن، وأين نحن، من غيرنا؟ وليس في مدارسنا إلا النادر ممن يعلم أن التربية غير التعليم، وأن العلم العالمي المشترك بين الأمم في تكوينه وفي الأخذ به، غير الثقافة القومية والملية التي تمتاز كل أمة بنصيبها منها، والتي يعد تجاهلها هزيمة، وفرضها من أمة على أمة استعمارًا عقليًا واحتلالاً روحيًا..

الانحلال الخلقي

س: حيث بقيتم طيلة السنين الماضية تحاربون الانحلال والانحطاط الخلقي، وكان لما قمتم به مع غيركم من جهاد كبير بهذا الشأن الأثر القوي في تصحيح بعض الأوضاع، فما هي نصيحتكم للكاتب المسلم الناشئ بهذا الخصوص.؟؟

ج – الناشئ المسلم الممتاز – ولاسيما إذا تهيأت له الأسباب ليكون كاتبًا أو شاعرًا أو مدرسًا – ينبغي له أن يؤمن برسالة سامية في الحياة، يتحرى الأنس بها والاطمئنان لصحتها،

وحاجة أمته إلى تحقيقها، ثم يزداد إيمانًا بها مع توغله في المعرفة، واتساعه في الخبرة والتفكير، وزيادة اتصاله بالناس، ورسالة المسلم الممتاز هي معيار قيمته في حياته وبعد موته، فكلما كانت هذه الرسالة أسمى وأنفع كان هو أعلى مكانة وأعظم قدرًا.. والناشئ الذي لا رسالة له في الحياة رجل تافه لا قيمة لحياته، ولا أثر له يتركه من بعده.. وأول ما يحتاج إليه في تكوين رسالته أن يعرف معدن قوميته، وسنن ملته، وما تحتاج إليه أمته من خير، فيجعل ذلك من عناصر رسالته، وأن يعلم أنها امتداد للرسالة العظمى التي بعث بها كل رسل الله، والتي حملها من بعده إلى الإنسانية أصحابه الكملة، والتابعون لهم بإحسان، فيدأب على رد القطيع الإسلامي الشارد إلى القافلة التي تمضي بها إلى أدوار التاريخ نحو الهدف، وكلما غفل الغافلون عن الهدف الأول الذي سارت القافلة نحوه من عهد العمرين، جعل من رسالته تنبيه الغافلين لهدفهم الأصيل..

هذه الرسالة هي الإبرة المغناطيسية لكل سفينة إسلامية تجري في بحر الحياة، وهي كوكب الهدى لكل قافلة عربية تسري في ظلمات الفيافي تحت أجنحة الليالي.

وكلما كثر حملة هذه الرسالة الموحدة كان ذلك ضمانًا لأمن الطريق بين أوله في زمن العمرين، وبين هدفه الأقصى الذي تتم عنده السعادة بمرضاة الله، والفلاح الذي يؤذن به المؤذن من كل مسجد للإسلام في بقاع الأرض.

خير كتاب قرأه

س: ما هو خير كتاب قرأتموه وكان له تأثير في حياتكم؟

ج – لما توفى والدي في سنة ١٣١٥هـ وكان أمين دار الكتب الظاهرية، ساقت لي العناية الإلهية رجلاً عظيمًا من رجالات الإسلام – وهو الشيخ طاهر الجزائري – وكان مفتشًا لدور الكتب العامة – وكان بهذا الاعتبار رئيسًا لوالدي في حياته – فسعى لأن أكون خلفًا له في راتب الأوقاف المخصص لأمانة الكتب، وصار يرشدني إلى نسخ رسائل نافعة من مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه وأضرابهم، فكانت هذه الرسائل الشعاع الأول من النور الذي عرفت الإسلام به. وأول ما نفعني من الكتب العصرية في تلك الحقبة كتابان: أحدهما

«أم القرى» للسيد عبدالرحمن الكواكبي وقد عرفت من مناقشاته أدواء المسلمين وعلاجها، والنكبة التي وقعت على الإسلام ودولته باستعجامها من أواسط الدولة العباسية، فأيقظني هذا الكتاب – مع ما تأثرت به من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية – إلى جوهر الإسلام والعروبة، وحاجتنا إلى بعثهما وردِّ الحيوية إليهما. ثم قرأت كتاب «الإسلام والنصرانية مع العلم والمدينة» للشيخ محمد عبده، فازددت يقظة وعلمًا بأسباب جمود المسلمين، وأن هذا الجمود علة تزول بالرجوع إلى ينابيع الإسلام الأولى، وكنت لشغفي بهذين الكتابين – أم القرى، والإسلام والنصرانية – أحرص على إعادة قراءة كل منهما مع كل من أتوسم به الخير من لداتي وإخواني الذين كونت معهم فيما بعد حلقة صار منها بعد سنوات (جمعية النهضة العربية).. ومع ذلك فالطالب الذي يشغف بالمطالعة والاطلاع يجني عسل العلم من كل زهرة يقع عليها.

أهم الأحداث التي غيرت مجرى حياته

س: ما هي أهم الأحداث التي انفعلتم بها أو غيرت مجرى حياتكم؟؟

ج – أول هذه الأحداث اتصالي بالشيخ طاهر الجزائري وصحبتي له، وتعرفي بوساطته بكل ذي فضل ومزية في دمشق.

ولما أكملت دراستي الثانوية وذهبت إلى القسطنطينية للالتحاق بكلية الحقوق، راعني أن جميع شباب العرب متتركون، ويتخاطبون فيما بينهم بالتركية، ويتكاتبون بها، ويتأدبون بآدابها، وكان لذلك مغزى ومصير أدركته في وقت مبكر، فكان من رسالتي الأولى بعد فهم رسالة الإسلام والإيمان بوجوب إحيائها كما كانت في البداية، أن أعرف كل عربي مسلم بأنه عربي، وأن الانتساب لعروبته انتساب مشرف، فإن تراث العروبة صنو لتراث الإسلام، وإن كلاً منهما مكمل للآخر في هذا العصر والعصور الآتية كما كنا كذلك في العصور السالفة.

إن حكاية هذا الاندفاع طويلة، ولكن هذا كان أولها، وهي التي عينت لي مجرى حياتي، بعد صحبة الشيخ طاهر المتقدمة منذ كنت في الثانية عشرة، وما بعدها من صدر حياتي..

أما الأحداث الأخرى بعد ذلك، فلكل حادث أثره، غير أن طريقي كان قد تحدد وتعين.

وكان كل ما أثر به بعد ذلك عونًا على المضي فيه والاستمرار في طلب أهدافه.

كتبه التي لم تطبع

س: هل لديكم كتب من تآليفكم لم يتم طبعها؟ وما هي؟

ج- إن مباشرتي طبع «فتح الباري» أتاحت لي أن أعيش في جوه، فكان ذلك فرصة لأن أكتب تعليقًا على أحاديث الجامع الصحيح للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، وقد أتممت منه إلى الآن مجلدين وباشرت الثالث، ولعله يكون في سبعة مجلدات أو ثمانية، يسرت فيه هذه النصوص الإسلامية الأصيلة للجامعيين والطلبة المدنيين، وأضفت إليه تراجم مختصرة للرواة وزعتها في الكتاب، وسيكون لها فهرس أبجدي.

وكنت أعددت مسودات لكتاب (الإيمان الإسلامي) وهو يشمل شعب الإيمان المنصوصة في الكتاب وصحيح السنة، وشرحتها شرحًا عموميًا ينفع المسلم في سيرته وسلوكه وصحة إيمانه والحكمة من عباداته، وأن الأخلاق بمفرداتها تعد من جواهر شعب الإيمان. ومسودات الكتاب تحتاج إلى تنظيم وكتابة من جديد، وهو مبني على أن الإسلام شيئان: حق، وخير. وأن كل ما أمر به وبالإيمان به يتفرع إما عن شعب الحق، أو عن شعب الخير. وبذلك كان الإسلام رسالة الإنسانية العليا التي لا ينبو عنها إنساني مهما كانت نزعاته.

وكنت كتبت في عشرات السنين الماضية فصولاً ومقالات فيما يستحق أن يجمع أشباهه إلى نظائره، فتكون منه كتب متعددة ككتاب «مع الرعيل الأول» ولكن هذا يحتاج إلى وقت وتنظيم..

وإن كثيرين يطالبونني بكتابة مذكرات وذكريات، وهذه يمكن أن تطول حتى تكون في مجلدات، ولكن الثمانين - وبُلِّغتها - قد لا تتسع لإصدار هذه الأشياء وكثير غيرها إلا ما يريد الله منه، ونحن في حاجة إلى عونه ورحمته وتوفيقه.

سعيد حوَّى

(العالم الداعية)

الترجمة:

ولادته في مدينة حماة بسورية، تخرَّج في كلية الشريعة بدمشق، ودرس على عدد كبير من المشايخ، منهم شيخ حماة محمد الحامد، كما درس على أساتذة كبار، منهم العلاّمة الداعية مصطفى السباعي. وعاصر في شبابه أفكار الاشتراكيين والقوميين والإخوان المسلمين، ومرَّت به أحداث كثيرة في سورية، وله ذكريات وملاحظات وتقييدات على ما جرى في وقته، نشرها في كتابه «هذه تجربتي وهذه شهادتي» وفيه صراحة عجيبة، ولعله أول من أفشى تاريخ الإخوان المسلمين. وقد حاضر وخطب في دول عربية وإسلامية عديدة، وسُجن في عهد حافظ الأسد خمس سنوات، وألف في سجنه (الأساس في التفسير) في (١١) مجلدًا. وعددًا من كتبه الأخرى الذائعة الصيت، كما شارك في عدة أعمال دعوية وسياسية في التنظيم. ومن مؤلفاته المشهورة: الله، الرسول، الإسلام، جند الله ثقافة وأخلاقًا، تربيتنا الروحية، فصول في الإمرة والإمارة. وتوفاه الله يوم الخميس، الأول من شهر شعبان ١٤٠٩هـ، الموافق لـ ٩ آذار، في عمّان.

هذا اللقاء:

نشر هذا اللقاء بعد وفاته بنحو أسبوعين، في مجلة (المجتمع) الكويتية، العدد (٩٠٩) بتاريخ ١٤ شعبان عام ١٤٠٩هـ، ص٤٠- ٤٢. وذُكر فيه أنه أدلى بإجابات عبر حوار صحفي على عدد من الأسئلة قبل اشتداد مرضه، وأنه «آخر حديث» له.

نص الحوار

*** الصحوة الإسلامية حقيقة يعترف بها الخصم قبل الصديق، والأستاذ صاحب تجربة عميقة في العمل الإسلامي، ولابد أن يكون له رأي، رأي صائب في هذه الصحوة، كيف يراها الآن، وكيف يتصورها في المستقبل، وما هي ملاحظاته عليها، وما هي مقترحاته لترشيدها...؟**

الشيخ سعيد: لا شك أن الصحوة الإسلامية تهتم بها جهات متعددة في هذا العالم.

إن الذي نريده في هذه المرحلة أشياء كثيرة:

أول ما نريد للصحوة الإسلامية هو أن يرتفع السقف لأبناء هذه الصحوة، فالذي نرجوه لأبناء الصحوة الإسلامية هو أن يرتفع الواحد منهم بسقفه الذاتي، والشيء الثاني الذي نرجوه من هذه الصحوة هي أن توجد العقلية المستشرفة على الأوضاع المحلية والعالمية، فإذا لم يحدث بالنسبة للصحوة الإسلامية أن امتلكت هاتين القضيتين: قضية الارتقاء بالسقف، وقضية الاستشراف في الأوضاع المحلية والعالمية، فإن الصحوة الإسلامية في خطر.

عندما أقول: انه مطلوب من الصحوة الإسلامية الاستشراف على الأوضاع المحلية والعالمية، فهذا يعني بالضرورة أن يكون هؤلاء المستشرفون قادرين على إزالة التخوف من الصحوة الإسلامية والحركة الإسلامية.

لاشك أن هناك تخوفًا عند جهات كثيرة من الصحوة الإسلامية، هذا التخوف يظهر مثلاً في الأرض الإسلامية بأشكال متعددة، فالأقليات غير الإسلامية تخشى على نفسها من هذه الصحوة الإسلامية، وأصحاب الآراء السياسية يخشون على أنفسهم من هذه الصحوة

الإسلامية، وكثير من الأنظمة يقال لها بأن الصحوة الإسلامية خطر عليها، إذًا فالمستشرفون على الأوضاع المحلية والعالمية من أبناء الصحوة الإسلامية عليهم أن يطمئنوا الأقليات غير الإسلامية على الأرض الإسلامية، وعليهم أن يطمئنوا أصحاب الاتجاهات السياسية، فالصحوة الإسلامية تؤمن بفكرة التعددية في العمل الحزبي والسياسي.

وينبغي أن يطمئنوا كثيرًا من أنظمة الحكم، لأنه ما دامت أنظمة الحكم هذه تتعامل معهم بمعقولية، فإنهم سيتعاملون معها بمعقولية، وكما أن هؤلاء المستشرفين من أبناء الصحوة الإسلامية ينبغي أن يطمئنوا جهات متعددة محليًا، فينبغي كذلك أن يعرف العالم بأن الصحوة الإسلامية ليست خطرًا على الحضارة، وليست خطرًا إذا عرف كيف يتعامل معها، فبعض الجهات الخارجية تتصور عندما يقال: ان الإسلام قادم أن التتار قادمون، والواقع خلاف ذلك، فكما أن الحركة الإسلامية قديمًا كانت عاملاً من عوامل نمو الحضارة، فكذلك الصحوة الإسلامية ستحاول أن تحتفظ بكل أسباب التقدم المدني.

وهناك جهات خارجية تخشى على مصالحها من الصحوة الإسلامية، وهذا ليس صحيحًا، فأبناء الصحوة الإسلامية عليهم أن يعرفوا العالم أنهم يستطيعون أن يتعاملوا مع العالم كله مصالح بمصالح، ويستطيعون أن يقدموا تمامًا مصلحتهم ومصلحة الآخرين المشروعة والمعقولة التي تتفق مع مصلحتهم. والشيء الخطير فقط عند أبناء الصحوة الإسلامية هو أن يتعامل العالم معهم على أساس مبادئ ومصالح، فعندما تريد دولة كانت شرقية أو غربية، أن تفرض أنظمة، أو أن تلغي الإسلام، فهذا الشيء يخشاه أبناء الصحوة الإسلامية، أما إذا كانت المسألة بمصالح، فهذا مقبول لدى أبناء الصحوة الإسلامية.

المهم أن أبناء الصحوة الإسلامية عليهم أن يزيلوا هذا التخوف من أذهان كثير من الجهات.

إذن فالمطلوب من القائمين على الصحوة الإسلامية:

الشيء الأول: هو الارتقاء بسقف أبناء الصحوة الإسلامية، بالسقف الثقافي والأخلاقي والتربوي، والتخصص الدعوي والحياتي، وكما أن عليهم أن يرتقوا بالسقف لكل فرد من أبناء الصحوة الإسلامية، فعليهم أن يرتفعوا بسقف كل فرد من أبناء الإسلام.

وعليهم كذلك أن يوجدوا المستشرفين على الساحة المحلية والعالمية، وهؤلاء الناس الذي

أسميتهم المستشرفين على الأوضاع المحلية والعالمية، عليهم أن يبذلوا جهودًا كبيرة في إزالة تخوفات كثيرة، سواء كانت قائمة على الأرض الإسلامية، أو كانت موجودة في الخارج، وهي ليست صحيحة أصلاً.

*** لما كانت الصحوة الإسلامية حقيقة واقعة، فهل يرى فضيلة الأستاذ فضلاً في هذه الصحوة لقطر على قطر أو لجنس على جنس؟**

- **الشيخ سعيد:** عندما نستعرض الأسماء اللامعة التي أثرت بشكل ما لإيجاد الصحوة الإسلامية الحديثة، فلابد أن نذكر ما يلي:

سقطت الخلافة العثمانية عام ١٩٢٤م، ولنا تحليلنا لأسباب هذا السقوط مما لا مجال لذكره هنا، ونحن نعتبر أن سقوط الخلافة هو أدنى مرحلة وصل إليها الإسلام عمليًا ونظريًا، سواء على مستوى الاعتقاد، أو على مستوى العبادة، أو على مستوى التطبيق التشريعي.

ومنذ سنة ١٩٢٤م بدأت كثير من الاجتهادات الإسلامية تعمل عملها داخل المجتمع الإسلامي، مما أدى في النهاية إلى صحوة إسلامية، ومع أننا لا نستطيع أن نفصل العمل الإسلامي الذي حدث بعد ١٩٢٤م عن العمل الإسلامي الذي كان موجودًا من قبل، فإنه لم تمرَّ مرحلة من المراحل إلا ووجد فيها أعلام كبار ساهموا في قيادة العمل الإسلامي وحاولوا أن ينهضوا بمجد الإسلام: لا ننسى الحركة المهدوية في السودان التي تسمى حركة الدراويش، ولا نستطيع أن ننسى الحركة السنوسية، ولا ننسى ما قامت به الحركة الصوفية، سواء ظهرت بالطريقة النقشبندية مثلاً أو بغيرها، لا نستطيع أن نهمل اسم الشيخ شامل النقشبندي الذي قاد كفاحًا طويلاً لمدة ٤٠ سنة في الأرض الإسلامية في الاتحاد السوفياتي، ولا نستطيع أن نهمل اسم الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

ولذلك نقول: إنه قبل سقوط الخلافة لم تخلُ الأرض الإسلامية من عاملين للإسلام، ولكن بعد سقوط الخلافة العثمانية نستطيع أن نقول: إن الاجتهاد الأقوى الذي أثر على تفكير العالم الإسلامي هو الاجتهاد الذي قدمه الأستاذ حسن البنا رحمه الله، ورسخه ووضع قواعده وأسسه، هذا الاجتهاد تمثل بفهم يمكن أن يجتمع عليه المسلمون، وتمثَّل بنظرية تنظيمية وتربوية، وتمثَّل بمواقف حركية، هذا الاجتهاد بحدِّ ذاته كان له أثره الكبير، بل نستطيع أن

نقول: إن ميلاد الصحوة الإسلامية الحديثة بدأ عندما بدأ الأستاذ البنا رحمه الله دعوته، ذلك أنه هو الذي أعاد إلى الأذهان فكرة شمول الإسلام، وفكرة عالميته، وضرورة الدعوة إليه، وأن تكون هذه الدعوة منظمة، وعندما نقارن بين دعوة شاملة كدعوة حسن البنا، ودعوة شاملة كدعوة أبي الأعلى المودودي، فإننا نرى بأن حسن البنا كان متقدمًا في الزمن على الأستاذ أبي الأعلى المودودي، من هنا فلاشك أننا نعتبر أن مصر وما جرى فيها من تفاعلات كانت هي رائدة العمل الإسلامي الحديث، الذي كان له آثاره الكبيرة على الصحوة الإسلامية، وعندما نقول هذا الكلام لا نلغي أدوارًا كثيرة لجهات كثيرة، كل منها كان له دوره في الصحوة الإسلامية، فنحن لا ننسى أنه في كل مكان قام دعاة كبار وعظام استطاعوا أن يجددوا الإسلام، ولكن في المقايسة فإننا نعتبر أن دعوة البنا لها الدور الأكثر، ومصر كان لها الدور الأكبر، ولكن لا نستطيع أن نهمل دور رجل عظيم كبير مثل الشيخ سعيد النورسي رحمه الله في تجديد الإسلام في تركيا، ولا نستطيع أن نهمل دور الأستاذ محمد ناصر في اندونيسيا، وهكذا فإن كثيرين شاركوا، ولكن يمكن القول إن مصر بالأستاذ البنا كان لها دور متميز، سواء من حيث الفكر، أو من حيث الأشياء الضرورية التي تحتاجها الحركة الإسلامية الحديثة التي كان لها أثر كبير على الصحوة الإسلامية، وأن دعوة البنا هي التي تمثل العمود الفقري الذي قامت عليه الصحوة الإسلامية الحديثة.

*** ما هو رأيكم فيما يجب على الحركة الإسلامية أن تلاحظه في قضية الأمن؟**

– **الشيخ سعيد:** نقول: إن الحركة الإسلامية يجب أن تلحظ أمن الأمة الإسلامية أولاً، ثم أمن أقطارها ثانيًا، ثم أمنها وأمن أفرادها.

إن أمن الأمة الإسلامية لازال حتى هذه اللحظة مهددًا، ولازال أمن بعض الأقطار الإسلامية مهددًا، وعلى الحركة الإسلامية أن تفطن لأمنها، وليس هذا غريبًا، وإنما هي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كان يبحث عن الأمن من أجل هذه الدعوة، ومن أجل استمرارها، ومن أجل التعميق لوجودها، وكذلك ينبغي على الحركة الإسلامية أن تفكر في أمن أفرادها، ولكن يحدث أحيانًا أن الكفر والكافرين لا يسمحون للحركة الإسلامية بأمن ولا أمان، وفي هذه الحالة يجب على الحركة الإسلامية أن تفكر التفكير القرآني في نظرية الأمن، فمن المعاني التي ذكرها القرآن الكريم: أن أمن المسلمين قد يكون مرهونًا بشيء اسمه

القتال، والتحريض على القتال، وهذا على خلاف ما يظنه الناس العاديون الذين لا يفطنون للمعاني القرآنية، فالله عز وجل يقول: {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا} [سورة النساء: ٨٤]. فهذه الآية تذكر بمفهومها أن بأس الكافرين لا ينكفئ إلا إذا وجد مقاتل مسلم.. إذًا ليس بالضرورة أن يكون أمن أفراد الحركة الإسلامية ولا أمن الحركة نفسها باستسلام لبأس الكافرين، ولا لعدوانهم، ولكن قد يضطر أبناء الحركة الإسلامية لشيء آخر، ولكن لا يصح التفكير بشيء آخر إلا بعد استنفاد كل الوسائل الأخرى، وإذا استنفدنا الوسائل الأخرى عندئذ لابد أن يكون هناك دفاع ورد على العدوان، ومن صفات المسلمين أنهم لا يسمحون للظلم أن يقع بهم، قال تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ} [سورة الشورى: ٣٩]، وقال: {وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ} [سورة الشورى: ٤١]، ولكن عليهم أن يستنفدوا الوسع أولاً، قال تعالى: {وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [سورة الشورى: ٤٣]، فإذا استنفدوه وأصرَّ الكافرون على أن ينزلوا بأسهم بالمسلمين، عندئذ قد يكون أمن المسلمين وأمن الحركة الإسلامية فيما قاله الله عز وجل: {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا}[سورة النساء: ٨٤].

*** طالعتنا بعض وسائل الإعلام في العالم الإسلامي بآراء بعض رموز الحركة الإسلامية حول أولويات العمل الإسلامي، فلا أدري ما هو رأي فضيلة الأستاذ بعد أن اطلع على هذه الآراء؟**

– **الشيخ سعيد:** بسبب وضعي الصحي فإنني لا أطلع على كثير مما يقال فيما يتعلق بهذه الأمور وغيرها، أما أولويات العمل الإسلامي على مستوى الحركة فهي في اجتهادي شيئان:

الأول: التمييز بين الأنظمة التي تحكم العالم الإسلامي، وتحديد الموقف منها، فنحن لا يصح أن تكون لنا نظرة موحدة لكل الأنظمة في العالم الإسلامي، ولا أن يكون لنا موقف موحد من كل هذه الأنظمة. فالتمييز بين الأنظمة والأقطار هو الأولى.

أنا أفترض أن بلدًا مثل مصر، وبلدًا مثل تركيا، وبلدًا مثل ماليزيا، أنا أفترض أن موقفنا منها

ينبغي أن يكون تعميق الديمقراطية، أما بالنسبة لبلد مثل أفغانستان، فلابد أن تدعم الجهاد الأفغاني بأي وسيلة من الوسائل. وهناك بلدان أخرى ينبغي أن يكون موقفنا منها هو أن لا تتعدى نصيحتها والنصيحة السرية فقط، وهناك أنظمة ينبغي أن نتعاون معها في كثير من المجالات، وهكذا فالأولوية الأولى في هذه المرحلة هي التمييز بين الأنظمة والأقطار، وأن يكون لنا موقف مناسب في كل قطر من الأقطار على ضوء نظامه وعلى ضوء الواقع بتقييم دقيق.

الأولوية الثانية: هي البحث عن صيغة لهيكل تنظيمي يتناسب مع المرحلة التي نحن فيها.

فالعمل الإسلامي في مرحلته السابقة حاول أن يبحث عن هيكل تنظيمي، بعضه كان جيدًا وبعضه كان قاصرًا، وأظن أننا اليوم بحاجة إلى هيكل تنظيمي زائد على مجموع الهياكل التنظيمية الموجودة في العالم كله.

الذي أقوله: إن كل جماعة في الماضي حاولت إلى حدٍّ ما أن تنشئ هيكلها التنظيمي، ولكن هذا الهيكل بقي خاصًا بها ولم يتعدِّ إلى بقية الأمة، وأحيانًا كان هذا الهيكل مناسبًا لها وأحيانًا كان قاصرًا، فالمطلوب الآن من كل فئة إسلامية في العالم أن تسعى إلى تطوير هيكلها التنظيمي، ومطلوب من أبناء الأمة الإسلامية جميعًا أن يبحثوا عن هيكل تنظيمي جديد، هذا الهيكل يستطيع بشكل من الأشكال أن يضم كل الحركة الإسلامية الفاعلة في العالم.

فلابد أن يكون هناك تلاق على حد أدنى من تنسيق أو وحدة تنظيمية أو غير ذلك، المهم أن يوجد الهيكل التنظيمي الموحد مهما كانت صيغة التقييم.

ثالثًا: معرفة الأخطار التي تهدد أمن الأمة الإسلامية.

رابعًا: أن يتعاون المسلمون في كل مكان على تعميق الاستقلال.

فنحن نعتبر أن العالم الإسلامي لاتزال إرادته غير مستقلة إلى حد كبير، ما دام أي قطر من أقطار العالم الإسلامي بحاجة اقتصادية وتقنية وبحاجة إلى جهات عالمية لا يستطيع الاستغناء عنها، فإلى حد كبير تبقى إرادتهم مصادرة، وبالتالي فإن ما نطمح إليه من تطبيق الشريعة الإسلامية على مستوى العالم الإسلامي تبقى مطالبتنا ضعيفة أمام الضغوط التي توجه إلى حكومات وأقطار العالم الإسلامي، فإذا ما وجد هيكل تنظيمي موحد على حد أدنى من

التعاون ولو بإزالة الفقر والجهل والمرض، فذلك وحده طيب، المهم أن الأولوية الثانية التي ينبغي أن يفكر بها المسلمون هي البحث عن هيكل تنظيمي، بحيث يستشعر كل عامل إسلامي أنه تربطه علاقات تنسيقية مع بقية اخوانه في العالم.

إنه قد آن الأوان للبحث عن هيكل تنظيمي، سواء كانت العلاقة بين المرتبطين بهذا الهيكل التنظيمي علاقات تنسيقية أو غير تنسيقية. المهم أن الأمة الإسلامية بحاجة إلى هيكل تنظيمي يستطيع أن يحمل عبء العمل على المستوى المحلي والعالمي، وهذا الآن غير موجود، فنحن بحاجة إلى إيجاده، فإن المخاطر الكثيرة التي تمر بها الأمة الإسلامية تستدعي وجود هذا الهيكل الذي يستطيع تعبئة الأمة الإسلامية فيما يخدمها.

*** مضى على نشوء بعض الحركات الإسلامية كالاخوان المسلمين ستة عقود، وبهذه المناسبة نريد من الأستاذ سعيد أن نسمع رأيه في مسيرة هذه الحركة بعد مضي ستين عامًا على نشوئها؟**

– الشيخ سعيد: الجواب عن هذه القضية يمكن أن يكون من خلال التمييز بين عدد [من] القضايا، فقد نجحت حركة الإخوان المسلمين من الناحية الفكرية نجاحًا منقطع النظير، وكانت رائدة فيه، فحركة الإخوان المسلمين من الناحية الفكرية استطاعت أن تقهر كل الفكر الغريب الوافد المعادي للإسلام، بل استطاعت أن تنهي هذا الفكر إلى حد كبير في الأرض الإسلامية، بل نستطيع أن نقول: إنه من الناحية الفكرية أثرت على كثير من الاتجاهات الفكرية في العالم الإسلامي، فجعلتها تحجم نفسها لصالح فكر الإخوان المسلمين.

لقد ورث الإسلاميون في العالم ثقافة إسلامية متوارثة لم تكن وحدها كافية للرد على الفكر الوافد الغريب، فقد تمثل هذا الفكر الغريب بنظريات وأنظمة، وتمثل بفلسفات ومناهج حياة، ومن ثم فإن الإخوان يعتبرون روادًا بالنسبة لهذه القضايا، فهم الذين استطاعوا أن يردوا على النظرية بمثلها، وأن يردوا على الفكرة بمثلها، والمنهاج بمثله، والنظام بمثله... وهكذا فإن الإخوان المسلمين استطاعوا إلى حد كبير أن يربحوا الجولة في العالم الإسلامي من الناحية الفكرية، وبالتالي فإننا نستطيع أن نقول: إن النجاح الفكري الهائل الذي حققته دعوة الإخوان المسلمين كان نجاحًا فعليًا وكبيرًا وعظيمًا.

وعندما ننظر إلى التأثير التربوي في حركة الإخوان المسلمين، فإننا نستطيع أن نقول: إن نجاحهم الفكري كان من نجاحهم التربوي؛ لأنه لم يتح لهذه الحركة أن تحقق نظرياتها التربوية في أجواء صحيّة سليمة وآمنة، مثلا الأستاذ البنّا يعتبر أن اجتماع الإخوان المسلمين على قراءة المأثورات ينبغي أن يكون صباحًا ومساءً، فلو أن هذه القضية متمثلة وحدها عند الإخوان المسلمين لكان تأثيرها في تربيتهم كبيرًا جدًا.

إن الإخوان المسلمين نتيجة للظروف التي عانوها في كثير من الأمكنة، لم يستطيعوا أن يحققوا نظرياتهم التربوية، ولذلك فإن نجاحهم الفكري كان أكبر من نجاحهم التربوي.

وإذا نظرنا إلى تأثير الإخوان المسلمين على الشارع السياسي وعلى القضايا التطبيقية، فإننا نجد نجاحًا إلى حد ما.

لقد وجدنا في المرحلة التي نحن فيها أن فكرة البنوك اللاربوية مثلاً أصبحت موجودة، وهذا نعتبره نجاحًا تطبيقيًا لدعوة الإخوان المسلمين.

لقد أصبحنا نسمع أن وزراء العدل العرب في اجتماعاتهم يقررون تطبيق الشريعة الإسلامية.

لقد أصبح مطلب تطبيق الشريعة الإسلامية مطلبًا عامًا في الشارع الإسلامي، وهذا ما نستطيع أن نعتبره نجاحًا سياسيًا.

لقد بدأت المرحلة التي أعقبت سقوط الدولة العثمانية بنوع من العلمانية، وكان المخططون للعالم الإسلامي يفترضون أنه ستأتي مرحلة تعم فيها العلمانية، بينما نجد الآن أن كثيرًا من الدساتير في العالم الإسلامي لم تستطع أن تتجاهل فكرة أن دين الدولة: الإسلام، وهكذا نستطيع أن نقول: إنه من الناحية السياسية استطاع الإخوان المسلمون أن يؤثروا سياسيًا في مجريات الأحداث في العالم الإسلامي، واستطاع قسم كبير من الناس الذين تأثروا بحركة الإخوان المسلمين أن يصلوا إلى مراكز السلطة وإن لم يطبقوا كل ما أراده الإخوان المسلمون. أما النجاح السياسي الكامل، وهو وصول الإخوان المسلمين إلى الحكم، وتطبيقهم ما يدعون إليه من خلال الحكم، فهذا لم يستطع الإخوان المسلمون حتى الآن أن يفعلوه، وبالتالي نستطيع أن نقول: إن نجاحهم السياسي كان نسبيًا.

فإذًا نحن لا نستطيع أن نقيّم حركة الإخوان المسلمين من خلال نظرة جزئية، بل يجب

تقييمها تقييمًا شاملاً، فمن خلاله نقول: ما هو الشيء الذي نجحت فيه حركة الإخوان نجاحًا كاملاً، أو نجاحًا أدنى من ذلك، أو لم تنجح فيه.

على كل حال، لا يستطيع أي إنسان في العالم أن يتجاهل دور حركة الإخوان المسلمين في مجريات الأمور في العالم قاطبة، ولا أقول في العالم الإسلامي وحده، ونحن نرجو لحركة الإخوان المسلمين أن تتعالى على مآسيها وعلى جراحها، وأن تقيِّم المراحل السابقة كلها، وتقيِّم ما حدث بينها وبين الآخرين، وأن تقيِّم الآخرين تقييمًا دقيقًا، ونرجو إن شاء الله أن يكون عطاؤهم في المستقبل موجودًا، وأن يكون نجاحهم كاملاً.

*** ندعو لكم الله سبحانه بالشفاء، وجزاكم الله خيرًا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.**

سعد ظلام

(الأديب والناقد الإسلامي)

الترجمة:

أديب أزهري وناقد لغوي إسلامي، حصل على الدكتوراه في اللغة العربية من جامعة الأزهر، ودرَّس في جامعات مصر والسعودية والإمارات وقطر والكويت وعُمان وغيرها، وكان عضوًا في المجالس القومية المتخصصة، وفي العديد من الجمعيات الأدبية والدينية بمصر، ومشاركًا في كثير من المؤتمرات الشعرية العالمية. وهو من أبرز من تولى عمادة كلية اللغة العربية بالأزهر، دافع عن الأصالة والتراث، والفصحى والشعر العمودي. كان له نشاط ملحوظ في مجال الدعوة والأدب الإسلامي، وله أحاديث مذاعة ومحاضرات ومقالات، خاض معارك ضد انحرافات عقدية وفكرية، ودعا إلى إنشاء محطة إذاعية للغة العربية تقدّم برامج أدبية وثقافية ولغوية وفلسفية.. كان صاحب قلم سيّال، ومساهمات عديدة، وحضور ثقافي بشكل عام. له نحو (٤٠) كتابًا، منها: الظواهر الفنية في الشعر الجاهلي، من دروس الهجرة، أرواح وأعاصير (شعر)، التعريف في الأنساب للأشعري (تحقيق). توفي يوم الثلاثاء (١٣) رجب ١٤٢٠هـ. عليه رحمة الله.

هذا اللقاء:

عن الأدب الإسلامي وحدوده والإبداع فيه، ومؤهلات الأديب المعاصر، والنقد في الحياة الفكرية، والعقبات التي تعترض ذلك، وعن الإرهاب الفكري الذي يمارسه العلمانيون ضد من يخالفهم وهم يدَّعون الحرية..

أُجري معه هذا الحوار قبل عدة أشهر من وفاته، وكان آخر لقاء معه كما ذكرت مجلة «المجتمع»، حاوره الأستاذ محمد القوصي، ونُشر في العدد ١٤٠٦ (١٤٢١/٣/٢٥هـ) ص٥٠- ٥١.

نصُّ الحوار

*** أصبحت الحاجة ماسة لإيجاد أدب إسلامي – بالفعل – فما القواعد الأساسية والخطوط العامة لما يمكن أن يُسمى أدبًا إسلاميًا؟**

- لا يمكن أن ننسى توجيهات الشهيد سيد قطب الذي يُعد رائد الأدب الإسلامي بلا منازع، والذي كان يقول: من حُسن الحظ أن الإسلام لم يحدد «شكلاً» فنيًا معينًا يلزمنا به، بحيث ندور في إطاره فلا نتعدى رسومه، وإنما حدد الإسلام «المضمون»، أو الفكر الذي يتناوله الفنان في الشكل الذي يختاره.. والإسلام يختلف عن غيره من الفلسفات الإنسانية، فمن الفلسفات ما يرى أن الفن غاية في حد ذاته وليس وسيلة لبلوغ أي هدف، وهؤلاء هم دعاة «الفن للفن».

أما الفنان المسلم فله فهمه الشامل للحياة والإنسان، وله إيمانه بأن الفن وسيلة لبلوغ غاية عظمى، ألا وهي تكوين الوجدان المتشبع بروح الحق والخير والحب، والفن الإسلامي لا يختار نماذجه من أمثلة الخير والفضيلة وحدها، بل يقدم شتى النماذج خيِّرها وشريرها، عاليها وسافلها، وإلا انعدمت الحركة الفنية، والصراع النفسي، إنها معاناة أصيلة نابضة، تبعث في نفسه لونًا من ألوان «القلق» العظيم، وتحرمه الرضوخ للكسل والسلبية والأنانية.. وهذا هو الفن الذي نُطلق عليه «الفن الإسلامي».. وعالم الأدب والفن الإسلامي فسيح رحب، يبرز التجارب المحلية والعالمية، ويرتبط بقضايا الإنسان عامة، وقضايا المسلمين في شتى أنحاء

المعمورة خاصة.

*** إذا كانت الحرية من أهم شروط الإبداع الجيد.. فهل الالتزام نقيض للحرية؟ وما موقف الأدب الإسلامي من هذه القضية؟**

– حرية الفكر لم تكن مجرد شعارات تُرفع، أو كلمات جوفاء يتشدق بها الناس، وإنما لابد أن تكون واقعًا حيًا ملموسًا، وسلوكًا عمليًا يراه الناس ويمارسونه، والحريات لم تكن مجرد نصوص في دساتير ومواثيق، وإنما هي تطبيق مؤثر، ودافع قوي للإبداع.

أما عن دعاة التمرد وأدعياء الحرية، فكل ذلك بمثابة «بدعة» يتشبث بها الضائعون والتائهون أسموها فلسفة، إنها لا ترمز إلا إلى الانعتاق من كل مسؤوليات العقائد، والانفلات من كل القيم.. والغريب أن المروجين لهذه الشعارات يسمونها «موقفًا»، وأحيانًا يدعونها وجودية وتعبيرًا عن الذات، ويحاولون أن يضعوا لها القواعد والأصول.

إن من ينظر إلى مطبوعاتنا في السنوات الأخيرة يستطيع أن يقرأ بوضوح سوء المصير، ويشم رائحة الضياع والحسرة.. والأديب الإسلامي الملتزم رجل عقيدة وفكر، رجل حركة وعمل، يسترخص كل شيء في سبيل عقيدته، ولا يقيس المعارك بحساب الحياة والموت، والخوف والخسائر المادية، وإنما يقيسها بالعمل الجاد والجهاد، وبمقاييس الحق والعدل التي تشربتها روحه من النبع الإلهي الصافي.

*** ما رأيكم فيما نراه – الآن – من التحيز الفكري والتعصب المذهبي.. وما تفسيركم لأسلوب الإرهاب الفكري عند العلمانيين ومطاردتهم لمن يخالفهم في الرأي، بل واتهامهم للملتزمين والشرفاء بالرجعية والتخلف؟**

– أنا لا أرفض التحيز بالنسبة لأي مثقف، وهذا مجرد رأي، لكن الذي أرفضه أن يكون هذا التحيز منبعثًا من ثقافة ناقصة، إن لكل مفكر موقفًا، ولكي يختار موقفه يجب أن يتدارس المواقف المهمة البارزة، فكثيرًا ما قرأنا لقوم يهاجمون الدين دون أن يلموا بأصوله الأولية، ودون أن يعرفوا فرائض الوضوء، وكثيرون أخذوا علمهم من مبشِّر حاقد، أو مستشرق ناقم، دون أن يكلفوا أنفسهم مؤونة البحث عن الحقيقة، لذا أقول: لا بأس أن يكون لكل مفكر موقف، أي أن يتحيز لموقفه.. على أن ينطلق هذا الموقف من وعي وفهم ودراسة.

أما عن تلك الهجمة التي تحاصر الشرفاء والمخلصين، وقد صورهم المغرضون بصورة المتخلفين عن قضايا عصرهم، نعم.. إن هذا الإرهاب الفكري هو الذي يمارسه هؤلاء المتخبطون الذين يرمون المخلصين بالانحراف والتخلف والتبعية، ومن ثم أصبح النقد لونًا من ألوان المطاردة العنيفة لكل ما هو جاد وأصيل، حتى وجد المخلصون أنفسهم محصورين في زوايا ضيقة، مرغمين على الاستسلام والصمت، وخلا الميدان إلا من العازفين على أوتار القيثارة الرسمية، وتحول الفن والفكر إلى هتاف وصياح وصرخات تشنجية.

*** بصفتكم أستاذًا للأدب والنقد، فضلاً عن موهبتكم الإبداعية، ترى ما مؤهلات الأديب المعاصر، أو التي ينبغي أن تتوافر فيه؟**

– من البدهي أن لكل إنسان استعداداته الخاصة، وميوله الشخصية، أو موهبته الفطرية، وهي أمر أساسي في أي مهنة أو حرفة يختطها الإنسان في حياته، ثم يأتي بعد ذلك دور رعاية هذه المواهب وصقلها، حتى يمكنها أن تؤدي الرسالة المنوطة بها.. فضلاً عن ذلك هناك بعض **الاشتراطات الجوهرية** التي لابد منها لأي أديب يريد أن يقدم عملاً أصيلاً في أي فرع من فروع الأدب:

أولها: اللغة؛ لأنها الأداة التي يستعملها في صناعة أفكاره، ولذلك فإن تعلم اللغة العربية وقواعدها، والإلمام بالتراث يعتبر مسألة حيوية لأي أديب يريد أن يكون له شأن مذكور في عالم الأدب.

ثانيًا: على الأديب أن يطّلع على التجارب الأدبية المتنوعة لكبار كتّاب العصر، فهذه النماذج هي في واقع الأمر «الأستاذ الأول» لأي أديب، وهي تأتي قبل الدراسة الأكاديمية للعلوم الأدبية، مثل فن القصة، أو فن المسرحية، وعلم العروض، وأوزان الشعر.

*** ما الدور الذي يمكن أن يلعبه النقد في حياتنا الفكرية والفنية؟**

– النقد له دور مهم في حياتنا الفكرية والفنية، وليس هناك نهضة فنية أو أدبية إلا إذا قام النقد بواجبه إزاء تلك النهضة من حيث التقييم والتقويم؛ لأن النقد في العادة يحدد المستوى الذي وصلت إليه، ويكشف عن محاسن تلك النهضة ومساوئها. ثم إن النقد يمكنه أن يرد الآثار الفنية إلى أصولها ومنابعها.

النقد إذن هو استخدام المقاييس الصحيحة للحكم على التجارب الفنية شكلاً ومضمونًا، وهو ضرورة تاريخية وفنية، وتقاعس الحركة النقدية يعني نقصًا خطيرًا في حياتنا الفنية.

ومما لا شك فيه أن حركة النقد العربي قد أصابها الكثير من القصور والخمول، بحيث لم تستطع أن تؤدي رسالتها على الصورة المنشودة.

*** ذكرتم أن حركة النقد الأدبي تعثرت في مسيرتها، أو أصابها الخمول والقصور، فما العقبات التي اعترضت مسيرة النقد وعرقلت طريقها؟**

- كثيرة تلك العقبات التي تعترض مسيرة النقد، ولعل أولها افتقار الناقد إلى ما يستحقه من تقدير مادي وأدبي، فالناقد اليوم - بالنسبة للأدباء والفنانين - يقف في مؤخرة الموكب، ولا يكاد يلتفت إليه أحد، ولا يكافأ على عمله إلا بالنزر القليل، وهذا دون شك أمر مجحف، جعل الكثيرين ممن لديهم القدرة على النقد، يبحثون لهم عن مصدر رزق آخر، أو يفتشون عن حياة أخرى تضمن لهم التقدير، حتى وإن كانت هذه الحياة لا تتفق مع ميولهم وتخصصاتهم.

العقبة الثانية - ولعلها أخطر من الأولى - هي أن الكثير من النقد على أيامنا، قد أغرقته السياسة أو المذهبية المتعصبة في طوفانها الهادر، فضاعت قيم العدالة والإنصاف والموضوعية، وهي روح النقد وسرُّ بقائه، فتألقت في سماء الفن والفكر أسماء زائفة، وحوربت شخصيات أصيلة جادة، قدمت العديد من الروائع، ولا يستطيع باحث منصف أن ينكر ما أدى إليه وباء التعصب، و«الشللية» من دمار وخراب في النهضة الفكرية والفنية المعاصرة.

العقبة الثالثة: وهي أن كثيرًا مما يسمونه نقدًا لا يمتُّ إلى النقد الصحيح بصلة تذكر، إنها مجرد كتابات تعبر عن انطباعات الناقد ومزاجه الشخصي، دون اعتبار للقواعد والأصول النقدية الموضوعية، فهي أقرب إلى «التقريظ» منها إلى النقد العلمي، ولهذا دخل النقد في باب ما نسميه بـ«الرعاية»، وأصبح النقد أشبه بالإعلانات.

وكان لهذا كله صلة وثيقة بإفساد أذواق الجماهير، وكان لهذا أسوأ الأثر في تشكيل وجدان الأجيال الجديدة.

العقبة الرابعة: أن الأجهزة الرسمية لا تستطيع تقدير حجم تلك المشكلة الضخمة.. وكان في

إمكان تلك المؤسسات أن تتبنى قضية النقد، فتنتشل النقد من الهوة التي تردى فيها.. فتحافظ بذلك على قيم الحق والخير والجمال.

بطبيعة الحال لا يحق لنا في هذه العُجالة أن نثني على بعض الجهود الفردية التي قام بها نقاد أمناء، واستطاعوا أن يحملوا المشعل وسط العواصف، فقدموا بذلك أجلَّ الخدمات لحركة الفكر العربي المعاصر.

جمال منصور

(القائد السياسي المجاهد)

الترجمة:

من مواليد مخيم بلاطة القريب من مدينة نابلس، حاصل على إجازة في المحاسبة وإدارة الأعمال من جامعة النجاح، وكان يعدُّ للماجستير في العلوم السياسية بالجامعة نفسها. عمل مديرًا لمكتب فلسطين للبحوث والدراسات الاستراتيجية التابع لحركة حماس، وبرز متحدثًا رسميًا باسمها في الضفة، واعتقل لدى اليهود ثماني سنوات، كما اعتقلته السلطة الفلسطينية مرات، وهو من مبعدي مرج الزهور عام ١٤١٢هـ. استشهد في قلب مدينة نابلس مع آخرين إثر إلقاء الجيش الصهيوني صاروخين على مبنى الحركة، في ١١ جمادى الأولى من عام ١٤٢٢هـ، ٢٩ يوليه ٢٠٠١م.

هذا اللقاء:

أجري هذا اللقاء معه قبل أيام من مقتله، في ٦ جمادى الأولى عام ١٤٢٢هـ، الساعة الواحدة ظهرًا، ونشر في عدة مواقع على الشبكة العالمية للمعلومات، منها موقع المركز

الفلسطيني للإعلام، وموقع الكتلة الإسلامية للإعلام.

وقال محاوره:

بُعيد انتهاء جنازة الشهيد صلاح دروزة التقينا بالشيخ جمال منصور في المركز الفلسطيني للدراسات والإعلام، ولم نكن نعلم حينها أنه سيكون اللقاء الأخير الذي يجمعنا بالشهيد القائد، تحدث فيه عن الاستشهاديين، الأمنية التي طالما تمناها أصبحت نموذجا بين الناس، ليلتحق بعد عدة أيام بركب الشهداء وثلة من إخوانه، وكان اللقاء التالي:

نص الحوار

. عرفنا بنفسك لو سمحت؟

جمال عبد الرحمن منصور، الأصل من قرية سلمة، مواليد مخيم بلاطة، أسكن مدينة نابلس، يعني أجمع أطراف الحياة الفلسطينية جميعا، من مخيم وقرية ومدينة. الأصل من قرية سلمة قضاء يافا.

. هل كان والداك يحدثونك عن يافا؟

كانوا وما زالوا، لأنهم الآن جزء من الذاكرة المتكررة التي تنتقل إلى أطفالي، لو سئل ابني الصغير من أين أنت يقول من قرية سلمة.

. الآن كم عمرك؟

تجاوزت الأربعين.

. معروف أن جمال منصور مؤسس الكتل الطلابية في الجامعات، حدثنا عن هذه التجربة؟

العمل النقابي الطلابي أعتقد أنه قد يكون من أهم مراحل حياتي، إذ إنه يعتبر الانطلاقة

الأساسية والتوجه للعطاء، وللتعامل السياسي، ومعالجة القضايا العامة، والتصدي لمشاكل المجتمع، وهي مشاكل الشباب بالتحديد، وهي جزء مهم من هذا العمل، إذا أصلح هذا القطاع في هذه المرحلة من عمر الشباب، ومن عمر المجتمع، أعتقد أنها تؤسس لمجتمع أفضل بكثير، وقناعتي أن كل من تأسس في تلك المرحلة الآن يقوم بدور قيادي في مستوي من المستويات على مستوى كل الفصائل، وتحديدًا في إطار الحركة الإسلامية. المؤسسون في تلك المرحلة الآن يعتبرون رؤوس العمل الإسلامي في ٩٠ % من المواقع الإسلامية في الداخل والخارج، في إطار الحركة الإسلامية الفلسطينية.

. يعني الطالب المميز في جامعته والشاب يقود ...؟

قطعًا ، هذا يعني لا يتم نسخ تجربة، وإنما يتم بناء تجربة، وشخصية قادرة على أن تشق لنفسها طريقها بشكل مستقل قادرة على التفكير ، قادرة على الإنجاز ، قادرة على إبداع الحلول، مثال بسيط على ذلك مجموعة كانت تعمل في جامعة النجاح كلجنة طلابية مشرفة على العمل الإسلامي بعد الضربة الأولى لحركة حماس عام ١٩٨٨-١٩٨٩م، اللجنة التي تلتها في مسؤولية حركة حماس في قطاع غزة كانت خمسة من سبعة من طلبة جامعة النجاح الخريجين، بمعنى أنهم انتقلوا من القيادة الطلابية إلى قيادة المجتمع، في إطار حركة تنافس على الصدارة في إدارة المجتمع الفلسطيني سياسيًا واجتماعيًا .

. أكيد كان هناك عقبات والتركيز ٥٠ عامًا على الشعب الفلسطيني؟

شعبنا الفلسطيني يخوض معركة عجيبة في كل المستويات والمجالات، إذا ظن أحد أن المواجهة مع الاحتلال هي مواجهة فقط مع هذا المشرع في شقه السياسي نكون قد خسرنا المعركة منذ بدايتها، معركتنا حضارية ثقافية اجتماعية، معركة إنسان، معركة إنسانية، ورؤيا، ومشروع رسالة، إذا غاب عنا هذه الموضع[٣] بتقديرنا سنكون قد خسرنا من البداية معظم أوراقنا قبل أن ندخل المجابهة .

ولذلك كان الإنسان الفلسطيني يُستهدف في كل المواجهات: على المستوى النفسي، وعلى المستوى الاجتماعي. مثال بسيط على ذلك فيما يختص في هذا الأمر، أذكر المسؤول عن

(٣) لعله يعني: غابت عنا هذه الموضوعات.

إدارة السجون الصهيونية، قال في السبعينات: مهمتنا في السجن خمس سنوات أن يخرج الإنسان عالة على المجتمع. وقد كان هذا تحديا للمجتمع الفلسطيني، وللشباب الفلسطيني، فأصبح من يخرج من السجن ويقضي خمس سنوات يشكل حالة متقدمة من الوعي الفلسطيني التي تحمل من هو عالة في خارج المجتمع العادي، أصبحت مدارس بناء، كيانات جديدة، بناء مستويات متقدمة، هم روافع، فأصبحت السجون جامعات، أصبحت هذه المعتقلات كما قال أحدهم: "أرادوا السجن قبرًا فأحلنا القبر زهرًا "، ولذلك هم أصبحوا يقتنعون أن اعتقال الإنسان ليس بالضرورة قتل إنسانيته، وإنما هو بناء لإنسانية من نوع جديد.

حولنا المحنة إلى منحة.

هذه المسألة في تقديري، مجمل الشعب الفلسطيني نجح في ذلك، وإن كان هناك إخفاقات، قطعًا لا نتكلم عن صورة وردية لكل الشعب الفلسطيني، إنما نتكلم عن شعب ان يبني يستطيع ان يعيد بناء ذاته، يستطيع أن يعالج النواقص ... نموذج ما لعل العالم العربي والإسلامي عايشه، نموذج الإبعاد، قال رابين في حينها وأنا أذكره تمامًا، سأقدم على خطوة ولا أريد العالم أن يلومني عليها.

يعني أنه سيخطو خطوة جذرية تقضي على ما أسماه بالإرهاب في ذلك الوقت، فأبعد قيادات نقابية وسياسية واجتماعية وعاملين في لجان الزكاة، بمعنى أنه أراد أن يهدم البنية التحتية المرتبطة ببناء المجتمع الفلسطيني وليس بالقيادة السياسية وحدها، فأبعد قيادات من جنين إلى رفح، وكانت النتيجة بتقديري أنها أفضل سنة مرت في تاريخ الحركة الإسلامية وبنائها كانت عام الإبعاد.

. في الإبعاد كان هناك قرابة ٤٠٠ شخص، كم شابًا كان من بينهم؟

كانوا قرابة النصف، وهؤلاء الناس مثال صالح على التحدي والإصرار، أنا أحصيت أكثر من ثلاثين دورة في المجالات المتعددة قد خاضها هؤلاء الشباب، وأكثرهم قد تخرج من جامعة، أو أنهى فصوله الدراسية في ذلك العام بنجاح، وكان عندنا أربعون مساقًا يدرسون في مرج الزهور، رغم أننا كنا نعيش في منطقة تسمى أم العقارب، فأحيلت إلى مرج الزهور.

قطاع الشباب كان ليس فقط متحمسًا، وإنما مصممًا على أن يبني ويرجع غير الذي أُبعد.

. أول مرة اعتقلت كم كان عمرك؟

أول مرة اعتقلت كنت سنة أولى جامعة، ١٩ عامًا.

. كم هي فترات الاعتقال؟

كنت في مجموعه عند السلطة والاحتلال ١٦ مرة، يعني في معظمها كانت تحقيق، وفترة اعتقال إداري، تخللتها قصة الإبعاد كقضية اعتقال، ثم إبعاد، وثلاث سنوات قضيتها في سجون السلطة. ست سنوات.

. يقال إنه كان لك دور داخل السجون؟

أنا مؤمن بأمر مهم، ينبغي أن اعتبره ثمرة حياتي، وهو أنني أعتبر نفسي حيث وجدت أنني صاحب قضية ينبغي ان أعمل لها حسب الظرف المتاح، حتى لو كنت أركب في حافلة من مدينة إلى مدينة، أعتقد أن عليَّ رسالة خلال هذه المسافة.

فترة السجن إما ان تكون استهلاكًا للإنسان وقضاء على إنسانيته وفترة انتظار، أو تكون فترة بناء انتظار للدور القادم ، ولذلك كانت مهمتي الأساسية أهم دور، أنا اعتقد أنني قمت به في السجن في الفترة الأولى هو بناء علاقة وطنية مشتركة مع قوى كانت ترى في مرحلة من المراحل أن الحركة الإسلامية ليست جزءًا من النسيج الوطني في البلد ، وقعنا أول اتفاق بعد مرور أقل من عام من اعتقالي الأول في إطار الانتفاضة، وكرسنا في حينها أن هناك أرضية، أنه لا يوجد أحد كل شيء، ولا يوجد قطاع من القطاعات أو تنظيم من التنظيمات يستغني عن بقية الشعب الفلسطيني ، هذا النسيج وهذه الرؤيا انسحبت بعد ذلك على مجمل السجون، وأعتقد أن السجون الآن بطريقة أو بأخرى نمط ديمقراطي متقدم على النمط العربي السائد .

. يعني أن الوحدة تدعم التوجهات الشبابية بأن يكون الشاب أقوى؟

الإنسان غير الحر الذي لا يملك حريته وإرادته ويملك القدرة على التفكير دون ضغوط تحدُّ من حريته على الإبداع، هذا إنسان عبد حتى لو كان في إطار تنظيم سياسي ... نحن لا

نريد أن ننسخ نسخًا، أو استنساخًا لأعضاء، إنما قناعتنا بأن الشاب المهيأ للقيادة من خلال إعطاء حريته بناء ذاته، أعتقد انه سيقود ويحمل، ويكون من الرواحل، وليس ممن يُحمل إنما يَحمل.

ولذلك التفكير الحر والقدرة على الإبداع مسألة مهمة جدًا في شخصية أي شاب، في إطار الحركة الوطنية أو في إطار الشعب الفلسطيني.

بعيدا عن المثالية، عندما يكون هناك معتقل ٣٠ مؤبدًا، أو ١٥ مؤبدًا، أو ١٠٠ سنة، كيف ذلك؟

نحن نخوض سباقات وتحديًا، من يركض في سباق ١٠٠ متر يوزع نفسيته وبرنامجه النفسي وقدرته وطاقته على المائة متر، ومن يخوض سباقًا مارثونيًا يستعد استعدادًا خاصًا بذلك الأمر ، أنا عايشت من يحمل عبء المؤبدات ... ٢١ مؤبدًا و ١٧ مؤبدًا، وكان جل حديثهم أنهم يتندرون بها لاعتبارين: الأول اعتبارهم أنه عمر الاحتلال وليس الحكم الذي حكم به، وذلك هم يراهنون على زوال الاحتلال وليس على انتهاء المدة ، وقد كان أخوان يتنافسان ١٧ مؤبد و٢١ مؤبد، فقال أحدهم للآخر: سوف تعفن بعدي، يوجد أربع مؤبدات فرق بيني وبينك ، فقال له الآخر : ليست المشكلة في المؤبدات، بل في ٢١ عامًا الإضافية كيف أقضيها بعد الـ ١٧ مؤبدًا .

أعتقد أن النفس البشرية عندها قدرة هائلة على أن تحمل أحمال الدنيا، خاصة أن تكون صاحبة رسالة.

لعل هذا جانب من الإبداع، فالشاب رغم ما يدبر له كشاب فلسطيني، فهو مبدع حتى في المجال النضالي؟

أنا أضرب مثالًا على القطاع الشبابي، القطاع الشبابي قطاع متميز جدًّا، في الفترة الأخيرة ناضل الشباب في المعتقل بقوة لكي يحصلوا على الشهادات العلمية وهم في سجونهم، الآن حوالي ١٦٠ حالة أنهت البكالوريوس، وتدرس الآن الماجستير، بعضها في الجامعة العبرية.

كلهم قد أنهى من جامعة واشنطن بامتياز، وقد بزوا أقرانهم من الدارسين المنتظمين في الجامعة، وقد رأيت لهم إنجازات شهادات ودراسات ودروس وعلم، وفوجئت بأحد الناس

أجزم أنه لا يباريه أحد في الديانة اليهودية بالمطلق حتى على مستوى الحاخامات! هذا تحدّ منه [بـ]الذات، إنه يعتبر أن هذا السجن حياته، لكن ليس الحياة المغلقة، إنما الحياة المتفاعلة مع الدنيا، وذلك في تقديري أن السجون هذه التجربة القاسية، إن فكر الإنسان على أنها تحدّ وتجربة سيخوضها بقدرة عالية جدًا وإبداع متقدم.

-أهم ما فعلتم للشباب؟

أهم ما فعل للشباب هو أنهم اقتنعوا أن لهم قضية، أن لهم رسالة، وأنهم يستطيعون أن يبدعوا، وأن المستقبل لهم، وأهم ما أعطينا لهذا الشباب - أقول في إطار الحركة الإسلامية - أنهم أيقنوا لأول مرة أن القيادات التي تجلس على الكراسي ليست مخلدة، وإنما هناك تجديد وتبديل، ولعل الاحتلال كان له دور إذ قمع المستويات السياسية جميعا، ولكن بقي التجديد، وأنا لا أتفاجأ غدا [إذا] وجدت شابا في الأول ثانوي يقود الحركة على مستوى محافظة كاملة، ذلك أن هذه الروحية الجديدة جعلت تعتقد أنهم قادة، لأنهم يحملون رسالة حتى لو كانوا في أي ظرف .

. على مستواك الشخصي، هل واجهت مشاكل اجتماعية، اعتقالات مستمرة، ملاحقة متابعة، في مراحل شبابك الأولى، هل أثرت على أولادك وأهلك وبيتك، أم هذا جزء من الضريبة؟

هذا هو التحدي الذي يقول إن التجربة كانت خالصة إيجابيا، يعني أنه يكذب على نفسه، إنما المهم كيف نتعاطى مع الضغط والعقبات حتى نحيلها أمرًا ممكن التعايش معه.

الحياة ليست نزهة، الحياة تجربة، والحياة في نفس الوقت تحدّ، حياة امتحان في المفهوم الشرعي، قد تعبنا قليلاً، لكن أعتقد أن التعب لا يعلق في الثياب، إنما يعلق في النفوس، والنفس التي عندها همة تستطيع تجاوزه.

في علاقتي العائلية الحمد لله آمل أنني بنيت بيتًا رغم كل الظروف، وكنت أنتزع الأطفال من بين ظروف الاعتقال، وقد تحديت مرة أحد المحققين وقلت له: إنكم في خارج السجن تعيشون حياة عادية، كم ولدًا لك؟ قال: ولدين، فقلت له: الحمد لله، من بين ١٤ مرة اعتقال قد انتزعت خمسة أطفال، أنا أعيش حياتي الطبيعية رغم كل شيء، ونتحدى

الاحتلال، ونتحدى الواقع الصعب لكي يكون [هناك] مستقبل أجمل.

. في مرحلة من الزمن كان الإبداع أن يحمل الشاب حجرًا، رشاشًا، الآن إبداع بطريق آخر، اليوم شاب يفجر نفسه؟

مسألة الإبداع أشكال وأنماط، ولعله[٤] في مجال التصدي للاحتلال والعدوان، لأنها المهمة الوطنية الملحة الآن يجب على الناس التصدي لها، وتقاس مدى إنسانية الإنسان والتصاقه بقضية وطنه وأمته وشعبه وليس بمقدار نرجسيته واهتمامه بذاته ، قمة وذروة الانتماء الوطني أن يقدِّم الإنسان أغلى ما يملك لما يعتبره أكثر أهمية منه، وهو الوطني، الوطن والقضية والانتماء، أعتقد أن الشباب سألوا سؤالاً واضحًا باختصار، وطننا وقضيتنا أغلى من ذواتنا، ولذلك هم عندهم نظرية الآن متداولة، نحن شعب ضعيف في إمكانياته، والاحتلال قوي بما أتيح له، لكن لهذه القوة نقاط ضعف، ونحن الضعفاء لنا نقاط قوة، نقطة قوتنا تلتقي مع نقطة ضعفهم، نحن أحرص الناس على الموت فداءا للوطن، وهم يخشون الموت من أجل أي قضية، وأعتقد أننا بذلك حققنا سبقًا في هذا المجال الشبابي، الذي يكون على مقاعد الدراسة الجامعية في السنة الأخيرة وقفز فجأة ينشد التخرج من الجامعة بتخرجه من الدنيا، وهو يحمل شهادة أنه وطني، وأنه صاحب قضية وطن.

الشهيد هاشم النجار طُلب منه أن يكتب مشروعًا لصفحة في قسم الصحافة، صفحة مونتاج جريدة، فكتب المقال الأول في المانشيت: شاب في جامعة النجاح يفدي وطنه ويقوم بعملية داخل الكيان. كتبها يوم الثلاثاء واستشهد يوم الجمعة.

هؤلاء الناس يصنعون الحياة ولا تصنعهم الحياة، ويصنعون المجد ولا ينتظرون أن يسقط عليهم المجد من السماء، وأعتقد هذا قمة الإبداع، لا أظن أن الأمم، حتى بوش، أذكر في الأيام الأخيرة قد تساءل وسأل بيرس: كيف يذهب هؤلاء الناس إلى الموت بأرجلهم، أعتقد ان هذا قمة الإبداع.

عمار الزبيدي كان عمره ١٨، الأصغر بين الاستشهاديين؟

عمار الزبيدي أظنه أنه خفض السعر، بمعنى أنه جعل الناس يتسابقون بشكل أكبر،

(٤) في الأصل: مسألة الإبداع أشكالا وأنماطا ولعه.

ويشعرون أن البضاعة متاحة، وأن التحدي أصبح لكل الناس من مستوى السن الانتخابي.

سألني صحافي أجنبي عن هذا الموضوع: كيف يرسل هؤلاء الأطفال؟ قلت له: الجندي الصهيوني يدخل الجيش ١٨ عامًا ويكون جنديًا، ويقتل الأطفال وهو جندي منظم، لكن هذه مقاومة شعب، من حق الإنسان أن يقدم ما يستطيع باختيار حر لا يفرض عليه إنسان، أظن أن هؤلاء الشهداء في معظمهم كما ثبت في التحقيقات، قد فرضوا أنفسهم على العمل الجهادي والاستعداد للموت بأنفسهم، لأنهم كانوا يعرفون أنه بوابة الحياة.

من لا يفهم معنى الدافع الإيماني لا يمكن أن يستوعب ما يجري في فلسطين، خاصة مع هؤلاء الشباب المتميز العجيب، نحن على فكرة نستطيع أن نعرف الاستشهاديين قبل استشهادهم بأيام ... من عيونهم، ومن حركتهم، ومن سماتهم، حتى يكاد يجزم المواطن العادي أنه رأى استشهاديا قد مرَّ اليوم من جانبه، أو كان في الاحتفال الفلاني سمات هؤلاء الناس ... إنهم ليسوا أهل دنيا. وتأكد أن هناك تصنيفًا عند المواطنين العاديين يعرفون المرشحين من فلتات ألسنتهم وبريق عيونهم، من إحساسهم وتوقدهم للحياة، هؤلاء هم أحياء، لذلك يستحقون أن يأخذوا حياة ذات طابع أبعد مدى، لكن الأموات [هم] الذين يحرصون عليها.

الشهداء الذين قدموا في كثير منهم لم ينقصهم جاه، ولا ينقصهم إمكانيات، ولا ينقصهم مستقبل واعد، ولا ينقصهم فرص في الحياة، لكنهم وجدوا أكبر فرصة في هذا المجال، وأعتقد أنه يعني في الأمم جميعًا ذروة الأمة، فلذلك هم اجتازوا الذروة.

. حامد أبو حجلة شخصية تحب المصحف، كثيرة السخرية، بنفس الوقت من عائلة غنية؟

طالب جامعي في السنة الأخيرة، طالب في الهندسة، عضو مجلس اتحاد الطلبة، ينظر إليه باعتباره نموذجًا للشباب الناجح المنطلق كصاروخ إلى المجد، لكنه اختار خيارًا آخر يقدم نموذجًا جدًا من هذا الطموح ، إنسان أكثر طموحًا من أصحاب المشاريع، ولذلك كان هو ردَّ هذا الإنسان على من يقول عملية الاستشهاد، هي ردُّ فعل على المجتمع والحياة البائسة والفقر، كل هذه الأمور، عندنا نماذج، إن قالوا صغار نضرب لهم نماذج فوق الأربعين، إن

قالوا فقراء نضرب لهم نماذج من الأغنياء، إن قالوا عمال بسطاء نضرب لهم مثل المثقفين، أعتقد أن المجتمع الفلسطيني قد نجح في التحدي الكبير، وشبابنا كان ذروة هذا النجاح .

. هل يمكننا أن نقول إن من بين الملثمين اليوم كثيرًا من المرشحين؟

وبذور سنبلة تموت تملأ الوادي سنابل. دم صلاح [شحادة] وزع على رؤوس كل أهالي المنطقة، وزرع في كل قلب، كل واحد منهم جمرة وحسرة، ولكن في نفس الوقت رفع في داخلهم شعلة، ورفع فوق رؤوسهم راية، وقدم لهم سؤالاً.

أعتقد أنهم خسروا خسارة هائلة باستهداف هذا الرجل الذي انتزعه من الصفوف الأولى، فأصبح المتشوفون لقيادة الأمة وتقديم الدور والنموذج حين رأوا الكرامة له هذا اليوم، وسنجدها في الأيام التالية، ولو أتحنا الفرصة لعمل تأبين بشكل موسع لن يكون أقل من خمسين ألف شاب سيكون في هذه المواقع، وانظر كم نسبة من يزرع في داخلهم الاستعداد أن يكون على الطريق من ثمرة ذلك.

.... الاحتلال هو الخاسر.

. هل فعلاً هؤلاء الملثمون الاستشهاديون هم مشاريع قادمة؟

أنا أنظر إلى الذين يمشون على الأرصفة وهم صامتون عندهم غضب صامت يفجرونه فعلاً، ان الذي يصيح غالبًا ما يفرغ الشحنة الموجودة داخله ولا نتوقع منهم، معظم الشباب الذين استشهدوا من الهادئين الصامتين الذي ليس لهم ضجيج، هؤلاء الناس يدخلون هذه الدنيا بهدوء ويخرجون منها بصخب، صوتهم أعلى.

. أنا قرأت في مجلة مقولة بأن مئة استشهادي يسيرون في جنازة في الخليل؟

هذه مسائل رمزية، لكن تكشف الماشين على الأرض صفة البعيدين في أطراف المسيرات الذين يكونون يفكرون كيف يأخذون ثأر هذا الشهيد، هم الذين يقدمون، وليس الذين يكونون في وسط المسيرات، هؤلاء الناس يمثلون رغبة الناس في التعبير عن هذا الموقف، هذا موقف، لكنه ليس التحدي الحقيقي، التحدي الحقيقي في قلوب الناس.

. الطفل الذي يربط رأسه بعصبة ويقف على حافة قبر صلاح اليوم، بدلاً من أن يلعب

يشارك ويشاهد ويزاحم الناس، ويهتف ويكبر معهم في الجنازة؟

الاحتلال غبي وغير موفق ، ما فعل فعلاً إلا وجنى ثمرة معاكسة، هؤلاء الأطفال الذين زرع فيهم هذه المعاني الروحية، والاستعداد للمواجهة، والارتفاع إلى مستويات الرجال وهم أطفال، هو من فعل الاحتلال، الذين ذهبوا إلى السيارة وهي محطمة بالصواريخ رأوا أنهم قد يفعل بهم ذلك في أي لحظة، فيجب أن لا يتركوا للاحتلال هو أن يختار موتتهم، هم يختارون كيف يموتون، هذا تحدّ عجيب ، انزل إلى رياض الأطفال تجد نماذج هذا الوعي في هذه المرحلة، والتحدي أصبح أكبر من أن يُحاط ليبيدوا الشعب الفلسطيني إذا أرادوا مواجهة هذا الشعب، كما قيل في الماضي: لا تستطيع مواجه انتفاضة الحجر إلا بجمع كل الحجارة من فلسطين.

. جمال منصور!! هل بينك وبين أي أحد من الاستشهاديين علاقة خاصة، صديق قريب أو أحد منهم أثر فيك رحيله؟

أنا للأسف لم يكن لي أي علاقة خاصة بهم، لطبيعة عملي، ولكن كنت أحسّ أن كل واحد منهم جزء من حياتي، وأنه يعبر عما اعتقده في الحياة من دور، ولذلك أمنياتي كانت في الدنيا هؤلاء الشباب، ليس أن يكونوا بين الناس فقط، بل يقدموا نموذجًا بين الناس، كل منهم، لكن من أعرفه شخصيًا يكون له تأثير أكبر، المعرفة موجودة، كلنا دهشنا منهم، ولعل نوعًا لا أقول الحسد، وإنما أغبطهم على أنهم كانوا أسبق منا في أداء الدور والواجب، هناك تأثير يحظر علينا أن ندمع، أن نبكي، رغم أنها مشروعة، لأننا في المقدمة إن بكينا نحن سينهار غيرنا، ليبكِ الناس، ولكن علينا أن نرفع الهمم وليؤدوا الواجب .

حسين عرب

(أول وزير للحج)

الترجمة:

ولادته في مكة المكرمة، اشتهرت أسرته بالدين والعلم والأدب في الحجاز، واشتغل هو بالصحافة، وتقلب في وظائف حكومية بديوان نائب الملك ووزارة الداخلية، وتعيَّن أول وزير للحج والأوقاف في شوال عام ١٣٨١هـ، واستقال لأسباب صحية في رجب ١٣٨٣هـ، واعتبر كاتبًا اجتماعيًا لبقًا، وشاعرًا موهوبًا، لخدمة أمته الإسلامية.

وصدر ديوانه في مجلدين، وقدِّم في شعره رسالتا ماجستير.

ومن شعره الإسلامي:

إنما العيد أن تعود فلسطين

إلى أهلها الأباة الصيدِ

إنما العيد أن يعود إلى الحق

المضلون بالهوى والوعودِ

إنما العيد أن يسود السلام الأرض

أو يختفي ضرام الحقودِ

إنما العيد أن ترفرف في الشرق

وفي الغرب راية التوحيدِ

وقد توفي يوم الاثنين ١٦ صفر ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

هذا اللقاء:

نُشر هذا اللقاء بعد يوم واحد من وفاته، وهو ذكريات وأدب، ومن المؤسف أن لا يكون فيه حديث عن الحج وإدارته في زمانه، ولكن فيه تأريخ وفائدة.

وقد حاوره في هذا اللقاء حسن محني الشهري، ونُشر على صفحات جريدة (الجزيرة) العدد ١٠٨٠٦ بتاريخ يوم الثلاثاء ١٧ صفر ١٤٢٣هـ. قال المحاور:

وأنا أعد مادة هذا الحوار لإرساله للجريدة بعد أن تشرفت بلقاء الشاعر العربي الكبير معالي الأستاذ حسين عرب، وذلك لعمل ملحق تكريمي له في حياته، إذ بي أتلقى اتصالاً هاتفيًا يوم أمس الاثنين ١٤٢٣/٢/١٦هـ يخبرني فيه المتصل بوفاة الشاعر الكبير حسين عرب.

كان وقع الخبر أليمًا وصاعقًا ومفاجئًا.. فماذا عساني أن أقدم لهذا الشاعر الكبير والأديب الضخم «في حياته» كمقدمة لهذا الحوار.. وماذا عساني الآن أن أفعل.. ما هي المقدمة التي سأضعها لهذا الحوار بعد رحيله المؤلم..

ماذا سأقول أكثر من «رحمك الله يا شاعر الأجيال والشباب.. وإن أي مقدمة تقصر عن قامتك السامقة يا شاعرنا الكبير».

أعزائي إليكم الحوار كما تم.. دون أية مقدمة!!

نص الحوار

جيلي.. هو الأفضل

*** أنتم من الرعيل الأدبي الأول في المملكة.. وأحد رموزه الشامخين إلى الآن، مع كوكبة**

لامعة تحتفظ ذاكرتنا الجمعية والأدبية بأسمائهم رغم رحيل معظمهم – أطال الله بقاءك – ثم ظهرت بعدكم أجيال أدبية حققت تميزًا أدبيًا ومكانة كبيرة.. ما رؤيتكم الآن بعد كل تلك التجربة لمسيرة أدباء العصر.. وكذا مسيرة أدباء الساحة الآن..؟

– في جيل الرعيل الأول من الأدباء كانت هناك كوكبة من الأدباء والشعراء المتميزين.. بل إن بعضهم يرتقي في مستواه من المكانة المحلية إلى المكانة العربية، رغم حداثة العهد بالأدب المعاصر من شعر وأدب..

وكان أهم ما يميز أبناء جيلي من هؤلاء الأدباء والشعراء أنهم بنوا أنفسهم أدبيًا بأنفسهم.. أي كانوا أكثر اجتهادًا وقراءة ونشاطًا.. ومما ساعد على ذلك في ذلك الوقت هو عدم توفر التعليم بهذا المستوى.. فلم تكن الجامعات قد ظهرت بعد، وكان التعليم مركزًا على النواحي الدينية والتراثية.. وأغلبه كان عبارة عن كتاتيب أولية ومدارس ابتدائية قليلة، ثم معهد أو معهدين في المملكة ككل.. وحتى على المستوى العربي لم يكمل كثير من الأدباء الطريق التعليمي أو المستوى الدراسي، مثل الأديب الكبير عباس محمود العقاد ومصطفى صادق الرافعي وغيرهما، فقد كانت سمة غالبة في هذا الوقت.. ولكن الفرق بين الأدباء والشعراء في مصر مثلاً والذين لم يكملوا تعليمهم، هو وجود وسائل ثقافية أخرى، لعل أبرزها انتشار الصحف التي كانت تهتم كثيرًا بالثقافة والأدب حتى أكثر من هذه الأيام.. حتى الموقع الجغرافي لمصر ساعدها على التواصل الأدبي مع الدول الأخرى بسهولة.. وظهر لذلك اختلاف في النظرة للأدب عن الأدباء المصريين لاختلاف المستويات التعليمية والثقافية لأدبائها.

إذن بشكل عام فإن جيلي كان أقل تعليمًا، لكنه أكثر نشاطًا وقراءة والتصاقًا بالجذور والثقافة العربية الأصيلة.

أما الجيل الحالي من الأدباء والشعراء والنقاد فقد بنوا أنفسهم ثقافيًا من باب التعليم أولاً.. وعندنا هنا في المملكة أجيال جديدة أدبية تمثل ثروة طيبة للإنسان العربي والشارع العربي.. وإن كنت أرى بشكل عام أن بعض الشعراء المعاصرين لا يستطيعون الوصول إلى المستوى الذي كان موجودًا عند بعض الشعراء السابقين من جيلي على سبيل المثال، ولكنهم على

أي حال يبشرون بخير كبير، وهناك أسماء بالفعل جيدة ولكنني لا أتذكرها دومًا، وأشعر أن البعض منهم يمتلك موهبة عظيمة.. وإن كان لي بعض الآراء في مسألة الاهتمام الزائد بشعر التفعيلة أو ما يسمى بالشعر الحر أو شعر الحداثة كما يسميه النقاد.. ففي رأيي أنها أشياء بادت.. والشعر العربي الفصيح هو الباقي، رغم أن شعراءه أقل الآن.

العلاقة بين الصحافة.. والأدب

*** رغم أن الجيل الأول اعتمد على تثقيف نفسه بنفسه.. إلا أن المتابع لبدايات الصحافة السعودية يجد أن الصحافة في تلك الفترة كانت تعتمد في إدارتها وتحريرها وأسلوبها وشكلها على الأدباء فيما يعرف بعد ذلك بأدب الصحافة أو صحافة الأدب، الآن بعد التطور الهائل في وسائل وتقنية الصحافة وظهور صحفيين متخصصين.. كيف تقيِّمون العلاقة بين الصحافة والأدب قديمًا.. وحديثًا؟**

- لكل زمن وقته ورجاله وأدبه وصحافته.. والزمن لا يقف.. وللحقيقة فإن الزمن اختلف الآن عما سبق في أشياء كثيرة، خاصة في الأدب والصحافة.. ففي جيلنا الأول كانت الصحافة تعتمد أكثر على الأدب والأديب؛ لأنها لم يكن لديها وكالة أنباء متخصصة تضخ أخبارًا مستمرة ومن كل أنحاء العالم وفي شتى مجالات الحياة، كذلك لم يكن قد ظهر التلفاز بعد، الذي أخذ الناس وبهرهم بالصوت والصورة والحركة، وهو منافس خطير للصحافة، إذ إن فيه متابعة سريعة للأحداث مع ظهور تعليقات وتحليلات أيضًا.

إذن كان اعتماد الصحافة الرئيس في ذلك الوقت يقوم على المقالات الأدبية والاجتماعية والسياسية.. والأهم هو الإكثار من الشعر والقصة والنثريات.. وهذا كله يحتاج إلى أسلوب أدبي، ويكتبه أدباء متخصصون في الأدب، ويبقى بعد ذلك في صحافة جيلنا (الأخبار)، وكانت قليلة لو قورنت بالأدبيات وقتذاك، إذ كانت الأخبار إما أخبارًا خارجية تؤخذ من الصحف الأجنبية، أو أخبارًا محلية محددة.. كل هذا يعطي انطباعًا بأنه ثمة عدم احتياج إذن لصحفيين متخصصين، بل أدباء يشكلون مادة من نوع جديد في شكلها وصياغتها فقط.. والأهم من وجهة نظري أن الأديب لم ينزل بأدبه أو أسلوبه ويسهِّل منه من أجل إرضاء

الجمهور أو القارئ.

.. أما الصحافة الآن في هذا الجيل فقد اختلف الوضع تمامًا. فالصحافة قد تطورت شكلاً ومضمونًا ولغة وأسلوبًا، وصارت أكثر تخصصًا.. والمعنى أن الصحافة حتى تجاري الأحداث صارت تعتمد على الأخبار أكثر.. وتلك الأخبار لا تحتاج في جلبها أو صياغتها أو كتابتها الجماهيرية إلى كثير من الإبداع الأدبي والأسلوبي.. بل إلى صياغة سهلة التناول تقترب أكثر من القارئ الذي يحتاج إلى خبر سريع فقط، ولا يحتاج إلى وصف أو تحليل، أو حتى مقالات وتعليقات.. ومن هنا قلَّ الاهتمام في الصحافة بالاعتماد على الأدباء، بل اعتمدوا على أجيال جديدة هي أقرب للصحافة منها للأدب، أو أقرب للتسويق الخبري، مع الاحتفاظ في نفس الوقت برشاقة أسلوبية خاصة، ولكن يظل الأديب له مكانته، فظهر ما يسمى بكتّاب الصحافة وكتّاب الأعمدة، فظهرت كليات إعلامية متخصصة تقرِّب بين الأديب والصحفي.. كما زادت المجلات انتشارًا.. واهتمت الصحافة بالتقنية والطباعة الحديثة. ومع انتشار التعليم وعندنا ما يقارب الآن الثماني جامعات زاد عدد المثقفين، وكذلك القراء، والأهم عدد الصحف.. فساهم المثقفون ذوو الموهبة في تطوير الصحافة، أما الأدباء والشعراء زمان فهم كانوا عمالقة الصحافة.. وممن جمعوا بين الصحافة والأدب والشعر، وصاروا عمالقة في الاثنين.. أذكر منهم حمزة شحاتة، وحسين سرحان، ومحمد حسن فقي.

التكوين الشعري.. والنشأة

*** أنتم من جيل يسكن الذاكرة الآن أدبيًا وتاريخيًا.. كما أنكم تملكون مسيرة أدبية وصحفية وشعرية ضخمة.. هل لكم أن ترسموا لنا عن هذا العبق التاريخي للأجواء الأدبية والفكرية للمملكة عامة ولمكة خاصة في بدايتكم؟**

- أنا من أسرة آل عرب التي حطت بمكة منذ القرن الحادي عشر للهجرة، وتتفرع الآن في مدن كثيرة بالمملكة.. وهي أسرة اشتهرت بالدين والعلم والأدب في إقليم الحجاز، إذ كان جدي الشيخ إبراهيم عرب مدرسًا في المسجد الحرام، وجدي الآخر الشيخ حسن عرب خطيبًا وإمامًا له.. واشتهر في الأدب منهم الأستاذ محمد عمر عرب. وأنا ولدت في شعب

عامر بمكة المكرمة عام ١٣٣٨هـ. وقد توفت والدتي مبكرًا فأثر ذلك في نفسيتي كثيرًا واعتراني حزن مبكر.

ومن ناحية التعليم فقد ذهبت إلى إحدى الكتاتيب المنتشرة وقتذاك في مكة، فتعلمت فيها مبادئ القراءة والكتابة والحساب، ثم التحقت بالمدارس الحكومية.. حيث كانت المرحلة الأولى تحضيرية، وهي سنتان، كنا ندرس فيها القرآن والتجويد والخط والإملاء وبعض العمليات الحسابية البسيطة. أما المرحلة الثانية فكانت أربع سنوات، ثم التحقت بمدارس الفلاح، ولم أمكث بها طويلاً، إذ ذهبت إلى المعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة ثلاث سنوات، تخرجت فيه بتفوق، حيث ظهر اهتمامي واضحًا في ذلك بالشعر، ساعدني في ذلك استماعي وشغفي للقصائد التي كان ينشدها بعض المداحين اليمنيين على الرسول صلى الله عليه وسلم وآل بيته وأصحابه بقصد التكسب، حتى إنني كنت أعطيهم من مصروفي البسيط وقتذاك.

وكذلك تأثرت بالاجتماعات أو ليالي السمر التي كانت تعقد في منزل والدي، الذي كان بعض رجال البادية ممن ولعوا بالشعر والأدب يجتمعون في دارنا ويأخذون في تبادل القريض فيما بينهم، ويروون الأشعار والأخبار المختلفة، أذكر منهم عبدالمحسن الهزاني وابن سبيّل.. وكانت تؤدى هذه الأشعار مصحوبة بالنغمات..

رحلة الأدب.. والحياة

*** لكم رحلة أدبية وحياتية طويلة وعامرة بعد ذلك.. كيف خرج حسين عرب من أجواء مكة إلى الصحافة والحياة والوزارة والتكريمات، أي كيف تواصلت رحلتكم الخاصة والعامة بعد ذلك؟**

- في مرحلة الصبا والشباب المبكر كنت مولعًا بالقراءة لدرجة شديدة، فكنت مرتادًا دائمًا لمكتبة المسجد الحرام، ومتتبعًا لإصدارات جريدة «أم القرى» الشهيرة وقتذاك، فكنت أقرأ للغزاوي والزركلي وعواد والأيوبي.. ثم حين دخلت المعهد العلمي وجدت المناخ المناسب لظهور موهبتي بمساعدة مجموعة من الأدباء الكبار، أمثال أحمد العربي مدير المعهد آنذاك،

وحسن كتبي، وأحمد السباعي، وأحمد عطار، وأتذكر وأنا طالب أنني دخلت مسابقة شعرية لاختيار نشيد وفزت في تلك المسابقة، ثم فزت في مسابقة أخرى بمدينة الطائف. وبعد ذلك فزت في مسابقة في إذاعة لندن.

المكونات الثقافية.. والحياة العملية

*** هل لنا أن نسألكم عن الكتب التي جذبتكم في هذه الفترة؟ أو بمعنى آخر.. مكوناتكم الثقافية في تلك الفترة؟.**

- بشكل عام التراثيات العربية الأصيلة، مثل مؤلفات الجاحظ، وأمالي المرتضى، ومؤلفات أبي حيان التوحيدي، ونهج البلاغة والمعلقات، والدواوين الشعرية لمعظم شعراء العربية، كأبي تمام والبحتري والمتنبي وامرئ القيس وزهير والأخطل وذي الرمة والأحوص، وحتى الشعر الحديث كنت أقرأ لشوقي وحافظ والبارودي وطه حسين والعقاد والمازني والحكيم والمنفلوطي، ومن الشام كنت أقرأ لمطران والأخطل الصغير وأبي ريشة.

وأذكر أنه تطورت قراءتي إلى التاريخ والسياسة خاصة بعد اهتمامي بالصراع مع الصهاينة.. وبعد ذلك تابعت وراسلت الصحف العربية، مثل مجلة الرسالة للزيات التي سببت لي شهرة في مصر، حتى طلبني الدكتور طه حسين للكتابة في جريدة «الكاتب المصري»، وبعملي وتحريري في جريدة «صوت الحجاز» تعرفت على كثير من الأدباء، ثم بعد ذلك ومع وظائفي وسفري لكثير من بلدان العالم زادت ثقافتي، وكذلك عملي في وزارة الداخلية وكوزير للحج والأوقاف جعلاني أقترب أكثر من قضايانا العربية والإسلامية خاصة القضية الفلسطينية.

شعراء لا يكتبون الغزل

*** أنتم توليتم مناصب كبيرة، منها منصب وزير الحج والأوقاف، ثم مناصب أخرى في وزارة الداخلية.. وسط هذه الأعباء العملية.. أين كان شعر الغزل في فترة الشباب..؟**

- لم نكن نكتب الغزل في ذلك الوقت.. فالأجواء لا تسمح، وطبيعة التربية وما نقرأه والمحيط

العام.. حتى الغزل فيما بعد يخرج متعفنًا[٥] بطبعه لا يهدف إلى الجمال الحسي أبدًا.. بل غزل يرتقي بالمشاعر الإنسانية أو هو غزل في الجماليات بشكل عام.. جزء صغير من معانٍ كبيرة.

شعر النقائض

*** هل هناك نوع معين من الشعر كان يجذبكم وقتها؟**

- كان يشدّني شعر النقائض، الذي كان معروفًا وقتها.

ناقضت سرحان وشحاتة

*** هل تؤمنون بفائدة شعر النقائض، وهل جربتموه مع أحد من الشعراء المعاصرين لكم؟**

- أنا أرى أن فائدة شعر النقائض اجتماعية في المقام الأول. وقد جربته مع أصدقائي حسين سرحان وحمزة شحاتة، حيث جاريتهما في بعض القصائد، وهذا يعود إلى الصداقة التي ربطتني بهما أيضًا.

*** وهل ضمَّت دواوينك بعض الأشعار من النقائض؟**

- ضمت بعضها.

*** من المعروف عزوف الكثير من جيل الرواد لجمع أشعاره.. كيف جُمعت أشعارك.. وما هي الدراسات التي كُتبت عنكم؟**

- جمعت أشعاري في مجموعة كاملة صدرت في جزأين بمقدمة للناقد عبدالله الغذامي.. أما أشعاري فنزلت قبل ذلك في مجلات كثيرة.. وقدمت الباحثة سارة محمد الراجحي رسالة ماجستير عن أشعاري منذ سنوات، كما قدمت في مصر عدة رسالات عني وعن أشعاري.

(٥) هكذا في الأصل، ولعلها (متعففًا).

أنا.. أكثر المكرمين

*** بعد تلك الرحلة وهذا العطاء.. كيف تنظرون للحظات التكريم في حياتكم، سواء داخل أو خارج المملكة.. وما هي تلك التكريمات؟**

– أنا أحمد الله أكثرُ المكرمين من الشعراء القدامى.. وهذا بفضل الله، فقد كرمت منذ الصغر بجوائز كثيرة.. وفي حياتي كرمت من عدة جهات، مثل أخذي وسام ميدالية الأدباء بإندونيسيا، ووسام من مصر أخذته من رئيسها حسني مبارك، وخليجيًا كرمت في مدينة مسقط في مؤتمر مجلس التعاون الخليجي كأحد الشعراء السعوديين من الرواد.. وكرمت من قبل رئيس رعاية الشباب في المملكة، وكذا كرمت من أدباء الأوقاف والحج.

*** كيف تنظرون إلى الصالونات الأدبية ودورها في تكريم الأدباء؟**

– هذا عمل جميل.. وأذكر على سبيل المثال اثنينية الشيخ عبدالمقصود خوجة التي هي مفتوحة أمام الجميع، وتكرم أصحاب المواهب، وهذا دور اجتماعي وأدبي أرجو استمرار عطائه.

محمد حسن بريغش

(أديب إسلامي ريادي)

الترجمة:

من بلدة التل القريبة من دمشق. حصل على إجازة في اللغة العربية من جامعة دمشق، درَّس، وتابع عمله في الرياض بقسم المناهج في الرئاسة العامة لتعليم البنات، وكان أحد مؤسِّسي رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وشغل فيها منصب أمين السرِّ بمكتب البلاد العربية للرابطة، وكتابه «مصعب بن عمير الداعية المجاهد» يدلُّ على عمق ثقافته الدعوية وبلاغته وفصاحته وقوة تأثيره. وقد توفاه الله تعالى يوم السبت مغتربًا في الرياض ١٩ جمادى الأولى ١٤٢٤هـ، ١٩ تموز ٢٠٠٣م.

هذا اللقاء:

نشر هذا اللقاء في ملف خاص عنه بعد وفاته في مجلة (الأدب الإسلامي) المجلد (١١) العدد (٤٢) عام ١٤٢٥هـ، ص٤٢- ٤٥ أجراه معه الأستاذ خالد الدادسي في المغرب، ولم ينشر من قبل. وفي تقديم له أنه «كتب ونقد وأصَّل في السيرة التاريخية والقصة والرواية وأدب الأطفال والتربية المنهجية».

ولعل آخر لقاء معه كان في (قناة المجد) الفضائية، إلا أن تصوير الحلقة توقف بعد أول

فاصل، حيث لم يستطع الضيف المتابعة، بسبب حالته الصحية، وكان مصابًا بمرض القلب. وأرجئ تصوير الحلقة، وتوفي رحمه الله قبل إتمامها.

نص الحوار

*** من هي الأسماء الأدبية والنقدية المفضلة لديك؟**

لا أود تحديد أسماء معينة؛ لأن كل نص جيد موضع تقدير وتفضيل، وكل نقد جيد وموضوعي وبنّاء موضع تقدير واهتمام، وكانت مجلة الفيصل قد نشرت لي في العدد ٢٤٨ صفر ١٤١٨هـ الموافق يونيو - يوليو ١٩٩٧م، في صفحة ٧٨- ٨٢، تحت عنوان (وقفات وذكريات) ما يفيد في هذا الموضوع، وهذا لا يمنع من الإعجاب بأعمال أدبية لأدباء مختلفين دون النظر لميولهم وأفكارهم، وكذلك في النقد.

فلقد أعجبت ببعض الروايات لنجيب محفوظ، ولم يرتق فيما كتب إلى هذه الروايات، ولكن الشهرة غطت على كثير من رواياته، وأسهمت في قبولها... وأعجبت بروايات حنا مينه رغم مضامينها التي لا أوافق عليها، ولباكثير روايات ومسرحيات ممتازة ولمحات ذكية، ولم يأخذ حقه من النقد، والعقاد كاتب قوي في نقده ونقاشه وعرضه لبعض الشعراء ولاسيما ابن الرومي، والمازني موهبته أدبية، والرافعي لون خاص قرأ كل ما نشر، عربي جلي العبارة، قوي التراكيب، عميق التصوير، دقيق في التعبير عن خلجات النفس، وسيد قطب قمة في الأسلوب الأدبي الممتع، قوي في النقد، ذواقة قدير عميق، وعماد الدين خليل كاتب موهوب، يغطي أسلوبه على فكره، وتظهر عباراته الشاعرية في شفافيتها فيغفو على نسماتها ونعومتها وجمالها القارئ، ويقبل ما فيها، ولو كان ضعيفًا أو غير صحيح، أحبه أخًا عزيزًا، جمعتنا أواصر الأخوة وهموم الأدب والفكر.

هنالك أسماء كثيرة جدًا من القديم والحديث في مختلف فنون القول لا مجال الآن للتحدث عنها أو ذكرها.

*** ما هي اهتماماتك العلمية اليوم، وماذا عن مشاريعك استقبالا؟**

اهتماماتي الحالية في عدد من الموضوعات، وأولها قضية التربية، لأنها مفتاح المستقبل والتغيير نحو الأفضل. الغرب أمسك مقاليد التربية في العالم الإسلامي، وصاغ الأجيال على منوالها، ولذلك حقق هذا التفوق والسيطرة، ولم يعد بحاجة إلى جيوش ومعارك بالسلاح، والأمر في غاية الأهمية والدقة، والخلق فيه كثير وكثير من العلماء لم يعودوا يتبينون أمور التربية بشكل صحيح.

والموضوع الثاني وهو فرع من الأول، ما يتعلق بالأطفال، ومنه أدب الأطفال.

والموضوع الثالث وله علاقة بالأول، وهو موضوع المرأة وإعدادها.

والموضوع الرابع موضوع الأدب وتحريره من براثن المناهج الغربية، ويدخل فيه الشعر والقصة والمسرح والتراجم والنقد... وأتابع هذه الموضوعات وأعد بعض الكتب عنها.

*** أنتقل فيما يلي إلى مناقشة أعمالك الأدبية والنقدية، وأستهلها بالسؤال عن سر اهتمامك بفني السيرة والقصة إبداعًا ونقدًا، وما حظ المعاصرين في تراجمك؟**

اهتممت بالسيرة لأنها توفر الفرصة لرسم صورة واقعية تاريخية أمام الأجيال، ولذلك – كما قلت في بعض الكتب – لم أنظر للأمر من باب فن السيرة بقدر ما حاولت وضع صورة حية ناطقة أمام الشباب والجيل، وربما نجحت أو لم أنجح في ذلك، ولكن هذا الهدف كان واضحًا أمامي.

وأما القصة فلأنها تأخذ مساحة تبلغ أكثر من نصف الإبداع الأدبي الحديث، فضلاً عن أنها أصبحت وسيلة لطرح الأفكار والرؤى والفلسفات والآراء، وهي قادرة على تصوير كثير من الأمور، ووضعها أمام القارئ بصورة حية فاعلة. ولذا فالاهتمام بها يفتح مجالاً أمامنا لمعرفة العصر وطرح الأفكار ومناقشتها، ولا ننسى أن الله عز وجل اختار القصص في كتابه الكريم ليلفت انتباه المسلم إلى كثير من العبر، ولتقرير كثير من الحقائق، ولرسم خطوط المستقبل ومعالم الهدى.

أما عن تراجم المعاصرين فهي موضع اهتمام، ولاسيما أن أصحاب الآراء الغربية والمعتقدات المادية شوهوا الحقائق وصوروا الحاضر كما يريدون، وكتبوا عن المعاصرين بما يحلو لهم، وأوهموا الجيل الحالي أنهم هم صانعو كل شيء عن طريق ما كتبوه عن شخصياتهم ورجالاتهم، بينما

ظل المثقفون والعلماء الصالحون طيَّ النسيان، وبدأ بعض الغيورين في الالتفات إلى هذا الأمر والكتابة عن عدد من الشخصيات الإسلامية في العلم والأدب والفكر والتربية والدعوة؛ لأنهم كانوا بناة حقيقيين، وكان لهم دور وفضل في عصرهم، ومن ذلك أن مؤسسة الرسالة ودار البشير قد بدأت سلسلة بعنوان أعلام المسلمين المعاصرين، أو أعلام الإسلام المعاصرين، وصدر منها ثلاثة كتب عن الدكتور مصطفى السباعي وأبي الأعلى المودودي ومحمود شاكر، وهناك أسماء كثيرة مطروحة للكتابة عنها على مساحة الوطن الإسلامي كله، وسيصدر تعريف بالسلسلة لدعوة الكتاب والقادرين على عرض صورة هؤلاء الأعلام.

*** ما رأيك بالتفصيل في الأدب الإسلامي في المغرب المعاصر والشعر منه على وجه الخصوص؟**

إنني سعيد ومسرور باهتمام الكثيرين في المغرب بالأدب الإسلامي إبداعًا ونقدًا، وهناك مواهب وطاقات جيدة وممتازة وواعدة، ولكن هناك غبش – وهذا أمر طبيعي – فالغرب يهيمن على عالمنا كله بالمعلومات والأفكار والمنتجات الحديثة والاكتشافات المبهرة والتقدم التقني والمادي، وهذا الوضع – فضلاً عن الهيمنة الاقتصادية والعسكرية – يؤثر في هذه الأجيال، وتختلط الحقائق بالأوهام، والمادي بالمعنوي، والمنتج الحضاري بالحضارة، والسبب بالنتيجة. وأفكار الغرب تسوق لنا عبر الوسائل الإعلامية المختلفة وبصور أخاذة ومبهرة ومؤثرة، بل إن هذه الأفكار مبثوثة في مناهج تعليمنا في مختلف المراحل. ولذلك أضحى عسيرًا التمييز الدقيق، وأصبح الغبش قائمًا ومهيمنًا، ولا أستغرب ما أراه هنا وهناك من هذا الأمر، ولا أستغرب تسرب هذه الأفكار والصور عبر إبداعاتنا المختلفة ونقدنا، وقد أشرت إلى ذلك فيما كتبت، ولاسيما في كتاب «الأدب الإسلامي أصوله وسماته»، وغيره أيضًا، وعندما أسهمت في الرد والتعقيب على ما قاله الدكتور عبدالله الغذامي في جريدة المسلمون وما طرح من آراء عن الحداثة.

ولذلك مع إعجابي وفرحي بالأدب الإسلامي بالمغرب، فإنني أتمنى أن يأخذ طريقه الصحيح، وأنطلق في ذلك من حقيقة واضحة، وهي أن الأدب الإسلامي يعتمد على خاصيتين: الأدب والإسلامية، والإسلامية ليست اجتهادًا، إنها عقيدة ربانية واضحة محددة، وأحكام شرعية ومبادئ ثابتة غير قابلة للتغيير والتبديل؛ لأنها من الخالق الحكيم العليم الخبير، وإن

محاولات البعض في هذا الأمر في تجاوز النصوص الواضحة وتفسير الأدلة نوع من الإنكار الخفي والتطاول على الله العزيز العليم، وكأننا ندَّعي بأن الله عز وجل لم يكن يعلم أنه سيكون هناك عصر التكنولوجيا والصواريخ والحاسب الآلي والمعلومات، ولذلك فإننا نحتاج إلى رؤية تتجاوز هذا التصور، وأستغفر الله على ذلك.

إن العالم الغربي تيار جارف ظاهره الرحمة وفي داخله العذاب، وبرغم ما فيه من مظاهر مبهرة، فإن عوامل انهياره وتحطمه قائمة، وتدهوره قادم بإذن الله، ونحتاج إلى نظرة شاملة ثاقبة، تتجاوز هذه المظاهر إلى الحقائق، وتتصدَّى للعدوان على هذه الحقائق بصبر وبصيرة ووعي، والمستقبل للإسلام؛ لأنه الوحيد الذي ينصر الإنسان ويحقق له السعادة والتقدم الحقيقي. الإنسان الحالي أصبح عبدًا للتقنية، عبدًا للآلة، عبدًا لهذه الطاحونة التي لا تهدأ باسم التنمية والتطور و..... والملايين يجوعون ويموتون، والقلة الشيطانية تعبث بمقدرات الأمم، وتلهو بتجارب تكلف المليارات، من أجل مجد شيطاني لا طائل تحته، ولا هدف إلا السيطرة والهيمنة.

لقد استطردت كثيرًا وتجاوزت الموضوع المطروح، فمعذرة...

المهم، الشعر لديكم – في نظري – سار في كثير من الأحايين – مع التيار الجارف باسم الحداثة، وركب الموجة، وأصبح بمقدور كل من يستطيع كتابة كلمة مؤثرة أن يكتب شعرًا باسم الشعر الحديث، وهناك – كما قلت – ثوابت عندنا، فالقرآن الكريم ليس شعرًا، والرسول صلى الله عليه وسلم ليس شاعرًا أو لا يقول الشعر، بمنطوق النصوص الثابتة الصحيحة، ولكنه بمقاييس الشعر الحديث فكثير من سور القرآن الكريم شعر، وكثير من الأحاديث الشريفة شعر.... هذا تخريب – كما يصرح الحداثيون – للغة والمصطلحات والحياة كلها، يريدون صنع عالم شيطاني غير ثابت يتصرفون فيه كما يشاؤون، فلماذا نستجيب لهم، ستمضي الموجة إن شاء الله وتبقى الحقيقة.

*** ما سبب غياب الأدب المغربي في دراساتك، اللهم إذا استثنينا تلك القراءة اليتيمة في مجموعة على درب الله للريسوني، وكذا غياب الأدب الإسلامي القديم.**

أما عن غياب الأدب المغربي عن دراساتي، فلعدم توافر الوقت، وإلا لدي مشروعات لدراسة

عدد من الأدباء ونتاجهم، ولدي تواصل مع كثيرين، وربما كان العمل الوظيفي يأخذ أكثر وقتي، ولا يترك لي فرصًا للكتابة المتأنية، ولكن سأكتب إن شاء الله عن هذا الأدب، وكتاباتي عن الريسوني قديمة، وإن كانت تحتاج إلى مراجعة. وكذلك بالنسبة للأدب الإسلامي القديم، يحتاج إلى الوقت، ولدي طموحات كثيرة، ولكن أسأل الله العون.

*** يلاحظ المتتبع لدراساتك النظرية تحديدًا أنك ما زلت تهتم بقضايا متجاوزة ومطروقة تتعلق بوجود الأدب الإسلامي وماهيته وحقيقته ووظيفته وسماته، إضافة إلى قضية الالتزام ونحو ذلك، ألا ترى بأن الباحث اليوم مدعو إلى الاهتمام بالموضوعات المستجدة والملحة؟**

أما في دراساتي النظرية فهي مطروقة، ولكنها غير واضحة، فمسألة وجود الأدب الإسلامي ران عليه كثير من الغبش، وأصبح المصطلح وكأنه حديث لا علاقة له بالماضي، ولهذا حرصت على إيضاح ذلك وأنه ليس نظرية، بل هو قديم مستمر، وكان لابد من إيضاح بعض خصائصه وسماته التي لا غنى عنها، أو التي يفقد سمته الإسلامية إن غفل عنها المبدع والناقد. وهذا لا يتعارض مع الاهتمام بالموضوعات المستجدة والملحة، وإن كنت أتحفظ قليلاً، فالأدب الإسلامي ينبغي أن يأخذ زمام المبادرة، ويخطَّ طريقه بثقة وصبر واستمرار حتى يصبح قائدًا ومعلمًا، لا تابعًا وملاحقًا لما يطرح، أي ألا يهتم بردود الأفعال، وألا يصبح ملاحقًا لما يطرحه الآخرون، وهذا الأمر يحتاج إلى تحديد واضح، وإلى عمل موثق يقوم به أناس جديرون بذلك، يفهمون الإسلام، لا كفكرة وفلسفة وكتابات صحفية، وإنما عقيدة وأصولاً ونصوصًا وأحكامًا قبل كل شيء، وكذلك سيرة وتاريخًا ومجتمعًا ومعاملات. وحينما يحدد الأدب الإسلامي موضوعاته وقضاياه التي ينبغي الحرص عليها، ويرسم مناهجه السليمة في مختلف الفنون الأدبية وفي النقد، وفي دراسته لتاريخنا الأدبي وتقويمه لمختلف الإبداعات الأدبية في العالم.

*** سؤال أخير: في الوقت الذي ترفض فيه الشعر الحر – وهذا أمر يختلف فيه أدباء الإسلام في المغرب مع إخوانهم في السعودية خاصة – يلاحظ اهتمامك بدراسته، كيف تفسر هذا التناقض؟**

اهتمامي بدراسة كل إبداع – بما فيه الشعر الحر – إذا كان جديرًا بذلك أمر لا يتعارض مع رأيي فيه، فأنا أدرس الأثر الأدبي، وأبرز ملامحه وسماته وصوره بغض النظر عن الشكل، وأخيرًا فإنني شاكر لك على هذا الاهتمام، وعلى هذه الأسئلة التي أثارت لدي هذه الخواطر.

إسماعيل أبو شنب

(السياسي والمجاهد)

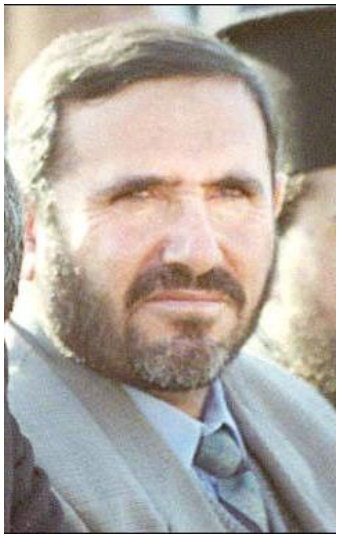

الترجمة:

من مدينة غزَّة. كان يحضِّر للحصول على الدكتوراه في الهندسة من أمريكا، لكن اليهود اعتقلوه عام ١٤٠٩هـ بتهمة قيادة حركة حماس في أعقاب اعتقال زعيمها أحمد ياسين إبان الانتفاضة الكبرى. وكان قد قام بدور مميز في قيادة الانتفاضة.. فاعتقل وأخضع للتحقيق من قبل المخابرات اليهودية وعذِّب تعذيبًا قاسيًا، وشكّل داخل المعتقل قيادة حركة حماس!

كان منسِّقًا ومخططًا للعلاقات مع السلطات الفلسطينية، وأحد الذين ساهموا بقوَّة في دفع دفَّة الحوار مع السلطة، حيث كان عضو المكتب السياسي للحركة، وممثلها في لجنة المتابعة العليا للقوى الفلسطينية، وكان يحظى باحترام الشعب الفلسطيني وقواه وفصائله لاعتداله ودماثة خلقه، ويحاضر في الجامعة الإسلامية. وقد اغتالته اليهود فاستشهد يوم الخميس (٢٣) جمادى الآخرة سنة ١٤٢٤هـ.

هذا اللقاء:

أُجري هذا اللقاء في ظرف معين طُرحت فيه هدنة، وأشيع أن حركة المقاومة الإسلامية (حماس) رضخت لضغوط خارجية، وقبلت بما ظلت ترفضه طوال الفترة السابقة، لكن أجيب بأنه قد يكون تكتيكًا ذكيًا من قبل الحركة حتى تتجاوز الأزمة وتعيد ترتيب صفوفها. وفي الحوار حديث عن هذا، وعن الخشية من أن تنقلب السلطة الفلسطينية على الحركة وتستجيب للضغوط الخارجية بتفكيكها..

وقد استشهد القائد أبو شنب في الشهر نفسه الذي نشر فيه هذا الحوار، في مجلة «المستقبل الإسلامي» ع (١٤٦) (جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ) ص٤٣- ٤٧، بمحاورة ياسر البنا من فلسطين.

نصُّ الحوار

*** هل أجبرت حركة حماس على الموافقة على مقترح الهدنة؟ وماذا كان تأثير الضغوط الفلسطينية والمصرية على قرار حماس؟**

- لم تمارس أي ضغوط على حماس من قبل السلطة أو الوفد المصري أبدًا، السلطة فاوضت حماس على قناعتها حول الهدنة، وهذا الأمر أخذ وقتًا طويلاً، وجاء المصريون وتحدثوا معنا، وتحدثوا بصدر واسع مع حماس وتفهموا موقفها، وكان حوارنا معهم على ضرورة الحفاظ على المقاومة وسبل الحفاظ عليها، وكيف يمكن لمصر أن تحمي المقاومة في ظل الضغوط الأمريكية الهائلة على الأوروبيين والدول العربية والسلطة لسحق حماس وافتعال حرب أهلية تأكل الأخضر واليابس؟ وهذا أمر لا يمكن قبوله ولا نستطيع تحمله، ومن هنا قدموا نصحًا واقتراحات، ولمسنا لديهم غيرة على المصلحة الفلسطينية، وخرجوا وهم لا يتوقعون من حماس أي رد إيجابي؛ لأننا قلنا إن ما يمكن أن نعطيه في هذه المرحلة هو وقف للعمليات ضد المدنيين في حال أوقف الاحتلال عدوانه، وأطلق سراح الأسرى.

نؤكد أن اللقاءات الفلسطينية والمصرية مع حماس لم يكن فيها أي ضغط على الحركة أو تهديد، بل إن موقف حماس كان الأقوى، ومنطقها هو الأقوى، ولكننا بصراحة عندما ناقشنا

الموضوع داخل أطر الحركة، جاءتنا رسائل من داخل السجون من جميع الفصائل وطلبت منا التعاطي مع المبادرة من أجل إطلاق سراح الأسرى، وقالوا لنا: أنتم أملنا في الإفراج عنا، وقالوا: نحن لا نثق في السلطة، ولنا تجربة معهم مريرة في السابق، وأنتم أملنا الوحيد بعد الله... هذه الرسالة كان لها صدى كبير في أطر الحركة، وبالتالي كان لهذا الأمر أثر كبير في اتخاذ الحركة قرارها.

الأمر الثاني الذي كان سببًا من أسباب تعاطي أطر الحركة مع موضوع الهدنة، كان إعطاء فرصة لفئة بدأت تتململ في الشارع الفلسطيني، وتقول إننا نشعر بأننا أمام طريق مسدود، وكانت أيضًا فرصة للمجاهدين لالتقاط الأنفاس وترتيب الصفوف من أجل التخطيط لعمل أكثر فاعلية.

والهدنة من ناحية عسكرية هي تكتيك، يستفيد منه الذي أعطاه لإعادة تموقعه وترتيب صفوفه من جديد، وترتيب أوراقه، ومن ناحية عاطفية ونفسية إنسانية واجتماعية تعاطفنا مع أبناء شعبنا وأسرانا، وبالتالي لم يكن هناك أي ضغوط مورست على الحركة خضعت لها حماس.

*** محمد دحلان وزير شؤون الأمن أطلق تهديدات لمن يخرق الهدنة.. كيف تنظرون إلى هذا الأمر؟**

- تهديدات دحلان لم توجه لحماس، إنما وجهت لفئات منضوية تحت إطار فتح، ونحن لا نقف عند هذه التهديدات في هذه المرحلة، ونحن لا نقول إن هذه التهديدات مقبولة أبدًا، على العكس، شعبنا يجب أن يظل متحدًا.

*** إذا قام أحد ما من خارج حماس بعملية استشهادية كبيرة، فهل ستنددون بها من قبيل التزاماتكم بالهدنة؟**

- هذا سؤال منطقي ومشروع، نحن من جانبنا ألزمنا أنفسنا بالهدنة «والمؤمنون عند شروطهم»، وسنلزم أبناءنا بالهدنة، لكننا في نفس الوقت لن نندد، ولن نرفض، ولن نقف عائقًا أمام أي شخص غير مقتنع بالهدنة من خارج إطار الحركة، فمن حق شعبنا أن يقاوم الاحتلال، ومن حقه الرد على جرائم الاحتلال، هذا حق مشروع، سواء وافقت عليه أمريكا

أم لا.

*** بعد موافقة حماس على مقترح الهدنة.. هناك الكثير من الفلسطينيين والعرب والمسلمين باتوا متخوفين على مستقبل الانتفاضة في ظل الجهود السياسية والضغوط الهائلة التي تمارس، فهل هذه المخاوف مشروعة؟ وهل تخشون أن تنقض السلطة عليكم استجابة للضغوط الخارجية؟ وهل تلقيتم ضمانات في هذا الشأن؟**

– التخوف على المقاومة مشروع، ونحن متخوفون أيضًا، ونحن عندما قدمنا مبادرة تعليق العمليات فاوضنا السلطة على قضية واحدة، وهي أننا قدمنا هذه المبادرة لتحقيق الانسجام الداخلي، وبالتالي فحينما تنقض السلطة على الحركة في أي لحظة فإننا سنعتبر هذا خرقًا للمبادرة، ولن نقبل أن تستمر.

نحن نقول: قوة الموقف تنبع من قوتنا بصفتنا حركة، ولا يأتي من أي ضمانات قد نتلقاها من هنا أو هناك، فنحن في ظرف لا نستطيع من خلاله أن نثق في كل من حولنا بسهولة، خاصة بعد تجربة عام ١٩٩٦ «حملة الاعتقالات والملاحقات التي شنتها السلطة ضد حركتي حماس والجهاد» فأبناء الحركة وأبناء شعبنا هم الدرع من أي تغول نتوقعه، ثم إننا متأكدون من قدرة أبنائنا على حماية المقاومة في أي لحظة يحدث فيها انقضاض على الحركة.

ونحن في نفس السياق نعزز التفاهم مع رئيس وزراء السلطة، فمن المهم جدًا هدوء الشارع الفلسطيني وتناغمه وضبط إيقاعه الداخلي.. فلا يوجد في هذه المرحلة قوي وضعيف، قوتنا في تناغمنا، وإن خاننا أحد فإن الله طمأننا في كتابه العزيز في قوله: {وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ} [سورة الأنفال: ٦٢]، وستكون الهدنة في مهب الريح لو حصل هذا لا سمح الله.

*** ما ردكم على رفض إسرائيل الإفراج عن معتقلي حماس والجهاد؟**

– هذا موضوع حساس وهام، نحن لا نقبل بهذه المعايير التي تفرق بين الأسرى، العدو يحاول زرع بذور الفتنة بين صفوف شعبنا، فكل معتقلينا هم أسرى شعبنا، سواء كانوا من أبناء فتح أم حماس أم الجهاد أم الجبهتين، وبالتالي فالعدو يحاول دائمًا دق الأسافين لخلق الفصام، نحن نعتبر أن عدم إطلاق الأسرى الفلسطينيين والعرب يعتبر خرقًا للهدنة، وستستمر المقاومة ردًا

على خرق العدو لهذه الهدنة.

*** حماس كانت من أشد المحذرين من حبائل اليهود، ومن خطورة الجهود السياسية على مستقبل القضية الفلسطينية، فكيف قبلت بالتعاطي مع الجهود التي بذلت لتطبيق مشروع خارطة الطريق؟**

– هذا الحديث هو نفسه كان يدور داخل نقاشات الحركة، نحن نقول ليس خطأ أن يكون هناك هدنة، ولكن يجب أن نفرق بين الهدنة التي نكون مجبرين على الرضوخ لها، وبين الهدنة التي نقبل بها ونحن في موقف القوي.

نحن أعطينا الهدنة من موقف القوي، وهي تكتيك حربي عسكري ذو بعد سياسي، هي استراحة محارب يسعى لجني ثمار ما حققه من مقاومته الباسلة فلا غرو في ذلك، وفي الحرب هناك كرّ وفرّ، وهناك مناورة ومرونة عسكرية تتيح للقائد العسكري الميداني تحقيق أكبر المكاسب بأقل التكاليف، نحن من خلال فهمنا لإدارة الصراع قدرنا هذه المبادرة، وقد نكون مخطئين، لكننا نتحدث عن مدة ٣ شهور فقط، فترة قصيرة من عمر المقاومة، وهي هدنة تكتيكية ذات شروط خاصة، إذا التزم بها العدو حققنا شروطنا بأقل التكاليف، وإذا لم يلتزم بها فنحن ماضون في مقاومتنا.

*** ما السر في الجنوح نحو تهدئة الأوضاع في كل مرة يكون العدو فيها يعيش مأزقًا حقيقيًا؟**

– هذا مشوار القضية الفلسطينية منذ العام ١٩٣٦م، عندما تدخل العرب لإنهاء الإضراب الشهير، وإنقاذ الاستعمار البريطاني، واليوم نرى أيضًا تحركًا دوليًا وعربيًا لإنقاذ العدو من ورطته، إلا أننا ننظر إلى الأمر من زاوية أخرى، نحن لا ننقذ العدو من ورطته، بل نعريه أمام الناس، كما تفاءلنا في السابق سنتفاءل في المستقبل، الحركة مصرة على المقاومة، وهذه الهدنة ستزيد التفاف الشارع الفلسطيني حول حركة حماس إذا أنجزنا شروط الهدنة، وأما إذا لم ننجزها فسيلتف الشارع الفلسطيني حول خيار المقاومة، وكلتا الحالين نصر إن شاء الله؛ لخيار الجهاد على أرض فلسطين، نحن على وعي تام لكل هذه القضايا، ونسأل الله أن يبطل كيد أعدائنا، وأن يمكر لنا ويدبر لنا، فمن دون تدبيره لا نحسن التدبير.

المقاومة عندما قدَّرت الموقف.. قدَّرت السلبيات والإيجابيات، وقدَّرت الظروف والمعطيات، وقدَّرت الواقع الميداني الفلسطيني والدولي، كل هذا دخل في المعادلة، هذه الهدنة أُعطيت لتحقيق مكاسب فلسطينية، ولولا ذلك ما كانت الحركة وافقت عليها.

*** ماذا كانت ستخسر حماس في حال رفضها للهدنة؟**

– يجب أن نشير إلى الوضع الذي حُسبت في حينه هذه المسألة، كانت هناك نداءات من داخل السجون، وكانت نداءات من داخل صفوف شعبنا، ونداءات من أصدقائنا في العالم العربي، كلهم كانوا يريدون خطوة من هذا القبيل، من أجل المناورة السياسية والعسكرية، نحن لا نقول (ماذا لو) لأن (لو) تفتح عمل الشيطان، نحن وازنّا بين ما فيه مصلحة شعبنا وما تقلُّ فيه المصلحة، ووجدنا أن هذا الخيار يحافظ على اللحمة الوطنية، ويحافظ على المشاعر الشعبية تجاه الانتفاضة، ويحمي المقاومة، ويحافظ على تطلعات إخواننا الأسرى، المقاومة ستستفيد تمامًا من هذه الهدنة.

يجب أن نكون متيقنين أنه إذا لم يكن هناك أي فائدة لنا من الهدنة فلن يكون، إن شاء الله، أي ضرر على مقاومة شعبنا؛ لأن أبطالنا متيقظون قابضون على الزناد.

*** هل قستم الهدنة من زاوية شرعية قبل أن تقبلوا بها؟**

– أنا لست مشرعًا، لكننا سألنا أهل الشرع في هذا الحكم، فأنا ناقل ولست مشرعًا، الهدنة مشروعة، فعلها النبي صلى الله عليه وسلم، وفعلها من بعده الناصر صلاح الدين، وهي محطة من محطات المناورة الحربية، عندما لا تستطيع القوى المتحاربة حسم المعركة، يكون بينها هدنة إما مفتوحة أو مؤقتة، والشرع يتيح لنا استخدام هذه الرخصة، نحن لم نعط الهدنة من أجل عيون أبو مازن أو السلطة، نحن نختلف مع هؤلاء في مشروعهم السياسي، أعطيناها لشعبنا، قد يستغلها أبو مازن خلال التفاوض من أجل جلب مكاسب لشعبنا الفلسطيني، كإطلاق سراح الأسرى، ووقف العدوان، وإذا لم يستطع فستنتهي الهدنة بعد ثلاثة شهور.

*** يزعم الكثيرون، خاصة على مواقع الإنترنت، أن أبو مازن «بهائي»، ما مدى صحة هذا القول؟ وكيف أثر على علاقتكم به، لاسيما أنكم تمثلون حركة إسلامية؟**

– إذا كنا مسلمين حقًا فإن الشرع والأدب الإسلامي يفرض علينا ألا نعطي أحكامًا بدون

دليل، من لديه دليل على بهائية الرجل فليقدمه لنا، نحن أناس أصحاب دعوة ربانية، لا ينبغي أن نتهم الرجل من دون دليل، ما يكتب في الصحف والإعلام ليس دليلاً على الإطلاق، بالمناسبة هو ذكر هذه المسألة أمامنا على أنها نوع من الدعايات المغرضة ضده، ونحن من جهتنا قد فتشنا عن أصل هذه الاتهامات فلم نجد، ومن لديه أي دليل فليقدمه لنا، لنواجهه به ونتعامل معه على هذا الأساس، وإلا فإننا لا نستطيع أن نتهم الرجل هكذا بناء على تقارير تنشر على الإنترنت، نحن نكل سرائر الناس إلى الله، ونتعامل معه على ما يبديه في الظاهر.

*** حماس في البداية رفضت حكومة أبو مازن بدعوى أنها جاءت بناء على ضغوط أمريكية، ثم تعاطت معها وتفاوضت مع أركانها، ألا يعدُّ هذا تناقضًا من قبل الحركة؟**

- نحن نختلف مع حكومة أبو مازن لأنها جاءت بضغوط أجنبية، لكن ما يتوقع منا أن نفعل؟ نحن في مركب واحد، نحن محاصرون وتحت الاحتلال، لدينا سلطة نهجها مرفوض، ولدينا فصائل لا عدَّ لها ولا حصر، ولها إيديولوجيات متناقضة، إننا أمام هذا الواقع نجد أنفسنا أمام خيارين: إما التفاهم، وإما القتال، والحوار يجنبنا الكثير من الويلات، ويفتح لنا آفاق التعايش الوطني، ويترك لنا حرية المقاومة والتعبير عن الرأي.

أما خيار الصدام فهو يتطلب أن تقضي جهة على الأخرى، فإذا قضت السلطة على حماس فستنفرد إسرائيل بالسلطة، وإذا قضت حماس على السلطة فإن إسرائيل ستنقضُّ على حماس، نحن في وضع معقَّد، لا نستطيع أن نقيس الأمور بطريقة أبيض وأسود، هناك معطيات معقَّدة، يجب علينا الحفاظ على قنوات الحوار بيننا وبين من نختلف معه حتى نجنب الشارع الفلسطيني ويلات الاقتتال الداخلي.

*** هل لمستم جدية من قبل أبو مازن خلال لقاءاتكم معه بخصوص ملف الأسرى؟**

- موضوع الأسرى هو الموضوع الساخن الذي تمت مناقشته في كل لقاءاتنا مع السلطة، وبخصوص سؤالك أقول: النوايا لا يعلمها إلا الله، ولكن ما لمسناه من تفهم واهتمام كان يعطينا تفاؤلاً إلى حدٍّ ما. إن هذا الموضوع في أولويات تفكير السلطة، وقد أكد لنا أبو مازن في أكثر من لقاء أنه استطاع أن يجند بوش إلى جانبه في هذا السياق، بمعنى أنه ألحَّ على

بوش من أجل أن يتفهم هذا الموضوع، خاصة في شرم الشيخ والعقبة، على أساس أن يضغط بوش على شارون من أجل إنهاء هذا الملف، هذا ما نقل إلينا، ونحن نترك الباقي إلى الله سبحانه وتعالى، نقول: المحكُّ الحقيقي لجدية أبو مازن هو ما نراه وما سنراه على أرض الواقع من خلال نتائج مفاوضاته مع إسرائيل، إذا لم تكن السلطة جادة في العمل على الإفراج عن الأسرى، وإذا لم تفرج حكومة الاحتلال عن الأسرى، فهذا من وجهة نظرنا يعد خرقًا للهدنة.

*** ما ردكم على أن حماس قبلت بالهدنة بعد التهديدات باغتيال قادتها؟**

– هذا غير صحيح، وليسألوا أبو مازن نفسه عن هذا الكلام، حماس غير قابلة للضغط، وذلك لسبب بسيط، وهو عدم وجود أي شيء يضغطون به عليها، هل يضغطون علينا بقطع الدعم المادي؟ المتعاطفون والمحبون سيوصلون إلى حماس الدعم بشتى الوسائل. هل يضغطون عليها بالتصفيات؟ الذي يستشهد يخرج بدلاً منه مائة، وبالتالي تنتشر الحركة وتزداد اتساعًا، لقد اغتيل القادة جمال سليم وجمال منصور، فماذا حصل؟ ازدادت الحركة قوة، اغتيل المجاهد صلاح شحادة، فماذا حدث؟ زاد اتساع تأييد الحركة، وبعدها اغتيل القائد إبراهيم المقادمة. إن ما يميزنا هو حرصنا على الشهادة، بينما يحرص عدونا على الحياة، وأنا هنا أقف عند مقولة العالم الكبير ابن تيمية حينما قال: "ما يفعل أعدائي بي، إن قتلي شهادة، وسجني خلوة، ونفيي سياحة... جنتي في صدري"، نحن نقول: إننا في حماس سيحتار فينا كل أعدائنا، في كل مرة كان يضرب العدو الحركة ويعتقد أنه لم يُبقِ ولم يذر تخرج الحركة أقوى وأشدَّ بأسًا، حدث هذا عام ١٩٨٨، ثم ١٩٨٩، ثم ١٩٩١ حين ضُربت الحركة بشراسة من قبل الاحتلال، واعتُقل كلُّ قادتها، وعلى رأسهم الشيخ أحمد ياسين، وبعدها أُبعد أكثر من ٤٠٠ من قادة الحركة إلى لبنان، فازدادت الحركة قوة وانتشارًا وتأييدًا.

لن تستطيع قوة أن تضغط على الحركة، ولكن موازنات الحركة في بحث أي المسائل أنفع وأيها أكثر جلبًا للمصلحة العامة هي التي تشهد لها بالذكاء والحنكة بعيدًا عن أي ضغط.

*** لماذا لا تقوم حماس باستخدام المناطق المجاورة لفلسطين منطلقًا للمقاومة، وتنفيذ عمليات منها؟ ولم لا تفتح حماس لها جبهات متعددة غير الجبهة الفلسطينية؟ ولماذا لا**

تضرب حماس الإسرائيليين في جميع مناطق العالم؟

– هذه مسألة تتعلق بصميم ميثاق حماس الذي أشار إلى أن دوائر الصراع مع هذا العدو هي ثلاث دوائر: الأولى هي الدائرة الفلسطينية، والثانية: هي الدائرة العربية، والثالثة: هي الدائرة الإسلامية، هذه الدوائر الثلاث لابد أن تتضافر جهودها من أجل حسم الصراع، فالقضية ليست فلسطينية فقط، إنها قضية عربية إسلامية.

الحركة تؤمن بعالمية الصراع بدوائره الثلاث.. لكن الظروف الحالية لا تسمح أن يدور الصراع المسلح إلا عبر الدائرة الفلسطينية، وتبقى الدوائر الأخرى متعاطفة، والدور يأتي على مثقفينا ومفكرينا ونخبنا الفكرية العربية والإسلامية، لتوسِّع الدائرة وتكسر القيود التي وضعتها الحكومات، من أجل وصل الدائرة الفلسطينية بالدائرتين العربية والإسلامية، وهذا الجهد ليس مطلوبًا منا، بل هو مطلوب من الدوائر العربية والإسلامية.

لقد رأينا كيف دعا بعض علمائنا للجهاد في العراق، وامتنعوا عن الدعوة إليه في فلسطين!! هذا جزء من المؤامرة التي تستهدف سلخ القضية الفلسطينية عن بعدها العربي، وعن بعدها الإسلامي، لتبقى قضية فلسطينية محضة داخل فلسطين، حتى مُنع عنا الدعم، نحن لا نستطيع أن نستجلب من جيراننا العرب أي قطعة سلاح، في الأردن حوكم من هرب سلاحًا للمقاومة، لماذا؟ انظر إلى حركات التحرر في عالمنا العربي على الأقل، حزب الله كانت تدعمه سوريا وإيران وتقف معه قوى إقليمية، الثورة الجزائرية وقفت معها الدول العربية، الثورة الفيتنامية وقفت معها الصين وروسيا، أما شعبنا الفلسطيني فقد تآمرت عليه الصليبية والصهيونية، وحاصرت قضيتنا في إطارها الإقليمي، نحن في فلسطين سنحافظ على جذوة المقاومة والجهاد حتى تتمكن الدوائر الثلاث من الالتحام، لتحقق النصر الحاسم في مرحلة من المراحل... نحن نرى أن هذه المرحلة تتطلب أن نركز جهودنا في جهادنا داخل فلسطين.

*** لا يكل الأمريكان في الدعوة إلى نزع سلاح حماس وتفكيك أجهزتها، وكانت آخرها دعوة وزير الخارجية الأمريكي كولن باول.. فهل تخشون من ترجمة هذه الدعوات على أرض الواقع؟**

– إن ما يقوله هذا الوزير هو ترديد لما يطالب به الصهاينة، بلا استحياء، إن الصهيونية

هيمنت على هؤلاء الصليبيين، فهو يريد تفكيك الحركة، وقبله جاءت مادلين أولبرايت لعرفات وطلبت منه سحق المقاومة وتفكيك البنى التحتية للحركة، كل ما يفكرون به وسائل استخدمت في السابق طوال الفترة السابقة، وقد احتار هؤلاء في أمر الحركة الإسلامية التي كلما ضُربت زادت قوة وانتشارًا واتساعًا، الحركة بخير إن شاء الله، هذه الدعوات حاقدة لن تكون إلا كمن يحاول أن يحجب الشمس بغربال، فلن يحجبوا نور المقاومة الذي يستمد ضياءه من نور الله سبحانه وتعالى، ويستمد قوته من تعاطف الموحدين، لن تستطيع السلطة ولا إسرائيل ولا أمريكا ولا غيرها تجريد حماس من سلاحها، {وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}[سورة الأنفال: ٣٠] .

*** تقولون إنكم ستستمرون حتى تحرير فلسطين من البحر إلى النهر، ونقل على لسانكم أنكم تحترمون قرارات الأمم المتحدة، وأنكم تقبلون بالانسحاب الإسرائيلي من الأرض المحتلة عام ١٩٦٧.. أليس هذا تناقضًا؟**

- نحن نرحب بالانسحاب من أي جزء يتحرر من أرضنا المحتلة، وهذا جزء من استراتيجيتنا... تحرير فلسطين لا يتم دفعة واحدة في ظل المعطيات الدولية الراهنة، وفي ظل موازين القوى غير المتكافئة، وفي ظل التفرد الذي نعيشه وحدنا، إمكانياتنا في تحرير أرضنا دفعة واحدة محدودة، وبالتالي فإن المرحلية هنا تتوافق مع استراتيجيتنا.

نحن نرحب بأي انسحاب من أرضنا، وفي نفس الوقت لن نتنازل عن أي شبر من أرضنا من فلسطين، هذا موقفنا، نحن نتبنى خيارين: خيارًا مرحليًا، وخيارًا بعيد المدى، ولقد أعلن الشيخ أحمد ياسين هدنة مع العدو عام ١٩٩٧ قال فيه إنه مستعد لوقف المقاومة، بمعنى هدنة، إذا انسحبت إسرائيل إلى حدود عام ٦٧، هذه الهدنة مشروعة، فالقائد صلاح الدين عقد صلح الرملة، وصلح الحديبية كان مقدمة لفتح مكة.. والهدنة إذا أُحسن استخدامها تكون بوابة للنصر إن شاء الله.

*** هناك حملة شديدة على العمليات الاستشهادية التي تشنها حماس، ما جدوى هذه العمليات، لاسيما أن هناك ادعاء أنها ألحقت الضرر بالقضية الفلسطينية؟**

- العمليات الاستشهادية أعلى ما ابتكر شعبنا من وسائل رادعة وفعالة في المقاومة،

الإحصائيات تقول إن أكثر من ٨٠٪ من قتلى العدو سقطوا من جراء العمليات الاستشهادية، وبالتالي فإنها القنبلة الذُّرية الفلسطينية في مقابل القنابل النووية التي يمتلكها عدونا الصهيوني، ونحن لن نتخلى عن جميع أسلحتنا، وهي وسائل تستخدم في الوقت المناسب والظرف المناسب، ويجب أن نحذر من التسميات الغربية بأنها عمليات إرهابية أو انتحارية، إنما هي حق من حقوق شعبنا المشروعة، ووسيلة من وسائله في حربه مع العدو.

*** مرة أخرى يطفو على السطح ملف العملاء والخونة، خاصة بعد عمليات الاغتيال الأخيرة التي نفذتها قوات الاحتلال.. كيف تتعامل حماس مع هذا الملف المعقد؟**

– هذا بالفعل ملف صعب ومعقد وساخن، هناك عملاء كثيرون انخرطوا في أجهزة السلطة الفلسطينية بدعوى أنهم تابوا، ويجري تجنيد لعملاء جدد وإسقاطهم من قبل مخابرات الاحتلال، بسبب حاجتهم إلى العمل داخل الخط الأخضر، هذا الملف هو خنجر مسموم يضرب ظهر المقاومة، ونحن في صراع مرير مع هؤلاء العملاء.

نحن ندعو أولئك الذين يسقطون في أشراك العمالة للتوبة، أما الضالعون في أعمال إجرامية فنحن نلاحقهم، ونقدِّم كل من تثبت عليه أي تهمة إلى الأجهزة الأمنية الفلسطينية، فنحن في حماس لا نستطيع أن نكون سلطة أخرى تحاكم وتسجن، فهذا يشكل تناقضًا وشرخًا في واقعنا الفلسطيني نجتهد في تلافيه، فإذا تم لنا إن شاء الله إنجاز تحرير فلسطين، فسيكون للقوة الفلسطينية دور في معاقبتهم، أما الآن فإن الأمور أعقد من أن نعالجها، الظرف يحتاج منا إلى يقظة وانتباه لحماية أبنائنا منهم ومن أساليبهم، ومن جهة أخرى ملاحقتهم ومطاردتهم.. إنها كما قلت ظاهرة مقلقة تتفاعل معها عناصر كثيرة في واقعنا الفلسطيني، تجعل من الصعب جدًا القضاء عليها في فترة قصيرة، ولكننا سنبقى لهم بالمرصاد.

*** بعد نهاية الحرب على العراق، وقمَّتي شرم الشيخ والعقبة، حدث تحول ظاهر في وسائل الإعلام العربية في التعامل مع أحداث المقاومة والانتفاضة.. هل ترون أن هذا يأتي بشكل مقصود وتجاوبًا مع الضغوط الأمريكية؟**

– أنت تنكأ جرحًا، أنا أتساءل معك أين هو الإعلام العربي؟ ليس الإعلام فقط هو الغائب، بل الوعي العربي كله غائب، وأقصد هنا الوعي العربي الرسمي، هذا الوعي الذي فُقد

تمامًا، وتماهى مع صيحات شارون وبوش التي تريد أن تفرض هيمنتها على المنطقة، وما حصل ويحصل في العراق وفلسطين خير دليل، نحن نواجه غزوًا فكريًا وثقافيًا، عن طريق ما يعرف بالعولمة الفكرية والثقافية، وهزيمة عربية للإعلام العربي الذي لا يستطيع أن يصمد ويواجه هذا التيار المتغرب على أرضنا بكل مصطلحاته، المفاهيم أصبحت مقلوبة، والكل يتحدث عن مصطلحات مستغربة بلغة أجنبية باهتة وممسوخة، وبعيدة عن حسِّنا العربي، فمثلاً المصطلح الذي يدندن عليه الجميع الآن هو الإرهاب، وخلا إعلامنا من ذكر مصطلح المقاومة والجهاد، خاصة بعد قمة شرم الشيخ، حيث استُبدل مصطلح الإرهاب بالمقاومة، والعمليات الانتحارية بالاستشهادية، إضافة إلى المطالبة بوقفها، وللأسف إذا أردت أن أفسر لك أقول: إن الواقع العربي المهزوم رسميًا هو الذي أوصلنا إلى ذلك، أعداء الأمة يريدون أن يقفوا أمام نهضتها وتطورها وتحملها لمسؤوليتها الحضارية، هذا الإعلام يغسل الأدمغة، وينشر ثقافة العولمة، ويلغي دورنا، ويمسح ثقافتنا. هذا الواقع بحاجة إلى وقفة جادة من مثقفينا وقادة الحركات النهضوية المخلصة، حتى لا تغيب المفاهيم، وينطمس الحق، في ظل غثائية الباطل وهيجان الظلم.

*** هناك حرب تشنُّ الآن على مصادر تمويل حركة حماس، فهل نجحت بالفعل في تقليل تدفق الدعم المالي للحركة؟ وكيف تنظرون إلى مستقبل هذا الدعم في ظل الضغوط الأمريكية المحمومة لوقفه؟**

- الحرب العالمية على مقاومة شعبنا ظالمة وشرسة، هم يظنون أنهم يستطيعون وقف الدعم لهذا الشعب الأعزل، ونقول لهم {إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ} [سورة الفجر: ١٤]، ما دام هناك هذا الشعور الأخوي العميق لدى الشعب المسلم في شتى أنحاء المعمورة، هذا الشعب الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم إنه «**إذا اشتكى منه عضو تداعَى له سائر الجسد بالحمَّى والسهر**»، هذا الشعب المسلم لن تعوزه الوسائل ولا الطرق والسبل لاختراق حواجز منع الدعم عن المجاهدين؛ لأن الدعم المالي عنصر مهم من عناصر مقاومة شعبنا الفلسطيني، ولن يفلح الرئيس الأمريكي بوش بوقف الدعم عن هذه الحركة ما دام هناك مسلمون على أرض المعمورة، الدعم يجب أن يتضاعف لتحدي هذه الهجمة، وبركةُ ما يصل من دعم مهما يكن قليلاً عظيمةٌ عند الله، والله يبارك في إنتاج المجاهدين وفي وصولهم إلى أهدافهم، وما هذا

إلا بالإخلاص وروح التحدي لدى هذه الحركة المجاهدة.

محمد مأمون الهضيبي

(الداعية المستشار)

الترجمة:

من مواليد محافظة سوهاج بصعيد مصر. والده (حسن الهضيبي) كان المرشد الثاني لجماعة الإخوان المسلمين. تخرَّج في كلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول، وعمل وكيلاً للنيابة، فرئيسًا لمحكمة استئناف القاهرة. وقد ابتُلي بالسجن والاعتقال في عهد عبدالناصر، لانتمائه لجماعة الإخوان المسلمين، وعمل في السعودية من بعد، ثم تفرَّغ للدعوة، واختير نائبًا للمرشد العام والمتحدث الرسمي باسم الجماعة، ثم كان المرشد العام لها منذ ٢٣ رمضان ١٤٢٣هـ خلفًا للأستاذ مصطفى مشهور (رحمه الله) فكان المرشد السادس للجماعة. وكان قانونيًا ضليعًا وفقيهًا سياسيًا، رُزق الفهم وحسن التقدير للمواقف والظروف، والتعامل معها بالحكمة والتبصُّر، مع الموازنة الشرعية في النظر إلى واقع الأحداث، والصلابة في المواقف والتمسك بالثوابت، وعدم التفريط فيما يمسُّ العقيدة والأصول المحكمة، ووفِّق إلى جمع القلوب ورصِّ الصفوف في مدة إرشاده، التي امتدت (١٤) شهرًا فقط. وتوفاه الله ليلة الجمعة ١٥ ذي القعدة ١٤٢٤هـ ٨ يناير ٢٠٠٤م.

هذا اللقاء:

أجرى هذا اللقاء الأستاذ مجاهد مليجي لصالح موقع (الإسلام اليوم)، ونُشر فيه بعد وفاته

بيومين، في ١٨ ذي القعدة ١٤٢٤هـ، ١٠ يناير ٢٠٠٤م، وذكر أعلاه: «الهضيبي في آخر لقاء معه قبل وفاته». ثم ورد في مواقع أخرى، مثل منتدى المحامين العرب وويكيبيديا الإخوان المسلمون.

وقال محاوره:

في آخر حوار أجراه معه الموقع قبل وفاته، طوَّف المرشد العام للإخوان المسلمين المستشار محمد المأمون الهضيبي حول رحلته مع جماعة الإخوان المسلمين منذ بدايتها وحتى صار مرشداً للجماعة، كما حكى الهضيبي عن التعذيب الذي تعرَّض له هو ووالده المرشد حسن الهضيبي على يد زبانية عبد الناصر، وكشف تفاصيل تمثيلية المنشية من واقع صحيفة الأهرام الرسمية، وأكد أنه واجه حسين الشافعي نائب الرئيس الأسبق ورئيس قضاء الثورة، وتناول رؤيته لمستقبل الجماعة في ظل المعطيات الحالية، وغيرها من القضايا الهامة في هذا الحوار..

نص الحوار

نودُّ في البداية إلقاء الضوء على رحلتكم داخل جماعة الإخوان المسلمين منذ البداية، وحتى أصبحتَ مرشداً عاماً للجماعة..

نشأت في بيت مسلم ومتحضِّر وغير متزمت، لذلك عندما تعرفنا على دعوة الإخوان المسلمين لم نجد اختلافاً عما كنا نفهمه، ولم أجد بينها وبين المعيشة التي كنا عليها أية خلافات.

كم عمرك آنذاك؟

أنا تخرجت في كلية الحقوق عام ١٩٤٢، وكانت جماعة الإخوان المسلمين في بداية نشاطها، ولم تكن منتشرة بشكل كبير، وقد كنت أحد أبناء دعوة الإخوان المسلمين أعرفها جيداً، غير أنني لم أكن متداخلاً في تنظيماتها؛ لطبيعة عملي في سلك القضاء، إذ بدأت عضواً في النيابة

العامة،حتى أصبحت قاضياً، والمفروض أن القاضي لا يتدخَّل في القضايا والتنظيمات السياسية العامة، الأمر الذي جعلني غير متداخل في التنظيمات السياسية، وقد كنت أحتفظ باتجاهاتي وعقليتي السياسية، ثم دارت الأيام وتم اعتقالي سنة ١٩٦٥ ووجدت نفسي داخل المعتقل في خضم جموع الإخوان الذين كنت أعرف كثيراً منهم، ولي اتصالات بهم، وبعد ذلك وجدت نفسي داخل أحداث وتنظيمات الإخوان المسلمين، وأخذت علاقتي بهم تتطور تطوراً آخر، وتم فصلي من عملي، وقد عدت إليه بعد فترة قصيرة، وتم إبعادي عنه.

ثم في بداية الثمانينات كانت الأمور الفاصلة في علاقتي بالإخوان، حيث زار السعودية الأستاذ عمر التلمساني -رحمة الله- وطلب من الإخوان رؤيتي، واتصلت عليه من جدة، فوجدته عاد إلى المدينة المنورة، وسألته أين يريد أن يراني؟ فطلب مني العودة إلى القاهرة، وكنت على أعتاب الإجازة السنوية، فنزلت والتقيت به عقب عودتي، فأبلغني برغبته في أن أترك عملي في السعودية وأعود لكي أنضم إلى قافلة الإخوان المسلمين، التي تكوَّنت من جديد، وأصبح لها كيان واستراتيجية، فلم أتردد بفضل الله في الاستجابة لما طلبه مني المرشد العام الأستاذ عمر التلمساني، ولكن طلبت منه أن أعود للسعودية لأنهي الارتباطات التعاقدية مع الإخوة السعوديين، حيث كانت علاقتهم بي تقوم على الاحترام، وكانت علاقة جيدة، ولابد أن أستأذنهم بطريقة جيدة، ثم رجعت بعد فترة التسوية مع الإخوة السعوديين واستقلت، وعدت إلى مصر، ومنذ هذه الفترة عدت كعضو في مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين.. وأصبح هناك كيان تنظيمي جديد، وأنا عضو فيه بكل وضوح.

ثم جاءت انتخابات مجلس الشعب، ورشحني الإخوان في الجيزة، وتم انتخابي مع مجموعة من إخواني، وكانت أكبر مجموعة من الإخوان تدخل مجلس الشعب، ثم أصبحت أنا المسؤول عن هذه المجموعة، فظهر لي كيان آخر، وهو المتحدث باسم الكتلة البرلمانية داخل الإخوان المسلمين، وهكذا جاء الأستاذ مصطفى مشهور -رحمة الله عليه- وعينني نائباً له، والمسألة تدرجت منذ ذلك الوقت، حتى أصبحت مرشداً للإخوان.. هذه باختصار رحلتي مع الإخوان حتى اليوم.

ذكريات مع حسن البنا

ما هي الذكريات التي تربطك بالشهيد حسن البنا؟

أنا في شبابي لم أكن أجلس كثيراً إلى الأستاذ حسن البنا، وخلال الفترة التي كان يتردد فيها الأستاذ البنا على الوالد حسن الهضيبي كانت الفترة الأخيرة الحرجة قبل وفاته بسنوات قليلة، وأنا في ذلك الوقت كنت تزوجت في عام ١٩٤٥ وكان عمري آنذاك ٢٤ سنة، وأصبح لي منزل مستقل عن الوالد، ولم أكن في بيت الوالد باستمرار، علاوة على أنني في هذا الوقت عملت في خارج القاهرة، ولم أكن متابعاً آنذاك، فأبي -كعضو بجماعة الإخوان المسلمين- لم يؤثر علي وأنا في سلك القضاء، كما أنني لم أكن متداخلاً في الكيان التنظيمي للجماعة، إلا أنه في آخر أيام الإمام الشهيد حسن البنا لاحظت أنه كان يتردد كثيراً على والدي الهضيبي، فكنت ألتقي بهم، وأجلس بعد السلام والتحية قليلاً ثم أستأذن.

ما ذكرياتك مع والدك المستشار حسن الهضيبي المرشد الثاني للإخوان؟

كان والدي حريصاً على متابعة أعمال الإخوان المسلمين كمرشد للجماعة، وأنا لا شأن لي بها إطلاقا، وأنا في ذلك الوقت أعمل في القضاء وأقيم في منزلي الخاص، وكان والدي رحمه الله مدركاً لمدى خطورة وتطورات الأوضاع، كما كان مدركاً تماماً أن الثورة لن يهدأ لها بال حتى تقضي على الإخوان .. كما أنني اعتقلت معه في عام ١٩٦٥ حيث مكثنا في المعتقل حتى عام ١٩٧١، وقد تعرَّض الوالد للاعتقال أكثر من مرة منذ ١٩٥٤ وحتى ١٩٦٥ كما تعرَّض للتهديد بالإعدام، وعانى الكثير في عهد الثورة البائدة ..

تغيير جذري

هل لمست تغييراً على حياة والدك قبل وبعد أن أصبح مرشداً للإخوان؟

بلا شك أصبح هناك اختلاف كبير، فبعد أن أُسندت إليه أمانة الإرشاد للجماعة أصبح

عليه عبء ضخم من حيث المسؤوليات، وأصبح عنده مقابلات ليل نهار، وأصبح البيت يعجُّ بالناس داخلين وخارجين من جميع الألوان والأشكال والاتجاهات، ولكنه قبل كل ذلك كان يعمل مستشاراً، لا أحد يزوره في البيت إلا أصدقاء محدودون وأناس عاديون ليسوا من الشخصيات العامة والسياسيين، ولا يتدخل أحد في شؤونه، حيث يذهب إلى محكمته صباح كل يوم ويصدر أحكاماً وينظر في القضايا، ويرجع يجلس في بيته يقرأ ويكتب الأسباب، أو ينشغل بالاطلاع على القضايا.. فبالطبع حدث اختلاف ضخم في حياة الوالد بعد إسناد أمانة الإرشاد إليه.

من أول من تربيت على يديه داخل جماعة الإخوان؟

أنا تربيت مع حسن الهضيبي في البيت، وحسن الهضيبي عرف حسن البنا، وهو أكبر من الأستاذ حسن البنا سناً.

ماذا تعلَّمت من الوالد؟

تعلَّمت منه الانضباط في كل أموري، والتمسُّك بأحكام الدين، وعدم الخضوع لأحد إلا لله، والتمسك بالحق، ولا ألين ولا أماري فيه، وهذه قاعدة عنده، فمنذ أن كان قاضياً في بدء حياته وهذا أسلوبه، علاوة على أنني تعلَّمت منه كيف أدير شؤون أسرتي، وفهمه للمرأة ودورها واحترام المرأة في المجتمع وتعليمها، ولذلك جميع أخواتي البنات تعلمن كلهن وتخرجن من الجامعة، ولكن أمر العمل بعد ذلك فهي المسؤولة عنه مع زوجها، فالمهم أن يتعلمن.

على الصعيد الحركي تعلَّمت من والدي ضرورة التمسك بالحق، ونقوي إيماننا بالله، وأسلوب التعامل يختلف باختلاف الأوضاع، حيث إننا اليوم أمام وضع مختلف تماما عن أوضاع ١٩٤٨ وما بعد الثورة، ولكن لابد أن يفهم الإنسان الظروف التي يعيش فيها على الصعيد الداخلي والخارجي والأوضاع الدولية كذلك؛ حتى يصبح المسلم كيِّساً فطناً.

ما هي طبيعة العلاقة بين والدك وبين الإمام حسن البنا؟

كان والدي حريصاً على أن نقضي الإجازات السنوية لنا في الريف في قريتنا بين أهلنا

وعائلتنا، فكان عندما يذهب إلى البلد يجلس في المضيفة، ويتوافد الناس لزيارته، والمجتمع الريفي في ذلك الوقت كان مجتمعاً بسيطاً، وكانت نسبة التعليم ضئيلة، وكان الشباب يأتون ويتكلمون في قضايا عامة، ومسائل متعلِّقة بالكيان الاجتماعي والأمة، ولمس والدي –رحمه الله– وجود نضوج فكري لديهم، فأعجب بهم، وسأل عن هؤلاء الشباب، فقالوا له إنهم من الإخوان المسلمين، فشعر والدي أن هناك تغييراً يطرأ على المجتمع، ولمس أن هذه الدعوة تغير طبيعة الناس وطبيعة الفرد، وبدلاً أن يكون الإنسان مشغولاً بتوافه الأمور، أصبح ينشغل بالمهام والقضايا الكبيرة والضخمة، فسأل عن مؤسسها وسعى أن يحضر ليستمع إليه، فكان والدي رحمه الله يقول: أي خطيب كنت أستمع إليه كنت أتمنى أن ينتهي إلا حسن البنا، وبدأت بينهما العلاقة تتطوَّر وتتوثَّق.

هل تعرَّض الهضيبي للتعذيب داخل السجن؟

بالطبع تعرضت للتعذيب، ولست وحدي، ولكن عمليات التعذيب حدثت للجميع بالأساليب القذرة المنحطة التي اتبعوها في جميع المعتقلات، سواء في (أبو زعبل)، أو السجن الحربي، أو غيرها، علاوة على عمليات الضرب والإهانة والتعليق والجري والجلد وغير ذلك من الأساليب التي عانيناها جميعا، وهذا الأمر استمرَّ معنا منذ عام ١٩٦٥ وحتى مات عبد الناصر، وأفرج عنا الرئيس السادات في يوليو ١٩٧١.

عايش المستشار مأمون الهضيبي مجموعة ١٩٦٥ التي أعدم فيها الشيخ سيد قطب، فما هي ذكرياتك حول هذه الأحداث؟

كان الأستاذ سيد قطب الشهيد رحمه الله موجوداً معنا في السجن الحربي، ولكنهم كانوا يعزلونه عن جميع الإخوان، فكان في زنزانة انفرادية بجوارنا، ولما صدر الحكم بإعدامه أخذوه من الزنزانة التي كان فيها بجوارنا، وعرفنا أنهم يأخذونه لتنفيذ حكم الإعدام، ولم نستطع فعل أي شيء لهم.

كيف ترى واقع جماعة الإخوان بعد هذا العمر الطويل بالجماعة؟

والله أنا مستبشر خيراً، وأرى أن دعوة الإخوان المسلمين سيبارك فيها ربنا، والدليل أنها تنتشر في كل مكان، وتقوى يوماً بعد يوم، وأصبحت القوى الأساسية في عدد من المجتمعات

الإسلامية في مصر والأردن والجزائر واليمن وفي أوروبا وأمريكا، ولها تأثيرها في المجتمعات، فالتطرف والشذوذ لا يستمر، وسرعان ما يزول؛ لأنه مخالف للحقيقة ولأصول الإسلام والطبيعة البشرية.

أما الدعوة الوسطية –دعوة الإخوان– فمستمرة وباقية وتقوى وتشتد بأمر الله، وفي كل مناسبة تظهر باعتبارها جزءاً هاماً من كيان الشعوب الإسلامية عموماً في أي مكان، وأنت ترى الآن بعد ما فعله صدام من إقصاء الإسلاميين طوال عشرات السنين تظهر جماعة إسلامية في العراق، لها كيان وتأثير، وهذا من فضل الله.

تمثيلية اغتيال عبد الناصر

يتحدث الكثيرون عن تورُّط الإخوان في محاولة اغتيال عبد الناصر عام ١٩٥٤ والإخوان يقولون إنها مؤامرة .. نرجو توضيح ذلك؟

أنا أود إلقاء الضوء على أول قرار بحلِّ جماعة الإخوان المسلمين الذي صدر في ١٤ يناير ١٩٥٤، ولم يكن ساعتها هناك قرارات محاولات اغتيال ولا غيره... وإنما أصبحنا فوجدنا هناك قرارات، وفي الليل جاؤوا ليعتقلوا الأستاذ حسن الهضيبي وقيادات الجماعة، ورحَّلوهم إلى المعتقلات، بعضهم إلى الداخلية والآخر إلى السجن الحربي؛ بغرض التخلُّص من الإخوان المسلمين حتى يخلصوا القوة لأنفسهم .. يكفي أن تعرف أن جمال عبد الناصر ظل لمدة تسعة أشهر بعد الثورة لم يكن أحد يعرفه، وكذلك الضباط الذين كانوا في مجلس قيادة الثورة لم يكن أحد يعرفهم .. والمعروف هو اللواء محمد نجيب، وظل هذا الأمر فترة، وهم بدؤوا يبحثون عما يعتقدون أنه حقهم، وكانوا يلتقون من وراء اللواء محمد نجيب، فسيطروا على الجيش، وسيطروا على مقدرات الأمور، وكان جمال عبد الناصر قائداً لهذا التنظيم، وكان أكثر الناس عملاً وتكتيكاً حتى يستحوذ على السلطة .. والضباط أخذتهم النشوة، وأنهم أصبحوا قادة، وذاقوا ملذات الحياة، بينما جمال عبد الناصر لم يهدأ له بال، وظل يتكتك حتى سيطر على كل شيء، ولم يعد بحاجة إلى واجهة محمد نجيب، وهم لم يعودوا بحاجة لأي شيء آخر،

فعملية مهاجمة الإخوان المسلمين ومحاولة تصفيتها هي سمة كل الطغاة .. فالحكومة التي لا تبقي على القديم، وهذه هي طبيعة الأنظمة العسكرية في كل الدنيا ليس في مصر فقط.

أما بالنسبة لحادثة المنشية ومؤامرة محاولة اغتيال جمال عبد الناصر، فإنني لن أتكلم، ولكن أستشهد بما نشرته صحيفة الأهرام الحكومية الناطقة بلسان رجال الثورة، حيث إن هذه التمثيلية كانت في يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤ .. وجاء في الأهرام بتاريخ ٢٧ أكتوبر عام ١٩٥٤ اليوم التالي لحادث المنشية: ... وقد قبض على شخص وقبض على سلاح في يد الجاني، وقد عثر في المكان الذي كان يقف فيه الجاني على أربعة أظرف فارغة من عيار ٢٦مم، وهي تختلف عن طلقات المسدس الذي ضبط في يد الجاني، إذ إن المسدس الذي عثر عليه مع المتهم من نوع لا يلفظ الأظرف الفارغة .. وكان المتهم يردد في ذلك الوقت أنه لم يقصد إصابة أحد، وإنه كان يطلق هذه الرصاصات للتفاريح..

ثم جاء في الأهرام في يوم ٣ نوفمبر ١٩٥٤ بعد الحادثة بأسبوع ويوجد صورة لجمال عبد الناصر ومعه شخص آخر .. جاء فيها: (خذوا آدم العامل الذي عثر على المسدس الذي استخدمه الجاني في محاولة الاعتداء على الرئيس جمال عبد الناصر، وهو يقدمه إلى الرئيس جمال في مجلس قيادة الثورة)..

ألم يقولوا إنهم ضبطوا في يد الجاني مسدساً ؟! كيف يحدث ذلك ثم يأتي عامل بصورة هزلية بعد أسبوع، ويقولون إنه جاء من الإسكندرية على قدميه؛ لأنه لا يجد ثمن التذكرة، لكي يجد جمال عبد الناصر منتظراً في مجلس قيادة الثورة، ويأخذ منه السلاح ويعطيه مكافأة مالية؟ والسؤال .. هل المقبوض عليه من الإخوان كان معه مسدس أم لم يكن معه مسدس؟ ثم إذا لم يكن معه مسدس لماذا قبضوا عليه إذًا؟! أليس هذا دليلًا على تلفيق التمثيلية من أولها لآخرها حسب ما نشرته جريدة الأهرام الرسمية في تاريخ ٢٧ – ١٠ – ١٩٥٤ م، وفي ٣/ ١١/ ١٩٥٤ م.

وأنا ذهبت إلى عضو مجلس قيادة الثورة حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية، والذي كان

يرأس القضاء فيما سموه (محكمة الثورة)، وعرضت عليه ما نشرته الأهرام.. وسألته هل محمود عبد اللطيف الذي اعتقل في حادث المنشية كان معه مسدس أم لم يكن معه مسدس؟! فقال إنه اعترف، فقلت له أي واحد يتم تعذيبه لابد أن يعترف .. فقال هي مسألة توجه عام .. الثورة قامت بتوجُّه عام لابد أن يسير الكل وفقاً لهذا التوجُّه العام.. فلم أجد لديه إجابة على سؤالي..

دعاة لا قضاة

تحدثت أنك سُجنت مع والدك المرشد حسن الهضيبي ..

ما هي قصة هذا السجن؟ وكيف خرج كتاب 'دعاة لا قضاه'؟

نعم سُجنت مع والدي سنة ١٩٦٥ وقد قمنا بعمل كتاب (دعاة لا قضاة)، وقد تعرضنا لعمليات التعذيب، سواء في السجن الحربي أو غيره من السجون منذ عام ١٩٥٤، واستمرت حتى تمت التصفيات عام ١٩٦٥.. وكانوا زبانية التعذيب، قتلوا ٢٨ شخصاً من الإخوان المسلمين في زنزانة واحدة في ليمان طره .. ولما جاءت النيابة تحقق في هذه المذبحة قام صلاح الدسوقي – الذي عينوه محافظاً للقاهرة بعد ذلك – يأخذ الورق المتعلِّق بهذه المذبحة، وطرد وكيل النيابة خارج ليمان طره؛ نتيجة لتكرار هذا التعذيب الوحشي الجهنمي والقتل العمد، وظهرت مجموعات تكفِّر هؤلاء الذين يعذبونهم ويقتلونهم وهي جماعة (التكفير و الهجرة)، وكان نظام عبد الناصر في ١٩٦٥ اعتقل مجموعات كثيرة من أصحاب الاتجاهات الإسلامية المختلفة، واعتبروهم كلهم ينتمون للإخوان، ومن ضمن هؤلاء من نسب إلى الأستاذ سيد قطب – رحمه الله – أنه كفر المجتمع، ويكفر الحاكم، ونسبوا إلى الأستاذ أبي الأعلى المودودي مثل هذا الفكر، وأيضاً زعموا أن المرشد العام للإخوان المسلمين حسن الهضيبي يعتنق هذا الفكر، والمسألة ظهرت وشاعت، وكان فكراً عجيباً جداً .. وآنذاك كنت معتقلاً مع والدي، ولما سُئلت عن هذا الفكر .. فقلت: إن هذا الفكر فكر التكفير لا أعتقد أن له أصلاً عندنا إطلاقاً، وضربت لهم أمثلة: إنني لم أسمع من والدي شيئاً

عن هذا، وأغرب من هذا أنهم يقولون إنه من لم يؤمن بهذا الفكر فهو كافر، فكيف يتركني والدي حسن الهضيبي وأنا لا أعرف شيئاً عن هذا الفكر، وبذلك أكون أنا على كفر!! ..

وكان والدي حُكم عليه بثلاث سنوات، وأحضروه من ليمان طره إلى المعتقل، ولما عرف بهذه الحكاية نفى تماما هذا الكلام، وطلب إعداد كتاب للرد على هذا الفكر الخاطئ، وهو فكر التكفير، وكان يسمح لنا بالحصول على أوراق وكتب من أجل التأصيل الفقهي للرد على هذا الفكر؛ حتى لا يسري في جسد الجماعة، فكان كتاب (دعاة لا قضاة) .

ما هي ظروف اعتقال سيد قطب ومجموعته حيث عاصرت الأحداث؟

بالنسبة لمؤامرة إعدام الأستاذ سيد قطب كما حدث، وأعلم آنذاك أنهم أعلنوا أن سيد قطب يقود مؤامرة ضد الرئيس جمال عبد الناصر، ولا أحد يصدق ذلك، ولم يندد أحد بشيء، وفوجئنا باعتقال ٢٢ ألف شخص، في القضية التي كان جملة المتهمين فيها -بمن فيهم تجار السلاح الذين أقحموا- لم يتجاوز ٨٣ شخصاً .. وظلوا في المعتقلات منذ عام ١٩٦٥ وحتى أول عهد الرئيس السادات، وأنا شخصياً مكثت منذ عام ١٩٦٥ وحتى أول يوليو ١٩٧١ بعد أن جاء الرئيس أنور السادات، وأراد أن يصفي الأمور ويهدئ النفوس.

كيف تم اعتقالك وما تهمتك آنذاك؟

جاءت قوات الأمن كما تفعل، واقتحموا منزلي في منتصف الليل، وحطموا أثاثه، واستولوا على مكتبة كانت لدي، ثم اقتادوني إلى المعتقل، وكانت تهمتي أنني أقدم مساعدات وأموالاً لعائلات وأسر المعتقلين المغيبين في السجون، والذين اعتقلوا منذ ١٩٥٤م .. وهذا كلام غير صحيح، حيث إنني كنت أبحث عن الأسر المعدمة التي يتضور أبناؤها ونساؤها من الجوع ولا يجدون ما يأكلون، فنقدم لهم يد المعونة، وكما هو معروف أنه في كل الأديان والشرائع العقوبة شخصية .. فالشخص سواء أجرم أم لم يجرم فقد تم اعتقاله، فما ذنب أسرته يمنع عنهم الطعام والشراب والمساعدات المالية، كما ثبت أن هذه الأموال لا تستخدم في أغراض أخرى غير مساعدة هذه الأسر للحصول على الطعام والشراب وأعباء المعيشة للأسر الفقيرة

المحتاجة.

هل تعرَّضت للتعذيب في السجن؟

طبعاً عندما اقتادوني من منزلي بعد الطريقة الهمجية التي اعتقلوني بها، أودعوني في مقر مباحث أمن الدولة فترة من أصعب الفترات عانيت فيها، حيث مكثت فترة ملقى على الأرض على البلاط دون طعام أو شراب أو نوم أو مظهر من مظاهر الحياة، ثم أخذوني إلى سجن (أبو زعبل)، وهناك علقوني بالمقلوب رأسي لأسفل وقدمي مربوط من أعلى، ونزلوا علي ضرب بشكل هستيري كدت أفقد الوعي، ثم طرحوا عليَّ العديد من الأسئلة التي لا أعرف عنها شيئاً، ثم فقدت الوعي وأغمي على من شدة التعذيب، فأنزلوني ووضعوني في زنزانة كبيرة خالية، وهي تسمى (المحمصة) .. وهي عبارة عن ساحة خالية يحيط بها سور حديد يضعون فيها الشخص المراد تعذيبه، فوضعوني فيها وبها مجموعة من المتخصصين في التعذيب، قاموا بتعليقي بعد أن ظلوا يضربوني فترة طويلة، وأنا من شدة الضرب أجري بينهم دون توقُّف، حيث كلما أمرُّ على أحدهم يضربني بالسوط أو العصا الغليظ أو بالقلم الذي في يديه، وبذلك يمنعوننا من النوم أو الجلوس أو الوقوف، وهكذا يستمر التعذيب لساعات طويلة في نفس المكان بشكل لا إنساني، ويظل المرء على هذا الوضع عدة أيام وحسب زبانية التعذيب.

هل تعرَّض الوالد للتعذيب مثلك؟

الوالد أنا لم أكن معه، ولكنه حكى لي أنه تعرَّض للتعذيب أيضًا، فكانوا يضعونه في زنزانة إسمنت، ويرشون عليها مياهًا، ثم يحضرون مجموعة من الكلاب القذرة والنتنة ويضعونها معه في نفس الزنزانة، فتبول وتتبرز في الزنزانة بجواره، بحيث إن الإنسان لا يستطيع أن يجلس –من المياه– في الأرض ولا ينام، وهو رجل فوق السبعين سنة، يظل في هذه الحالة ويتعرَّض لهذا التعذيب .. وكان في عام ١٩٥٤ التعذيب أشد وأفظع، وهناك أناس كثيرون ماتوا من التعذيب ... وكانوا يقتلونهم في السجن الحربي، ثم يدفنوهم في الصحراء بالعشرات، والتعذيب

استمرّ، وضحاياه بالمئات من الإخوان في العهد الناصري.

عبدالقادر الأرناؤوط

(العالم المحقِّق)

الترجمة:

ولادته في كوسوفا، ونشأته واستقراره بدمشق، أمضى حياته في العلم والدعوة والتعليم والتحقيق، وقد أحببت أن أورد ترجمته كما ذكره هو بنفسه في آخر الحوار (الثاني)، وفيه حديث عن سيرته الشخصية والعلمية بأسلوب مشوِّق، مع تواضع العلماء... وجاء بعضها في بداية الحوار (الأول). وقد توفي رحمه الله يوم الجمعة ١٤ شوال عام ١٤٢٥هـ، ٢٦ تشرين الثاني عام ٢٠٠٤م.

هذا اللقاء:

أجرى هذا الحوار معه الأستاذ ياسر المقداد، ونُشر في مجلة (القمة) العدد (٥) منها، في شهر ذي القعدة ١٤٢٥هـ، ديسمبر ٢٠٠٤م، ص١٤- ١٨، وذكر أعلاه: «في آخر لقاء له مع القمة».

نص الحوار (الأول)

ولد الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط رحمه الله في كوسوفا – يوغوسلافيا عام ١٩٢٨م، وفي عام ١٩٣١ ذهب إلى دمشق قادمًا من كوسوفا مع والده.

وعن أسباب هجرته وأبيه من كوسوفا إلى دمشق يقول الشيخ أرناؤوط: كنا في ذلك الوقت أيام صربيا والمسلمون كانوا هناك معذبين ومضطهدين في كوسوفا وفي كل يوغسلافيا من أولها إلى آخرها، وخاصة أن هذه المنطقة يوجد فيها المسلمون في كوسوفا ومقدونيا وألبانيا، والحكم هناك للصرب، لذا كان المسلمون يعانون منهم ألوان العذاب، فرأى والدي أن يترك البلد.

بداياته في طلب العلم

وعن سيرته في طلب العلم يقول الشيخ عبدالقادر: جئت وأنا صغير عمري ثلاث سنوات سنة (١٩٣١م) مع والدي – رحمه الله – وبعد ذلك وضعني في المدرسة الابتدائية واسمها (مدرسة الإسعاف الخيري)، وما تزال إلى الآن، لكن تغير اسمها ،فكان يوجد فيها شيخ أصله من المغرب اسمه صبحي العطار، فقرأنا عليه القرآن والتجويد والفقه واستفدنا منه كثيرًا، ثم قرأنا على الشيخ محمود فايز الدين عطائي تلميذ الشيخ محمد سليم الحلواني الكبير – رحمه الله – وقرأت على بعض المشايخ الألبانيين، مثل الشيخ نوح والد الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، وعلى الشيخ سليمان الغاوحي الألباني والد وهبي سليمان الألباني الموجود الآن، وقرأت على الشيخ صالح الفرفور، ولم يكن هناك معهد، وإنما كنا ندرس في جامع بني أمية وجامع فتحي في (القيمرية) من الجهة الشرقية في دمشق.

حكايته مع الساعاتي

ويضيف الشيخ: كان والدي قد ذهب إلى دكان عند الجامع الأموي فوجد فيها شيخًا بعمامة بيضاء ولحية سوداء فسأله أن يعلمني مهنة الساعات، فقال له: منذ أيام جاءني رجل من (حرستا) ومعه ولد مثل ولدك وأعطاني خمس ليرات ذهبية عثمانية، على أن أعلمه فأبيت، ولكن ما دمت وابنك غريبين، فضعه. وكان هذا الشيخ اسمه (سيد الأحمر) وهو

خريج الأزهر، لكنه كان عصاميًا، لم يرد أن يتسلم وظيفة، وفي اليوم التالي لما جئت إليه قال لي: يا ولدي، هل تقرأ القرآن؟ قلت له: إن شاء الله، فأعطاني مصحفًا، وكان عمري أربعة عشر عامًا، تقريبًا، فقرأت شيئًا، فسألني أين قرأت القرآن، قلت له: على الشيخ صبحي العطار، ثم سألني: هل قرأت شيئًا في الصرف، قلت له نعم، فقال: اصرف لي باب (نصر) تفاؤلاً بالنصر، فقلت: نصر – ينصر – نصرًا – فهو ناصر – وذاك منصور – لم ينصر – لما ينصر – لينصر – أنصرْ به.

ثم جاء بكتاب الكفراوي في النحو، وطلب مني إعراب جملة أعربتها، فقال: أين تعلمت النحو، فقلت له: قرأت على الشيخ سليمان الغاوجي، ثم قال لي: يا بني – وكنا في رمضان – من الذي لا يجب عليه الصيام، وكنت أحفظ في ذلك بيتين عن الشيخ صبحي العطار فقلت له:

وعوارض الصوم التي قد يغتفرْ

للمرءِ فيها الفطرُ تسعٌ تُستطر

حبَلٌ وإرضاع وإكراهٌ سفَر

مرضٌ جهادٌ جوعةٌ وعطشٌ كِبَر

فقال لي: يا بني ينبغي أن تكون طالب علم، لا تضيع وقتك، في النهار تعمل عندي، وفي الصباح تقرأ على المشايخ، وأخذني إلى جامع بني أمية، وسلمني لبعض الحلقات، وأخذني إلى مدرسة في سوق (البزورية) تسمى المدرسة الكاملية، كان فيها الشيخ محمود فايز الديرعطاني، فقرأت عليه القرآن مرة أخرى من أوله إلى آخره، وبقيت عشر سنوات أقرأ عند الشيخ عبدالرازق الحلبي شيخ الحنفية في الشام.

*** يتردد – فضيلة الشيخ – أن اسم سماحتكم كان قدري؟**

نعم. وما زال إلى الآن في الهوية الشخصية، وفي دفتر العائلة، وفي جواز السفر، فمنذ قدمت الشام وأنا صغير في الابتدائي كنت ذكرت عن نفسي أني – عبدالقادر – واستمر اسم عبدالقادر حتى الآن، وفي سنة (١٩٥٨م) لما رشحت نفسي، كتبت: قدري الأرناؤوط

المعروف بعبدالقادر الأرناؤوط مع الصورة، حتى تعرف الصورة ويعرف الاسم.

*** ذكرتم أن بداية تعليمكم كانت في مدرسة الإسعاف الخيري، هل كان معكم فيها أحد من أهل العلم المعروفين الآن؟**

- كان قبلي الشيخ ناصر الدين الألباني، وهو أكبر مني بأربعة عشر عامًا، حيث قرأ فيها على الشيخ صبحي العطار.

*** ما الأشياء التي عانيت منها أيام طلبك العلم؟**

- المشايخ رحمهم الله، كانوا يريدون من طالب العلم أن يكون وقفًا عليهم لا يقرأ عند غيرهم، وكنت لا أحب هذا، بل أنتقل من هذا إلى هذا، فنقموا علي لذلك، وكانوا لا يحبون أن تعترض عليهم - لا تعترض فتنطرد - لكني كنت أسمع الأحاديث في الجامع الأموي فأرجع إلى الكتب، وأقول هذا الحديث ضعيف، وهذا صحيح، هذا حسن، وكان ذلك لا يعجبهم، لذلك في الفترة الأخيرة ما وجدت حلاً، إلا أن أنفصل عنهم...

*** كنتم قد اشتغلتم في المكتب الإسلامي فترة من الزمن، فكم كان عمرك ذاك الوقت، وما هي بعض الأعمال التي قمتم بها؟**

- طلب مني أن أشتغل في التحقيق، فاشتغلت في المكتب الإسلامي أنا والشيخ شعيب الأرناؤوط، وكان عمري خمسة وعشرين عامًا تقريبًا، بقيت عشر سنوات، حققت فيها مع الشيخ شعيب عدة كتب في الفقه الشافعي: روضة الطالبين للإمام النووي الدمشقي، وفي الفقه الحنبلي: غاية المنتهى. واشتغلنا فترة في مشكاة المصابيح مع الشيخ الألباني، فكان هو يخرج الأحاديث وأنا والشيخ محمد الصباغ ننظر في قضايا اللغة والشرع وغيرها.

*** هل اشتركتم مع الشيخ الألباني في التحقيق أيام المكتب الإسلامي؟**

- لا، كان الشيخ يعمل وحده، وكنت أشترك مع الشيخ شعيب، ثم تركت المكتب واشتغلت وحدي، وبقي الشيخ شعيب بعدي عشر سنوات أخرى.

من هم أبرز العلماء في الشام ذاك الوقت، وما دورهم؟

الذين اشتهروا مثل الشيخ حسن حبنكة في الميدان، والشيخ صالح الفرفور، والشيخ عبدالكريم

الرفاعي، هؤلاء كان لهم تلاميذ، لذلك اشتهروا، وكان أيضًا الشيخ محمد بهجة البيطار، لكن ليس له تلاميذ، وليست له مدرسة، لذا لم يكن مشهورًا في الشام، وإنما كان مشهورًا في العالم الإسلامي خارج الشام، بينما قد يكون هو أعلم من هؤلاء الذين لهم مدارس.

*** وهل كانوا يعادونه؟**

- نعم، أقام المشايخ حربًا عليه، وبالرغم من أخلاقه الكريمة لم يخلص من الناس - رحمه الله .

*** وهل كان بينكم وبين الشيخ - رحمه الله - واصل علمي لما كان في الشام؟**

- المشكلة أن بعض طلاب الشيخ - رحمه الله - كانوا يسيؤون له، وكنا نشكو منهم، فمثلاً كان هو يدرس الترغيب والترهيب، هذا منذ خمسين عامًا، فقال لي الشيخ محمود مهدي الإستانبولي - رحمه الله -: يا شيخ، نحن نجلس في الدرس لكن لا نعرف إذا قال لنا الشيخ صحيح صحيح، وإذا قال حسن حسن، وأنتم عندكم علم، فلو حضرت أنت والشيخ - رحمه الله -، فقال أحد الحاضرين بشدة: ومن يستطيع أن يرد على الشيخ في هذا البلد، فقال له الشيخ - رحمه الله - هذا طالب علم، ويتكلم بعلم. فنهاه عن ذلك.

وحصل موقف آخر أيضًا، فما استطعنا أن نجالس الشيخ لوجود أمثال هؤلاء، وأمثال هؤلاء هم الذين أساؤوا للشيخ في البلد، والشيخ - رحمه الله - ما كان ليقول مثل هذا، لكن تلاميذه زادوا في ذلك.

وقد جرى معي من جديد موقف من أمثال هؤلاء، فجاء أحدهم فقال لي وبسوء أدب: سمعت أنك لا تقول بتحريم الذهب المحلق، فقلت له: نعم، وذكرت له الأدلة وما قال به من الفقهاء، فقال: وما نريد بالفقهاء، أوصل به الأمر أن: أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد فقههم فقه مبتدعة! فهؤلاء هم الذين أساؤوا إلينا في هذا البلد.

*** هل تتلمذتم على الشيخ محمد بهجة البيطار؟**

- لا، لكن أيام كنت في المكتب الإسلامي طلب مني صاحبه الأستاذ زهير الشاويش أن أشترك مع الشيخ بهجة البيطار في ترجمة كان يعدها عن شيخ الإسلام ابن تيمية، سماها (حياة شيخ الإسلام ابن تيمية)، وكان الشيخ بهجة البيطار صاحب خلق، أخلاقه أخلاق

العلماء، فقال لي صاحب المكتب: هذا لا يليق إلا أن تكون أنت معه، فلازمته إلى أن طبع الرسالة، لكنه كان يتردد إلى المكتبة الظاهرية وكنا نجتمع به هناك.

ما هو أول أعمالكم العلمية؟

أول كتاب حققته (غاية المنتهى) في الفقه الحنبلي.

*** من المعروف أن كتاب (جامع الأصول) هو أول أعمالك؟**

- جامع الأصول حققته بعد ذلك، لكنه هو أول كتاب انفردت به. بدأ معي الشيخ شعيب في الجزء الأول، ثم ترك وأكملته وحدي، اشتغلت فيه خمس سنوات، والآن أقوم مرة أخرى بتحقيقه، وأضفت إليه ابن ماجه، ومستند أحمد، انتهيت من تحقيقه ولكن لم يطبع بعد.

*** أي الكتب التي حققتها يقع موقعًا خاص في قلبك؟**

- جامع الأصول، فقد أوليته عناية خاصة.

*** ما السبب وراء تخصصكم في علم الحديث دون غيره من العلوم؟**

- لما قرأت القرآن على الشيخ محمود فايز الديرعطاني، طلب مني أن أحفظ القرآن وأقرأ القراءات، فقلت له: لم ينشرح صدري لعلم القراءات، وإنما ينشرح صدري لعلم الحديث والفقه. فبدأت منذ ذلك الحين أتتبع الأحاديث النبوية، وعندما أسمع حديثًا من المشايخ في جامع بني أمية، وكان أكثرهم يدرس أحاديث من (الجامع الصغير) للسيوطي، فأرى هذا الحديث ضعيفًا! ومن هذا حبب إلي حفظ الحديث وعلم الحديث، فكان أول ما بدأت بصحيح مسلم، انتقلت إلى البخاري وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، وبدأت أحفظ ولم أكن متزوجًا بعد، وفي ريعان الشباب، لا أجد ما يشغلني، أصلي الفجر وأذهب إلى البراري حيث الهدوء والفراغ. فأحفظ القرآن وأحفظ الحديث، وقد أدركت منذ الصغر أن القرآن والسنة لا يفترقان، وعندما دُعيت للتدريس في المدرسة التي درست فيها، قرأت صحيح مسلم. وانتقلت من كتاب إلى كتاب.

*** كيف كان طلب العلوم الشرعية في الزمان الذي أدركته؟**

- كانوا يعتنون بالمتون، ولذلك يقولون: من حفظ المتون حاز الفنون.

هل كان علم الحديث آنذاك أكثر العلوم انتشاراً؟

– في الحقيقة لم يكن منتشرًا، ورحم الله الشيخ بدر الدين الحسني، وهو المحدث الذي كان آنذاك، لم يترك تلميذًا محدثًا بعده.

*** تراكم بعد ذلك انصرفتم إلى التحقيق خاصة دون التأليف، فما السر في ذلك؟**

– أما بالنسبة للتأليف، فالكثير يؤلفون، فوجدت أن التحقيق في بيان الصحيح من الضعيف، وإخراج كتب التراث أولى من التأليف.

*** ما هي أهم المكتبات التي تحوي كنوز العلم من المخطوطات في الشام؟**

– المكتبة الظاهرية غنية بالمخطوطات، ومكتبة مخطوطات حلب، والآن فتحوها، ودمشق فيها مكتبة واحدة.

*** هل هناك كتب من كتب السنة مهمة ما زالت مدفونة في مكتبات المخطوطات تودون لو أخرجت للنشر؟**

على الغالب الكتب المشهورة طبعت، فمثلاً كتاب (البحر الزخّار) طبع و(معجم الطبراني) طبع، وكذلك (المعجم الأوسط) طبع و(المعجم الصغير)، فكثير من الكتب التي كانت مفقودة، الآن أصبحت بين أيدي طلبة العلم ولله الحمد.

*** الكتب التي طبعت ألا ترى أن العناية بها قاصرة؟**

– البعض جيد مثل: (معجم الطبراني الكبير) حققه حمدي عبدالحميد السلفي، و(المعجم الأوسط) يحتاج إلى شيء من التحقيق، وكذلك المعجم الصغير.

*** هل ترى أن كتب السنة أخذت حقها من العناية؟**

حتى الآن لا، فمثلاً عندنا في الشام ما كان للمشايخ عناية بالسنة، وإنما كل واحد يعتني بفقه مذهبه.

*** ما هي آخر أعمالكم العلمية؟**

– كما ذكرت، انتهيت الآن من (جامع الأصول) لابن الأثير تحقيقًا مرة أخرى، وهناك

كتاب (النهاية في الفتن والملاحم) لابن كثير، وهو مهيأ للطبع في دار ابن كثير، وأما (البداية) فقد اشتغل فيه عدة أشخاص في السعودية، وأنا نظرت في نصوصها وأحاديثها فقط، وعندي بعض الكتب الآن موجودة في الرياض في مكتبة المعارف، منها (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) للقاضي عياض، و(السنن والمبتدعات) للشقيري، و(المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح) للدمياطي، و(يقظة أولي الاعتبار بذكر الجنة والنار) لصدِّيق حسن خان. و(الجمع بين الصحيحين) للصاغاني، كلها مهيأة للطبع. وحققت أخيرًا (شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد) وهذا الكتاب في الحقيقة جيد، ويقع في مجلدين، في المكتب الإسلامي.

*** من المعلوم أن كثرة المخالفين لصاحب العلم تترك أثرها في منهجه في التأليف، إذ يأخذ طابع الرد والمناقشة، وربما تبع ذلك حدة في المزاج تترك بصماتها في كتاباته، فما السر في عزوفكم عن هذا الأسلوب بالرغم من كثرة المخالفين؟**

- أرى وجوب الاعتدال والتوسط، وألا نشدد على الناس كثيرًا، نعم ينبغي أن نرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله، وأن نعمل بالسنة ونترك البدعة، لكن باعتبار أن البدع منتشرة كثيرًا في المساجد وبين طلاب العلم، فينبغي أن ننبههم تنبيهًا لطيفًا لا أن نكفِّرهم ونفسِّقهم ونبدِّعهم، فعند ذلك لا نستطيع أن نصل إليهم، ولو اتفقنا على أن نرجع إلى ما أمرنا الله به {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [سورة النساء: ٥٩] لانتهت المشكلة.

لذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الخلاف. روى الطبراني في المعجم الكبير عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن جماعة من الصحابة كانوا عند باب داره وقد اختلفوا، هذا يرجع بآية[٦] فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكأنما فُقئ حبُّ الرمان في وجهه لشدة الغضب، فقال: «**يا هؤلاء، أبهذا بعثتم أم بهذا أمرتم. لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**». وأنا أقول عبارة دائمًا: (لا نريد سلفية تنطح، ولا صوفية تشطح، ولكن نريد من ينصح، دون أن يقدح أو يمدح).

هل سبق أن ذهبتم مذهبًا في التأويل؟

---

(٦) لفظ راويه: كنا جلوسًا عند بابِ رسولِ اللهِ نتذاكرُ، ينزعُ هذا بآيةٍ، وينزعُ هذا بآيةٍ.

– في بادئ الأمر، عندما كنا نقرأ على بعض المشايخ أول طلبنا للعلم، أما الآن فأنا لا أقول به. وإن كان هناك بعض العبارات في بعض تحقيقاتي فهو ممن شاركني فيها.

*** كان لكم مع الشيخ الألباني صحبة طويلة منذ الصغر، ثم اشتركتم في العمل في المكتب الإسلامي، فكيف كانت علاقتكم به؟**

– أنا لم أكن أختلف معه كثيرًا في الحديث، لكن في المسائل الفقهية نعم، وكنت أقول له ونحن في الظاهرية: هناك أربع مسائل سأرد عليك فيها: قوله في الزيادة على إحدى عشرة ركعة في التراويح بدعة، ورددت عليه في جامع الأصول، وكان يقول: ليس الحج إلا تمتعًا، وكان يحرم الذهب المحلق على النساء، وكتبت ردًا عليه أيضًا في (جامع الأصول)، فقد قال المنذري عندما ذكر حديث «**من أحب أن يحلق حبيبه حلقة من نار فليحلقه حلقة من ذهب**» هذا الحديث يحتمل وجوهًا من التأويل، إما أنه منسوخ بأحاديث أخرى؛ لأنه ورد في بعض الأحاديث أنه صلى الله عليه وسلم أخذ بإحدى يديه ذهبًا، وفي الأخرى حريرًا وقال: "**هذان حرام على ذكور أمتي، حلّ لإناثهم**"، أو المقصود من الحديث: من لم تدفع زكاته إذا بلغ نصابًا، أو المقصود بالحديث من أظهرته للرجال الأجانب، أو لمن حملته فخرًا وخيلاء، وقال بالإباحة أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن تيمية وابن قيم الجوزية والشوكاني والصنعاني وغيرهم، ولم يقل بتحريمه سوى عبدالحق الدهلوي من الهند. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب في النساء فيقول: "**يا معشر النساء تصدَّقن تصدَّقن، فإني رأيتكن أكثر أهل النار**"، فتأتي المرأة بسوارها وقرطها وخاتمها تضعه أمام رسول الله، وما عهد أنه قال لامرأة لم تحملينه، وإنما كان يقول: هل أديتِ زكاته؟

*** البعض يلمز الشيخ رحمه الله في الحديث؟**

– من طعن في الشيخ الألباني فإما أنه لا يفهم في الحديث، أو لا يعرف الألباني، فالرجل عمره في الحديث ستون عامًا أو أكثر، خدم السنة خدمة لا مثيل لها في هذا العصر.

*** ثمة رأيان في الحكم على أسانيد الحديث، رأي اقتصر على ما قاله المتقدمون، ورأي يقول: باب الاجتهاد مفتوح ونحكم بمقتضى ما يوصلنا إليه بحثنا؟**

– أما فيما يتعلق بالجرح والتعديل، فلا شك أن الرجوع إلى المتقدمين، وأما بالنسبة للحكم على الأحاديث، فبعض المحدِّثين تساهلوا، وآخرون شدَّدوا، فلابد من النظر.

*** حدثنا عن شخصية معاصرة تأثرت بها؟**

– تأثرت في شبابي بالأستاذ عبدالرحمن الباني، وهو موجود الآن في الرياض، وهو مستشار وزير التربية، ومن تلاميذه الألباني، قد كنت إمامًا وخطيبًا على طريقة المشايخ (عمائم كالأبراج، وأكمام كالأخراج)، فكان يصلي عندي هو والشيخ الألباني – رحمه الله –، وينبهني إلى أخطائي بطريقة لطيفة، فقد تأثرت به كثيرًا في أخلاق السلف. وأنا أقول: إنه هو والشيخ محمد عيد العباسي يصلحان أن يكونا دعاة لمنهج السلف الصالح، لما عندهما من حلم ولطف وصبر.

*** تعيش الأمة الإسلامية أزمة حقيقية، ويرى البعض أن المخرج في الخروج للدعوة بالشكل البسيط، وآخرون في خوض العمل السياسي، وآخرون في الاهتمام بالعقيدة كما بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بغرس مبادئ التوحيد، وآخرون في الجهاد؟**

– نحن لا نريد مثل جماعة التبليغ، لا يهتمون بالعقيدة ولا بالفقه، إنما عبارة عن أخلاق، فهذا لا يكفي، وكذلك البعض يقول لا يجوز أن نتدخل في السياسة، وكانوا يعلموننا: ساس – يسوس – سياسة، إياك أن تتكلم بها، والحديث في الصحيحين: «**كانت بنو اسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبيٌّ خلَّفه نبيّ، وإنه لا نبيَّ بعدي**».

والسياسة رعاية شؤون الأمة، وفي الصحيحين: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**..».

ونحن الآن انصرفنا عن هذا إلى الدنيا، وكما قال البدوي:

وما العيش إلا نومة وتبطح

وتمر على رأس النخيل وماءُ

وما ذلَّ المسلمون إلا لما تركوا الجهاد، وقال عبدالله الزهراني:

والله لو كان فينا مثل معتصم

لما تربع شارون عواليها

ولو رأى عمر الفاروق ذلتنا

لعبأ الجيش يرعاها ويحميها

ولو رآنا صلاح الدين في خور

لجرد السيف يضري من يعاديها

لكن أين هؤلاء؟! فالشام فتحها اثنان من الصحابة: أبو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد، لذا قال حافظ إبراهيم:

سل قاهر الفرس والرومان

هل شفعت له الفتوح وهل أغنى تواليها

غزا فأبلى وخيل الله قد عقدت

باليمن والنصر والبشرى نواصيها

ما واقع الروم إلا فرَّ فارسها

ولا رمى الفرس إلا طاش راميها

عشرون موقعة مرت محجلة

من بعد عشر بنان الفتح تحصيها

وخالد في سبيل الله صاليها

ولم يجز بلدة بلدة إلا سمعت بها

الله أكبر تدوي في نواحيها

وعن عبدالله بن بُسر المازني قال: سمعت حديثًا منذ زمان: «**إذا كنتَ في قوم عشرين رجلاً، أو أقلَّ أو أكثر، فتصفحتَ وجوههم، فلم ترَ فيهم رجلاً يُهابُ في الله عز وجل، فاعلم أن الأمرَ قد رقّ**».

هذه الهيبة زالت من المسلمين، وكانت موجودة فيهم لما كانوا يهابون الله، فجعل الله الهيبة

فيهم. والآن ألف ومائتا مليون مسلم لا قيمة لهم.

*** الخوض في العمل السياسي؟**

– فيه محاذير، لكن قد لا يكون الوصول إلى المراد إلا من هذا الطريق، وقد رشحت نفسي منذ أربعة وأربعين عامًا، ثم تركت، ليس لأني لا أريد أن أشتغل بالسياسة، لكن لم أجد للسياسة موضوعًا.

*** انطلقت الدعوة الإسلامية بهدف إعادة المسلمين إلى دينهم وتوحيد الأمة لكي تقود البشرية إلى الفلاح، فلماذا لم تبلغ الدعوة حتى الآن أهدافها؟**

– عوامل النصر عندنا نحن المسلمين غير موجودة.

أولاً: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ} [سورة الأنفال: ٦٠].

ثانيًا: قال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا} [سورة آل عمران: ١٠٣] وكلنا متفرقون.

ثالثًا: قال تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} [سورة المائدة: ٢] وهذه كلها مفقودة.

*** هل طرق الدعوة توقيفية؟**

– توقيفية باعتبار أنه لا يجوز أن نجتهد بما يخالف الشريعة.

*** كتب تنصح بقراءتها؟**

– كتب السنة: البخاري ومسلم والسنن الأربعة، وجامع الأصول باعتباره يجمع موطأ مالك والصحيحين وأبي داود والترمذي والنسائي، والآن ضممت إليه ابن ماجه، ومسند أحمد.

وفي الفقه: المغني لابن قدامة المقدسي، والمجموع شرح المهذب للنووي، والمدونة في فقه الإمام مالك، وفتح القدير شرح الهداية للكمال بن الهمام الذي يسمونه أبا حنيفة الزمان.

*** ما هي أطرف المواقف التي مرت بكم؟**

– أن أذهب أحيانًا إلى (كوسوفا) بلدي وأخطب الجمعة باللغة الألبانية ويجتمع فيها الألوف

من الناس، والمسؤولون هناك وكانوا تلامذتي هنا في الشام، ما يصدق أحدهم متى أركب الطائرة وأنصرف عن وجهه.

***كلمة أخيرة تتوجه بها إلى الأمة؟**

- روى البزار في مسنده عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**الإسلام ثمانية أسهم: الإسلام سهم، والصلاة سهم، والزكاة سهم، وصوم رمضان سهم، وحج البيت سهم، والأمر بالمعروف سهم، والنهي عن المنكر سهم، والجهاد في سبيل الله سهم، وقد خاب من لا سهم له**».

وروى أحمد في مسنده والطبراني في معاجمه الثلاثة عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: «**أمرني خليلي صلى الله عليه وسلم بسبع: أمرني بحبِّ المساكين والدنوِّ منهم، وأمرني أن أنظرَ إلى من هو دوني ولا أنظر إلى من هو فوقي، وأمرني أن أصلَ الرحم، وأن أقولَ الحقَّ وإن كان مرًا، وأمرني ألا أخافَ في الله لومةَ لائم، وأمرني أن أكثرَ من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنهنَّ من كنز تحت العرش**».

ونسأل الله أن يجمع كلمة الأمة الإسلامية على الهدى والتقوى، وأن يوفقنا نحن الدعاة خاصة، أن نتعاون فيما بيننا، وألا نضيع أوقاتنا في المستحبات ونترك الأركان.

نص الحوار (الثاني)

وهذا لقاء آخر أجري معه قبيل وفاته، ونشر بعدها، أجراه محمد العرب لصالح مجلة (منبر الداعيات) ع ١٠٥ صفر ١٤٢٦ هـ، ولعله يكون هو آخر لقاء معه، قال محاوره:

لقد كان لي شرف مقابلة الشيخ المحدِّث عبد القادر الأرناؤوط قبيل وفاته عندما زار لبنان، وكان لوفاته أثر كبير في نفسي، خاصة وأنني عرفته عن قرب، والتقيت به في منزله، وسمعت بعض دروسه ومحاضراته، فنسأل الله تعالى أن يتغمده برحماته، وأن يسكنه فسيح جناته.

١- منبر الداعيات: كيف بدأت مسيرة الشيخ عبد القادر الأرناؤوط العلمية؟ وأين تلقى علومه؟

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

بدأت بطلب العلم منذ صغري، فقد كان عمري حوالي السبع سنوات عندما كنت أقرا القرآن والفقه على الشيخ الحلبي صبحي العطّار؛ فقد كان يدرسنا في المدرسة الابتدائية- مدرسة الإسعاف الخيري- فأصبح عندي حب لدراسة الفقه الإسلامي والسنَّة النبوية.

كما درّسني الشيخ سليمان الغاوجي الألباني رحمه الله الصَّرف والنحو، وكان جارنا، فصار عندي شغف لطلب العلم. بعد ذلك عملت أول شبابي في تصليح الساعات، وبعد ٥ سنوات فتحت دكانًا لتصليح الساعات، وفي هذه الأثناء جاءني مدير المدرسة الابتدائية التي كنت أدرس فيها وهو نور الدين طال، وطلب من أدرِّس في المدرسة، وكان عمري حوالي العشرين، وكان الشيخ صبحي العطار لا يزال يدرّس فيها، فسُرَّ كثيرًا، لأن أحد تلامذته أصبح يدرِّس معه في نفس المدرسة!

وكان أول كتاب أقرؤه في المدرسة صحيح مسلم، فأصبح عندي حبٌّ لقراءة الحديث، وعندما انتهيت منه بدأت بصحيح البخاري، ثم أبي داود، ثم الترمذي... وهكذا حتى صار عندي حب للسنة النبوية.

في ذلك الوقت كان الشيخ جميل الشطّي مفتي الحنابلة في الشام يعمل في المكتب الإسلامي في الفقه الحنبلي، وتوفي الشيخ رحمه الله وكان قد بدأ بتحقيق كتاب (غاية المنتهى) في الفقه الحنبلي، وعندها طلبوني في (المكتب الإسلامي) لأنهي هذا الكتاب، فبدأت أعمل في التحقيق، وبقيت كذلك مدة ١٠ سنوات، وبعدها بدأت أول كتاب بمفردي، وكان" جامع الأصول في أحاديث الرسول" لابن الأثير، وبقيت في تحقيقه ٥ سنوات، فصار عندي مِرَانٌ في التحقيق. ومن كتاب إلى كتاب صار عندي عدة كتب، وصلت إلى أكثر من ٥٠ كتابًا، اشتغلت بها في التحقيق في الفقه الحنبلي والشافعي، كـ" روضة الطالبين وعمدة المفتين" للإمام النووي رحمه الله، وفي كتب الحديث وكتب السنة، ومضي عليَّ حوالي ٥٥ عامًا وأنا أعمل في هذا الموضوع ولا زلت، والحمد لله رب العالمين...

٢- منبر الداعيات: أين تقع السنة النبوية من التشريع الإسلامي؟ وكيف نردُّ على

أولئك الدين يقولون إننا نأخذ بالقرآن الكريم فقط لأنه متفق عليه، أما السنة النبوية فليست قطعية؟

- تعتبر السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، والله تعالى يقول في القرآن الكريم: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [النساء: ٥٩].

إلا أن هناك بعض الناس اليوم يسمون أنفسهم" القرآنيين"، أي أنهم يفهمون الإسلام من القرآن وحده، وهذا غير مقبول أبدا؛ ففي القرآن الكريم أحكام عامة، على سبيل المثال {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} ولكن كيف نقيمها؟ وفي أي وقت؟ وهذه التفصيلات غير موجودة إلا في السنة النبوية، وكذلك الأمر بالنسبة للصيام والزكاة والحج وغيرها، وبالتالي لا يمكن الاستغناء عن السنة بحال من الأحوال، ومن يقول أكتفي بالقرآن فقط يقع في الحرام بدون شك، لأن كثيرًا من الأحكام مفصلة في السنة، كما أن بعضها مذكور في السنة فقط، وعلى سبيل المثال حرمة الجمع بين المرأة وعمتها، وبين المرأة وخالتها، حيث لم يُذكر هذا الحكم إلا في السنة النبوية الشريفة، وكما قال عليه الصلاة والسلام: "**ألا إن ما حرم رسول الله كما حرم الله**".

٣- منبر الداعيات: ما هي علوم السنة النبوية بشكل عام؟

- في علوم السنة هناك قواعد لمعرفة الأحاديث الصحيحة والحسنة والضعيفة والموضوعة، وهو ما نسميه علم "مصطلح الحديث"، وأول من تكلم في هذا العلم الإمام الشافعي رحمه الله، وقد أشار عليه الإمام عبد الرحمن بن مهدي العنبري (٢٩٨هـ) أن يؤلف كتابًا يستفيد منه الطلاب من بعده، فألّف الإمام الشافعي كتابه "الرسالة"، ثم جاء العلماء من بعده وفصّلوا.

كما أن هناك "علم الرجال"، وهو ما يعرف بالجرح والتعديل (حدثنا فلان عن فلان عن فلان..) فكل فلان من هؤلاء له ترجمة تعرِّف بمشايخه وتلاميذه، وعندنا كتب كثيرة في " الجَرْح والتعديل"، وهي كتب التراجم، وتعتبر مرجعًا للعلماء حتى يتعرفوا على صحة أيّ حديث.

٤- منبر الداعيات: لقد أُلفت كتب في تقنيات حفظ القرآن تتضمن أساليب ووسائل

تساعد المرء على حفظ القرآن الكريم، فهل هناك تقنيات تُعين طلبة العلم على حفظ السنّة النبوية الشريفة؟

– القرآن الكريم كلام الله عز وجلّ، لذلك كانت العناية بحفظه كبيرة جدا، والسُنّة النبوية هي المفسِّرة له؛ لذلك كانوا أول الأمر يحفظونها بأسانيدها خوفا من ضياعها، ولكن بما أن كتب الحديث أصبحت مطبوعة بين أيدينا، لما يعد هناك ضرورة لحفظ السند، بل يكفي حفظ المتن فقط وإحالته إلى راوي الحديث والصحابي الذي نقله عن النبي – صلى الله عليه وسلم – كأن نقول: روى البخاري عن عثمان – رضي الله عنه – أو روى البخاري ومسلم عن معاوية – رضي الله عنه – وبما أن كتب الحديث الستّة (البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه) صارت بين أيدينا بأسانيدها ومتونها، أصبح يكفي طالب العلم أن يحفظ متن الحديث وراويه مع اسم الصحابي الذي روي عنه الحديث.

٥– منبر الداعيات: نلاحظ من المحاضرات التي ألقيتموها في لبنان أنّ الشيخ عبد القادر عنده مَلَكة كبيرة في حفظ مُتون الأحاديث النبوية الشريفة وإحالتها إلى كتبها، فكيف استطاع ذلك؟

– بدأتُ في حفظ الأحاديث في أول العشرين، ولا أزال إلى الآن أحفظها، لذلك أذكِّر الشباب وطلاب العلم بحديث النبي – صلى الله عليه وسلم – "**اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك**".

كما لابد أن نتحيّن الأوقات للحفظ، فليس كل وقت يكون مناسبا لذلك، أما عنّي فقد كنت أصلّي الفجر في المسجد وأذهب إلى البريّة ومعي كتاب حديث أحفظ منه، حتى إنني كنت أحفظ أحيانا في اليوم الواحد ١٠ أحاديث، وفي السنة يصبح العدد كبيرًا، وبعد عدة سنوات صارت عشرة آلاف حديث محفوظ ولله الحمد.

٦– منبر الداعيات: ما هي كتب الحديث التي تنصحون بها الطلاب إذا لم يكونوا من طلبة العلم الشرعي؟

– يمكنهم أن يبدؤوا بالكتب الصغيرة المختصرة، مثل كتاب" اللؤلؤ والمرجان بما اتفق عليه

الشيخان"، حيث يمكن للطالب إذا لم تكن دراسته شرعية أن يقرأ فيه بسهولة، لأن كل الأحاديث الموجودة فيه صحيحة، وهو ليس كتابا ضخمًا.

أما بالنسبة لكتب الأحكام، فننصح بكتاب "عمدة الأحكام" للحافظ عبد الغني المقدسي، لأن أحاديثه كلها من الصحيحين.

٧- منبر الداعيات: يُلاحظ أن معظم علماء الحديث كانوا من غير العرب، فما الحكمة من ذلك؟

- لقد تكفل الله عز وجل بحفظ هذا الدين، ولذلك لا يتقيد الإسلام بجنسية معيّنة؛ فعندما دخل الناس في الإسلام وكانوا يتفاخرون بآبائهم وأجدادهم، قال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "**إن الله قد أذهب عنكم عُبيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء، الناس بنو آدم وآدم من تراب، مؤمن تقي وفاجر شقي، لَيَدَعَنّ أقوام فخرَهم بأقوام، إنما هم فحمٌ من فحم جهنم، أو ليكونُنّ على الله أهوَن من الجُعْلان التي تدفع النتن بأنفها**".

وقد قال الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [سورة الحجرات: ١٣].

وبما أن العرب يعرفون اللغة، يصبح عندهم تراخٍ وتضييع للوقت، أما الأعجمي فيكون حرصه أكبر، ويكون حماسه أكثر، خوفًا من ضياع العلم، لذلك نرى أن الإمام البخاري وسائر أصحاب الكتب الستة هم من الأعاجم؛ فالإمام مسلم مثلا أصله قُشَيريّ، وعاش في نيسابور وتُوفي في بلاد العجم.

٨- منبر الداعيات: تمر أمتنا الإسلامية في هذه الأيام بحالة من الضعف والهوان، مما يبعث شيئًا من اليأس في النفوس، فهل في السنة النبوية إشارات إلى الوقائع التي تعيشها؟؟ وهل هناك بشارات؟

- لقد بين النبي - صلى الله عليه وسلم - في أحاديثه بشائر متعددة، حيث قال: "**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرّهم من خذلهم حتى يأتيهم أمر الله**"، وقال: "**إن الله يبعث على رأس كل مئة سنة إلى هذه الأمة من يجدد لها دينها**"، وقال: "**مثل أمتي**

مثل المطر، لا يُدرى أوله خير أم آخره" والرسول – صلى الله عليه وسلم – بشّر فقال: "**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين، بعز عزيز أو بذلِّ ذليل، عزًّا يعزُّ به الإسلام وذلاً يذلُّ به الكفر**".

وقال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} [سورة التوبة: ٣٣].

وصحيح أن هناك تقاعسًا من المسلمين، إلا أنه في المقابل هناك صحوة إسلامية في أوساط الشباب، ففي العالم الإسلامي كله نجد هذه الصحوة، ونجد شبابًا يريدون أن يتعلموا الإسلام ويفهموه، ويقرؤوا القرآن ويدرسوا السنة النبوية، ولذلك سيكون بعد عهد قريب– إن شاء الله – توسُّع في الإسلام والمسلمين، وسيكون لهم دولة وقوة بإذن الله عزَّ وجلّ.

٩– منبر الداعيات: إذا تتبَّعنا آراء العلماء نرى فيها بعض الخلاف، فكيف يمكننا فهم هذا الخلاف؟ وكيف يمكننا الاستفادة منه وتلافي الاختلاف فيما بيننا؟

– إن الخلاف أمر قديم وطبيعي، فالأئمة الأربعة اختلفوا في الرأي، ولكن كل واحد منهم كان يقول: إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي، وإذا رأيتم أن رأيي يخالف الحديث فاضربوا به عرضَ الحائط.

وقد قال عز وجل: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [سورة النساء: ٥٩] ولكن الفرق بيننا وبين المسلمين المتقدِّمين أن أولئك كانوا يختلفون في الأمور والرأي، ولكن خلافهم لم يؤدِّ إلى الحقد والحسد والعداوة والبغضاء.

أما نحن، فقد يختلف أحدنا مع الآخر فيحمل له الحسد، لذلك يقول الإمام الذهبي رحمه الله" لا يُقبل الطعن في الأقران".

والمشكلة اليوم أن طلاب العلم اندفعوا للإسلام، ولكن الكثير منهم لم يتمكنوا من اللغة العربية، وكل واحد منهم يقرأ نصاً ويريد أن يفسره حسب مفهومه، ومن هنا لا بد من العودة إلى العلماء.

في مجال اللغة نعود لعلماء اللغة، وفي مجال الحديث نعود لعلماء الحديث، فسيبوَيْه كان عالمِا

في النحو ولكنه كان ضعيفًا في الحديث، فيُرجع إليه في اللغة ولا يُرجع إليه في الحديث، والإمام حفص بن سليمان الأسدي الكوفي صاحب رواية حفص في القرآن الكريم، كان إمامًا في القراءة ولكنه كان ضعيفًا في الحديث.

فكل طالب يريد أن يدرس علمًا ويتخصص فيه لا يجوز له أن يطعن غيره، لأنّ غيره عنده علم غير موجود عنده، ولم يستطع أحد أن يجمع العلوم من أولها إلى آخرها، وإنما يشارك فيها مشاركة.

إذا اختلفنا مع بعضنا في قضية اللغة نعود لعلماء اللغة، وإن اختلفنا في الفقه نعود لعلماء الفقه، وإذا اختلفنا في الحديث نرجع لعلماء الحديث، وهكذا.

١٠- منبر الداعيات: فضيلة الشيخ، زرتم لبنان أكثر من مرة، فما هي انطباعاتكم عن النشاط الدعوي فيه؟

- أنا لا أعرف الكثير عن لبنان، ولكنني أعرف جمعية الاتحاد الإسلامي، فقد زرتها أكثر من مرة بفضل الله عز وجل، والحمد لله رأيت عددًا جيدًا من الشباب والنساء في المحاضرات، ورأيت اندفاعًا قويًا من الشباب، فجزاهم الله كل خير، وعلى رأسهم الأستاذ الشيخ حسن قاطرجي جزاه الله خيراً، الذي يقوم بهذا العمل، وجماعته الذين يتعاونون معه.

فالقضية تحتاج إلى تعاون، والله تعالى يقول: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى} [سورة المائدة: ٢] فالإنسان المؤمن دائما قويٌّ بأخيه، ومهما كان الرجل عظيماً ولم يكن له أجنحة من القوة فلن يستطيع أن يتوسع، ولكن عندما تتعاون جماعته معه تنتشر الدعوة ولله الحمد.

وإذا كان في لبنان ما هبَّ ودبَّ من الأفكار، فإن فيه أيضًا شباباً مسلماً يحاول أن يتعلم القرآن والحديث والفقه وأصول اللغة، ومجموعهم إن شاء الله عدد جيد. نسأل الله تعالى أن يكون لهم كذلك قوة يستفيد منها البلد كله.

١١- منبر الداعيات: عزمت جمعية الاتحاد الإسلامي على إنشاء دار للحديث والسُنَّة النبوية، فما هي أهمية هذا المشروع برأيكم في لبنان بشكل خاص وفي العالم بشكل عام؟

- إن اعتناء جمعية الاتحاد الإسلامي بالقرآن بشكل خاص وبالدراسات الإسلامية بشكل

عام جيد جدًا، ولكن وجود دار خاصة بالسُنَّة النبوية أمر جيد جدًا ليصبح عندنا مرجع للسُنَّة. فنسأل الله تعالى أن يسخِّر أناسا من هذا البلد لمساعدتهم على شراء دار للحديث ليكون فيها علم وشباب طيبون يَدْرُسون ويدرِّسون إن شاء الله في المستقبل القريب.

١٢- منبر الداعيات: ما هي نصيحتكم للعاملين في الحقل الدعوي؟

- ينبغي لطلاب العلم أن يتعاونوا فيما بينهم، وإذا اختلف أحدهم مع الآخر لا يعلن عليه الحرب.

لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يختلفون في بعض القضايا، والرسول - صلى الله عليه وسلم - يكره الخلاف؛ فقد روي الطبراني في (المعجم الكبير) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: بينما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يومًا في داره، فإذا به يسمع عند داره أناساً قد ارتفعت أصواتهم، هذا ينزع بآية، وهذا ينزع بآية، فغضب الرسول - صلى الله عليه وسلم - وخرج إليهم وكأنما فُقئَ حَبُّ الرمّان في وجهة من شدة غضبه فقال:" **أبهذا بُعثتم؟ أم بهذا أُمرتم؟ لا ترجعوا من بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**".

فينبغي أن نتوسع في بعض الأمور، وأن لا يكون هناك عداء بين طلاب العلم وشباب الدعوة، وإنما كل منهم إذا أخطأ بحسب وجهة نظر الآخر لا بد أن يسأل أهل العلم، وعند ذلك يزول الخلاف، وتذهب الشحناء والبغضاء من القلوب.

لا ينبغي أن تكون حاقدًا ولا حسودًا، وإنما تسمع وتقول رأيك، وإن كان هناك رأي يخالفه اسأل أهل العلم: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [سورة النحل: ٤٣]

والحمد لله رب العالمين.

سيرة حياته بقلمه

أما عن سيرته بقلمه، فقد كتبها قبل وفاته بشهور قليلة بطلب من أسرة مجلة (الاستقامة) عندما زارته في مكتبه بدمشق، ونشرت في المجلة المذكورة (العدد المزدوج ٩- ١٠) جمادى الأولى والآخرة عام ١٤٢٥هـ، ص٢٨- ٣١، وهذه هي:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن اسمي في الأوراق الرسمية في دمشق: قدري بن صوقل الأرناؤوط، وفي الهوية ودفتر العائلة، وجواز السفر، وفي جميع الأوراق الثبوتية.

ولكن اسمي المشهور بين الناس: عبدالقادر الأرناؤوط، وقد جعلته كذا منذ أول شبابي.

وهذه ورقات لبيان ما يتعلق بي من الأمور الذاتية، نسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعًا لما فيه خير الدنيا والآخرة.

وهاكم الموضوع بالتفصيل:

الاسم: قدري بن صوقل الأرناؤوط، المعروف بـ(عبدالقادر الأرناؤوط)، ولدت في قرية فريلا (Vrela) من إقليم كوسوفا (نحن الألبانيين نقول لها: كوسوفا - والصرب يقولون: كوسوفو) في يوغوسلافيا، سنة (١٩٢٨م)، وخرجت مع أهلي وأنا صغير من كوسوفا، سنة (١٩٣١م) وعمري ثلاث سنوات، ونشأت في دمشق الشام منذ ذلك الوقت، وحتى الآن، وكانت لي جولات وزيارات إلى كوسوفا، باعتباري أتكلم اللغة الألبانية، فكنت أخطب وأدرس وأعظ الشعب المسلم في كوسوفا، وكانت آخر زيارة لي منذ ثلاث سنوات تقريبًا.

ودرست في صغري في مدرسة ابتدائية تسمى مدرسة الإسعاف الخيري، وكانت في ذلك الوقت خمس سنوات، ونلت الشهادة الابتدائية، وقرأت على عدة مشايخ وأنا صغير، قرأت القرآن وتجويده على الشيخ صبحي العطار - رحمه الله -، ثم قرأته مرة أخرى من أوله إلى آخره على الشيخ محمود فايز الديرعطاني تلميذ الشيخ محمد الحلواني الكبير في دمشق - رحمهم الله -، وقرأت شيئًا من علم الصرف على الشيخ سليمان غاوجي الألباني رحمه الله.

وأراد مني والدي - رحمه الله - أن أتعلم مهنة الساعات عن الساعاتي الشيخ سعيد الأحمر - رحمه الله -، وكان درس في الأزهر، فرضي الشيخ سعيد الأحمر أن أشتغل عنده في مهنة الساعات وباعتباره درس في الأزهر وتخرج منه، أراد أن يمتحنني، فطلب مني أن أقرأ شيئًا من القرآن؟ فقرأت عليه بعض الآيات، فأعجبته قراءتي، فقال لي: على من قرأت القرآن، ودرست التجويد؟ فقلت له: على الشيخ صبحي العطار - رحمه الله -، ثم على الشيخ

محمود فايز الديرعطاني تلميذ الشيخ محمد الحلواني الكبير – رحمهم الله تعالى –، وسألني: هل درست شيئًا من الصرف والنحو على المشايخ، فقلت له: نعم، درست شيئًا من الصرف والنحو على الشيخ سليمان غاوجي الألباني – رحمه الله –، فقال لي الشيخ الساعاتي: نحن الآن في شهر رمضان، مَن الذي يجب عليه الصيام في رمضان، ومَن لا يجب عليه الصيام، وكنت قد حفظت بيتين من الشعر في الفقه الحنفي من الشيخ صبحي العطار وأنا صغير، فذكرتهما للشيخ الساعاتي، وهما:

وعوارض الصوم التي قد يُغتَفرْ

للمرء فيها الفِطر تِسع تُستَطَر

حَبَل وإرضاع وإكراه سَفَر

مَرَض جهاد جُوعه عَطَشٌ كِبَر

فطلب مني أن أذكر معناهما، فذكرتها له، ففرح كثيرًا، وقال لي: أنت ينبغي أن تكون طالب علم، فشجعني على ذلك، وأخذت أدرس على المشايخ، وكان من جملة المشايخ الذين درست عليهم (الشيخ محمد صالح الفُرفُور) في دمشق، وسمعت على عدة مشايخ في جامع بني أمية الكبير، وأتقنت مهنة الساعات عن الشيخ سعيد الأحمر، وكنت أعمل مهنة الساعات، وأدرس على المشايخ في الصباح بعد صلاة الفجر، وبعد المغرب والعشاء، ثم طُلِبَ مني أن أُدرِّس في المدرسة الابتدائية التي تخرجت منها، ثم درَّست في المدارس الإعدادية والثانوية القرآن وتجويده، والفقه، وحبّب إليَّ حفظ الحديث النبوي الشريف، وأول كتاب قرأته في الحديث: صحيح مسلم، وكنت أحفظ عدة أحاديث في كل يوم، ثم قرأت صحيح البخاري، وكتب السنن الأربعة، وهكذا إلى أن طُلِبَ مني أن أعمل في المكتب الإسلامي مع الأستاذ زهير شاويش، فعملت عنده مع الشيخ شعيب الأرناؤوط، عشر سنوات في المكتب الإسلامي، وكان في ذلك الوقت يعمل معه الشيخ ناصر الدين الألباني – رحمه الله –، فاشتركت معه بكتاب (مشكاة المصابيح) للتبريزي في ذلك الوقت. وعملت مع الشيخ شعيب الأرناؤوط في عدة كتب في الحديث، والفقه الشافعي، كروضة الطالبين للإمام النووي، وغيره، وكالكافي في الفقه الحنبلي لموفق الدين ابن قدامة المقدسي، وغيره، وقد عملتُ في

تحقيق كتاب (جامع الأصول) لابن الأثير الجزري، والآن أعيد تحقيقه مرة أخرى، وسيطبع في دمشق إن شاء الله، واخترتُ التحقيق على التأليف لأن التأليف عبارة عن جمع معلومات دون تمحيص ودون تحقيق، وأما التحقيق فإن طالب العلم يقف فيه في المسألة على صحتها وعدم صحتها؛ لأن المحقق عليه أن يبين الحديث، صحته وحسنه وضعفه أو وضعه، فيكون طالب العلم على بيِّنة من أمره، وأنا العبد الفقير إلى الله تعالى العلي القدير (عبدالقادر الأرناؤوط) لم أهتم بالإجازات من المشايخ؛ لأني أرى أن الإجازة الصحيحة هي: مجيز، ومجاز، ومجاز به، يعني أن يكون الشيخ المجيز، والطالب المجاز، والكتاب المجاز به، هذه هي الإجازة الصحيحة، وأن قوله: أجزت لك ولعقبك من بعدك، وللمسلمين جميعًا، فهذه إجازة مفتوحة لا يقبلها كثير من العلماء.

والإجازة، كالشهادة في زماننا، رجل درس في جامعة وتخرج منها ودرس الدراسات العليا وأخذ بها شهادة، هذه الشهادة المقبولة، وقد وصل الأمر في زماننا هذا أيضًا إلى شهادات كالإجازات المفتوحة، فإن طالب العلم يشتري شهادة بالمال، ويصبح مدرسًا بها، وهو ليس أهلاً لذلك، فمثل هذه الشهادة كالإجازة المفتوحة، لا يستطيع طالب أن ينفع بها.

هذا وقد بلغت الكتب التي حققتها في الحديث والفقه والأدب أكثر من خمسين كتابًا، وهناك كتب قدَّمتُ لها، وهي كثيرة أيضًا.

أما الحكم على الأحاديث صحةً وحسنًا وضعفًا، فهو مفتوح لطالب العلم في كل وقت إذا كان أهلاً لذلك، كما قال بذلك جمع من العلماء، وذلك يكون حسب القواعد المصطلح عليها عن علماء فن مصطلح الحديث، ولا بأس أن يستعين بأقوال العلماء المتقدِّمين، كالحافظ العراقي، والحافظ ابن حجر العسقلاني، والحافظ السخاوي، وغيرهم من العلماء والمحققين في هذا الفن، ومن المتوسطين الذين ليسوا من المتشددين ولا من المتساهلين. ثم إذا لم يجد للحديث أقوالاً للمتقدمين، عليه أن يصحح أو يحسن أو يضعف حسب قواعد مصطلح الحديث، فهي عمدة المتقدمين والمتأخرين.

وإني أوجِّه كلمة لطلاب العلم في هذا العصر، أن يدرسوا قواعد مصطلح الحديث المتفق عليها عند علماء هذا الفن، وأن يرجعوا إليها عند التحقيق، وأن لا يلعب الهوى في النفوس،

فنصحِّح الأحاديث التي تروق لنا، ونضعِّف الأحاديث التي لا تروق لنا، أو نريد أن نطعن ببعض الناس، فيأخذنا الهوى النفسي فنتلاعب في الألفاظ، والقواعد كما نريد، وإنما علينا أن نتقي الله تعالى في ذلك، ويكون قصدنا الوصول إلى الحق في كل مسألة، ورِضَى الله عز وجل فيها.

واقتصار بعض طلاب العلم على حفظ الصحيحين فقط، أو على حفظ السنن الأربعة فقط، فهذا لا يكفي المحدث، وربما شُغل البعض بحفظ الأسانيد، فهذا ضياع للوقت؛ لأن أسانيد الأحاديث موجودة في الكتب ولا حاجة إلى حفظها، وقد كان المتقدمون يحفظونها لأن الكتب لم تكن مطبوعة، فيحتاج إلى نقلها من مخطوطة ولا يوجد غيرها.

والآن أصبح التخريج على الكمبيوتر، فأقول: الكمبيوتر آلة تُسَهِّل مع الإنسان الرجوع إلى المصادر، ومعرفة وجود الحديث في الكتاب الفلاني، ولكن الكمبيوتر يرجع في الحديث إلى الألفاظ، فقد يكون الحديث الذي ورد في الكمبيوتر فيه لفظة من الحديث، ولكن الحديث ليس في هذا الموضوع؛ لذلك لابد من الرجوع إلى أهل هذا الفن في معرفة الحديث والحكم عليه، إلا إذا كان الحديث بلفظه ومعناه وقد حكم عليه بعض أهل الفن المعروفين في هذا العصر، فلا بأس بالأخذ به.

وأما المدة التي يحتاج إليها طالب العلم لكي يصبح محققًا فتختلف من شخص وآخر، فربما درس طالب علم في خمس سنين، ما لم يدرسه غيره في خمسين سنة.

هناك فرق بين المحدِّث والفقيه، فقد يكون طالب العلم محدِّثًا، ولا يكون فقيهًا، ليس معنى ذلك أنه لا يفهم في الفقه شيئًا، بل يفهم بعض الشيء، ولكنه لا يصلح أن يكون مرجعًا في الفقه.

فمثلاً: الشيخ موفق الدين ابن قدامة المقدسي – رحمه الله – صاحب كتاب (المغني) الذي قال فيه بعض العلماء: اقرأ المغني واستغن. وقال بعضهم فيه: (أُلين له الفقه كما أُلين لداود الحديد)، فهو مرجع في الفقه، ولكن ليس مرجعًا في الحديث.

وعلى طالب العلم أن يأخذ كل فن من أهله، يأخذ الحديث عن علماء الحديث، والفقه عن علماء الفقه، واللغة عن علماء اللغة، والذين جمعوا بين الفقه والحديث من العلماء قليلون.

عند ذلك يستفيد ويفيد، وليس لنا غنىً عن هؤلاء، وبارك الله فيهم جميعًا، فهم عمدة طالب العلم.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا العلم النافع، والعمل الصالح، وأن ينفعنا، وينفع بنا، وأن يجعلنا أداة خير للمجتمع الإسلامي، وأن يتولانا جميعًا بعنايته، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

روى الترمذي في جامعه عن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الكلمات لأصحابه: «**اللهم اقسمْ لنا من خشيتكَ ما تحولُ بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلِّغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهوِّن به علينا مصيبات الدنيا، ومتِّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقُوتنا ما أحييتنا، واجعلهُ الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعلْ مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همِّنا، ولا مبلغَ علمنا، ولا تسلِّط علينا من لا يرحمنا**». وهو حديث حسن.

كتبتُ هذه الكلمات على عجل لضيق الوقت، فالرجاء عدم المؤاخذة إذا قصرت في بعض الأمور المطلوبة مني، وجزاكم الله تعالى كل خير.

حسين مجيب المصري

(عميد الأدب الإسلامي المقارن)

الترجمة:

من القاهرة. حصل على الدكتوراه في الأدب التركي من جامعة القاهرة، وتعلَّم الإيطالية والألمانية والروسية، ودرَّس الآداب الفارسية والتركية في كلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر (٢٧) عامًا، وفي كليات أخرى، وكان عضوًا في مجمع اللغة العربية، وكتب في الكثير من الصحف والمجلات، وأحدث أثرًا في إيقاظ الوعي بوجود تراث إسلامي لم يألفه الناس، وكان أول من قارن بين الأدبين العربي والتركي. وعلى الرغم من إنتاجه الجيد والغزير الذي لم يسبقه إليه أحد، إلا أنه ظلَّ هناك صمت طويل وصل إلى ما يشبه التعتيم على إنتاجه، لعله في ظل ثقافة قومية وعنصرية عاشها الإعلام العربي. وكان يقول: «ما أدركني الندم على ما أبليت من شبيبتي وكهولتي وشيخوختي في دراستي للأدب الإسلامي المقارن وآداب وحضارات الشعوب الإسلامية...».

وكان يؤكد أن الحداثيين والعلمانيين لا همَّ لهم ولا دور إلا بثُّ الفرقة والاختلاف والفساد والأخلاق المنحرفة بين الشباب، مدَّعين أن نتاجهم هذا يمثِّل أدبًا، بينما هو غثاء كغثاء السيل.. وكلام فارغ، لا يحمل أية قيمة أو مضمون أدبي أو جمالي.

وقد بلغت مؤلفاته أكثر من (٨٠) مؤلفًا.

وتوفاه الله يوم الاثنين، الأول من شهر ذي القعدة عام ١٤٢٥هـ، ١٣ ديسمبر ٢٠٠٤م.

هذا اللقاء:

أجرى اللقاء معه في القاهرة صلاح حسن رشيد، ونشر في صحيفة (الحياة) العدد ١٥٢٥٥، بتاريخ ٢٤ ذي القعدة ١٤٢٥هـ، ٥ كانون الثاني (يناير)، وتوفي هو في الأول في ذي القعدة، وكُتب في أعلى الحوار بالجريدة: «حسين مجيب المصري قبيل رحيله: ثقافتنا ثغرٌ نستظلُّ به من الضربات ووقعها». والقول إنه آخر لقاء يكون ظنًا غالبًا.

قال محاوره:

رحل عن دنيانا إلى جوار ربه الكريم الدكتور حسين مجيب المصري (٨٨ عامًا)، عميد الأدب الإسلامي المقارن في الوطن العربي، وأستاذ الدراسات الشرقية بآداب عين شمس واللغات والترجمة بالأزهر، بعد حياة علمية وأكاديمية وأدبية منقطعة النظير. التقيناه وهو على فراش المرض، واستمعنا إلى آرائه في الأدب والفكر والثقافة. وسألناه:

نص الحوار (الأول)

خلال هذه الرحلة الطويلة في تراثنا الروحي والحضاري، لاسيما في آداب الشعوب والأمم الإسلامية غير الناطقة بالعربية، بماذا خرجتم؟ وما هي الفائدة التي تحصلت لديكم؟

* يخطئ من يظن أن تراثنا هو الموجود فقط في العربية، بل هو في العربية والفارسية والتركية والأردية والسواحلية وغيرها من لغات الشعوب الإسلامية التي استظلت براية الإسلام وحضارته. ومن المعروف أن الأدب الإسلامي بمثابة الشجرة التي لها فروع، هي آداب الشعوب الإسلامية سالفة الذكر، والتي تجمع بينها روابط روحية وثقافية وأدبية واجتماعية، لا

توجد في أية حضارة أخرى. ومن خلال التوغل والدراسة العميقة، واكتشاف أسرار ونفائس ودخائل[٧] هذه الآداب، تحصَّل لي أن الوحدة الثقافية المستمدة من ماضينا العريق، وريادتنا الأصيلة، هي التي يجب أن ندعمها اليوم، بالتواصل فيما بيننا فكريًا وأدبيًا، في ظل القطيعة السياسية فيما بيننا، وتطاول الامبريالية الغربية، والفاشية الأميركية والصهيونية على ديارنا في أفغانستان والعراق وفلسطين! فبماذا نحتمي بعد أن تكسرت عوامل القوة السياسية العربية الإسلامية؟ لا شك في أن الثقافة هي المعين الباقي، والثغر الذي نستظل بظله من وقع الضربات الأميركية والإسرائيلية. كما يخطئ من يهاجم مصطلح الأدب الإسلامي؛ لأنه موجود بوجودنا كحضارة ودين، ولأن هناك آدابًا اتسمت بالسمة الأيديولوجية والدينية، كالأدب الماركسي، والأدب اليهودي، والأدب المسيحي، فلماذا نصادر على الإسلام هذا الحق الموجود أصلاً؟

كيف استطعت أن تجيد أكثر من ثماني لغات، وتطلع على آداب شرقية وغربية؟

* قد عشت في قصر جدتي، وكانت لي مربية نمسوية تتقن الفرنسية والانكليزية والألمانية، فتعلمت هذه اللغات من طريقها صغيرًا، قبل أن ألتحق بالمدرسة. ولما كبرت أحسست بأنني أميل إلى تعلم اللغات وفهم أسرارها، والنهل من آدابها، وهكذا استطعت أن أقرأ لكبار الأدباء قديمًا وحديثًا، في العربية والإنكليزية والفرنسية والألمانية، ولما دخلت جامعة فؤاد الأول، في الثلاثينات من القرن العشرين، درست الإيطالية على مدرس خاص بي، علاوة على الروسية. لكنني تخصصت في اللغات الشرقية، وهي الفارسية والتركية والأردية، وأتقنتها.

ومن هنا صرت – وأنا معيد – أجيد ثماني لغات، وأترجم منها وإليها، وأكتب بها، بل إنني أكتب شعرًا عربيًا وفارسيًا وتركيًا وفرنسيًا. ولي دواوين ستة بالعربية، وديوان فارسي ترجمته إلى العربية، وآخر تركي ترجمته إلى الشعر العربي الموزون المقفى. ولي قصائد كثيرة بالفرنسية.

يصفنا الآخر بالأمة المتخلفة فكريًا وحضاريًا، وينعتنا بنعوت عنصرية من قبيل: الإرهاب والعنف. ترى كيف نرد على ذلك؟ ونصحح صورتنا، ونصل لقلب هذا الآخر وعقله وفكره؟

---

(٧) هكذا في الأصل، ولعلها (ذخائر)..

* لا شك في أن هذه معضلة شديدة الوطء، تحتاج إلى جهود كتيبة، بل كتائب مدارس وجامعات من العلماء والشعراء والأدباء والساسة والفنانين؛ لأن صورتنا أصبحت مهزوزة جدًا، بل غائمة. وأصابها – نتيجة تقاعسنا وخمولنا – الصدأ وعوامل التعرية. وفي يقيني أننا مطالبون اليوم أكثر مما مضى بإحياء أمجادنا الأدبية والعلمية والحضارية والروحية التي أشاد بها العالم قديمًا. لكننا انغمسنا، في أوحال التفرق والتشرذم، واكتفينا بالانطواء على الذات، والبكاء على الأطلال واللبن المسكوب، ولم نصنع شيئًا وكيف يقف العالم، بل الرأي العام العالمي إلى جوارنا، ونحن لا ننتج ما نأكل، ولا نصنع ما نلبس؟ وكيف يستمع إلى شكوانا هذا الآخر المتعالي، ونحن لا نملك لغة رصينة للحوار معه، ولا نمتلك أدوات فاعلة للتواصل مع هذه الشعوب المتعطشة للاستماع إلينا؟ ولكن أين المنهج: الرؤية والتصور؟ وما هي أدواتنا الصحيحة لغزو قلوب الآخر؟ وبأية لغة نتفاعل معه؟ فنحن اليوم ندعي الحوار الحضاري مع الآخر، في حين أننا نخاطب أنفسنا فقط.

يقال إن لكم تلاميذ في أكثر من خمس وعشرين جامعة في العالم، فكيف ذاع صيتكم في الخارج، بينما كان التجاهل والنسيان والصمت المطبق هو مصيركم في الداخل؟

* إنني مؤمن بأن على المرء أن يعمل وينجز، وليس الاستجداء من هذا وذاك. ولهذا أخلصت وثابرت، وفتحت بيتي للباحثين من أقصى صعيد مصر إلى الإسكندرية، ومن العواصم العربية كلها، لكي يفيدوا من مكتبتي وكتبي النادرة غير الموجودة في أي مكتبة أخرى، علاوة على توجيهاتي وإرشاداتي ونصائحي المخلصة لهم، ومساعدتي الدائمة في رسائلهم للماجستير والدكتوراه؛ لأنني لا أبخل على أحد بمعلومة.

ومن هنا صار لي مريدون وتلاميذ في جامعات مصر والأردن والكويت والسعودية والعراق والجزائر والمغرب والمجر وإنكلترا وأيرلندا والبرازيل والولايات المتحدة وإسبانيا وغيرها من دول العالم. أما حكاية عدم تقديري في وطني، فأنا لا أنتظر ثناء ولا مديحًا، ولا أكتب انتظارًا لجائزة من هنا أو هناك. لكنني أوقن أنه سيأتي يوم، ويتم الحفاوة بي في مصر ودراسة مؤلفاتي، ولكن بعد رحيلي.

ومن هو مثلك الأعلى الذي قادك؟[٨]

* في صغري كنت متعلقًا وما زلت برمزين كبيرين، كانا القدوة لي، هما: أمير الشعراء أحمد شوقي بك، و«الدكاترة» زكي مبارك، فكلاهما في ميدانه كان الأول، وفارس الرهان، والحائز على قصب السبق، وهذا هو السبب في عصاميتي، واعتمادي على تثقيفي الذاتي، بعيدًا عن المدرسة والجامعة؛ لأن الأديب الحق والمثقف الأصيل هو (دودة كتب) كما قال العقاد رحمه الله. وأقول بكل فخر نعم أنا دودة كتب وقراءة.

هل أنت حزين لعدم صدور أي كتاب لكم عن جهة حكومية، في الوقت الذي تطبع فيه الدولة أعمال من هم أقل شأنًا؟

* هذا قد يسبب لي بعض الغصة، لكنني أعتقد بأن كتبي متوافرة، وبأن من يريد أن يقرأني فسيهتدي إلي. أما حكاية النشر الحكومي فهي تخضع لمعايير أخرى أربأ بنفسي أن أتحدث عنها.

نص الحوار (الثاني)

وهذا لقاء آخر معه أورده للفائدة، أجراه معه المحاور السابق (صلاح رشيد)، ونشر في مجلة (المجتمع) العدد ١٤٧٣ (١٣٢٢/٨/٤هـ) الموافق ٢٠٠١/١٠/٢٠ ص (ص٥٢- ٥٣).

قال محاوره:

التقينا في حوار شائق عن رحلته العلمية، والتكريمات التي حظي بها خارج مصر، وعن العديد من القضايا الفكرية المهمة.

*** بداية نعرف أنك مهموم بالشأن الإسلامي وخدمة قضايا الشعوب الإسلامية بحكم ريادتك لحقل الأدب الإسلامي المقارن.. فكيف ترى صورة العالم الإسلامي اليوم؟! وهل أنت راضٍ عنها؟!**

- مما لا شك فيه أن العالم الإسلامي حاليًا يمور، بل يغلي من داخله، بسبب التخلف والبعد

(٨) لله المثل الأعلى وحده.

عن صحيح الدين، وعدم نشر الإسلام في ربوع العالم، وترك فريضة الجهاد التي أمرنا الله بأدائها، والنتيجة هي ما نراه صباح مساء في التلفازات في فلسطين المحتلة، وضياع القدس الشريف التي سقطت على يد أحقر وأذل شعوب الأرض، وهم اليهود قتلة الأنبياء والرسل.

ومن هنا.. فإن المسلمين اليوم يعانون من الفرقة والتشرذم والتخلف والقطيعة مع العلم، والانهماك في التقليد والتبعية للغرب، لدرجة أننا نُقلِّدهم في العادات السيئة كالغناء والملابس الفاضحة، وقصَّات الشعر والماكياج، ولا نتبعهم في الأمور التي نبغوا فيها، سواء في العلم أو التمدن أو الابتكارات والاكتشافات المذهلة في حقل التكنولوجيا، ولهذا فلن تقوم لنا قائمة، ولن نتقدم يومًا ما إلا إذا تمسكنا بصحيح ديننا الحنيف، وجاهدنا أعداءنا في فلسطين، وحرَّرنا القدس الأسير، وتعاونَّا فيما بيننا، وعملنا على نشر الإسلام السمح بين الناس، وبالتالي فصورة المسلمين سيئة، وتصيب المرء بالكآبة والحزن لما آل إليه حالنا اليوم.

*** وما رأيك في الصحوة الإسلامية الموجودة حاليًا في شتى بلاد العالم العربي والإسلامي.. وهل من مؤاخذات عليها؟!**

- إننا نشهد اليوم صحوة راشدة، تعتمد على كتاب الله الحكيم، وعلى سنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى إحياء كتب السلف الصالح، مع الاجتهاد - ما أمكن ذلك - لمواجهة ما يُستجد من أمور عصرية لم تكن موجودة من قبل. إن صحوة اليوم تريد أن توقظ الغافلين عن دعوة الله، لكي يهبوا من أجل تبليغ الدعوة ونشرها صحيحة كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم، بلا تقصير أو مبالغة أو حتى مجاوزة للحد، إلا أنني آخذ على هذه الصحوة بعض الأمور التي ما كان ينبغي أن تستشري فيها، مثل الفرقة بين التيارات والجماعات الإسلامية مثلما نشاهد ونرى في حياتنا، علاوة على الغلو الشديد في الفتيا، والميل إلى ترهيب الناس وعدم ترغيبهم فيما عند الله من جنات ورحمات، علاوة على اهتمام بعض الشباب بالقشور والأمور الظاهرية على الجوهر، كقضية اللحية والجلباب وتقصير الثوب... إلخ، فبدلاً من البحث عن أفضل السبل لنشر الإسلام في الدول الغربية، نجد شبابنا يناقش أمورًا قديمة لا تتناسب حاليًا مع طبيعة عصرنا، ولا مع القضايا الحساسة التي يجب الالتفات إليها والإلحاح على مناقشتها.

*** وما مفهومك إذن للأدب الإسلامي؟! وما الفوائد المستفادة منه؟! وهل في كتابات أبناء الشعوب الأخرى غير العربية ما يمكن أن يفيد الأدب العربي؟!**

- الأدب الإسلامي هو كل الكتابات المتأثرة بالإسلام، التي كتبها أبناء الشعوب الإسلامية، سواء العربية أو التركية أو الفارسية، أو من يتكلم بلغات أخرى، ومن هنا عكفت على جمع هذه الآداب لدراستها دراسة مقارنة، للخروج بنظريات جديدة عن سمات هذه الشعوب، وكيفية تفكيرها، وما الروابط الحميمة بينها، وذلك لتحقيق الوحدة العضوية بين المسلمين، عن طريق التراث الإسلامي العامر، الذي جمع بين أبنائه على قلب رجل واحد في كافة العصور السابقة. وأحب أن أنبّه كثيرًا، بل وأصحح اعتقاد البعض أن تراثنا هو الموجود في العربية فقط، لأثبت لهم أن التراث يشمل كل ما صدر عن المسلمين، سواءً كانوا عربًا أم غير ذلك.

وحاليًا.. يستفيد الأدب العربي كثيرًا من كتابات أبناء الشعوب الإسلامية غير الناطقة بالعربية من خلال المضامين والأفكار التي تحملها كتاباتهم، وما يتوصلون إليه من نتائج ودراسات وابتكارات في حقول العلم المختلفة، فضلاً عن تعرُّف العرب لبيئات أخرى جديدة عليهم، يرون من خلالها مظاهر حضارية لهذه الدول، ولسمات اجتماعية ونفسية وتربوية واقتصادية لم يألفوها من قبل.

*** حدثنا عن أبرز الجوائز والتكريمات التي حصلت عليها في حياتك العلمية المديدة التي جاوزت الستين عامًا؟!**

- في عام ١٩٨٠م منحني الرئيس الباكستاني الأسبق ضياء الحق وسام باكستان الرفيع لجهودي المتميزة في الكتابة عن أدب وفكر شاعر وفيلسوف باكستان الكبير محمد إقبال، كما منحتني جامعة مرمرة بتركيا الدكتوراه الفخرية لبحوثي الكثيرة عن آدابهم، وقامت طهران بمنحي أعلى وسام علمي، وأعطتني أوزبكستان درجة الدكتوراه الفخرية أيضًا، أما فرنسا فأعطتني وسام «فارس» الذي تمنحه للعظماء، وهو مخصص للعباقرة في العالم، كما تشترط اللجنة المانحة ذلك، ومنذ سنتين قامت القناة الثانية الإسبانية بعمل فيلم تسجيلي عن حياتي ومشواري العلمي والأكاديمي.

*** وماذا عن الجوائز والتكريمات العربية؟!**

- .. أنا باحث وعالم ولست من هواة الشهرة والجوائز؛ لأنني لا أبحث عن مجد زائل، وإذا كان العرب جميعًا قد أوصدوا في وجهي أبوابهم، ولم يهتموا بي أو بإنتاجي مثلما فعل الآخرون في الخارج، فحسبي أن كتبي ومؤلفاتي الضخمة يدرسها الباحثون والعلماء وينهلون من معينها، ويعرفون قيمة عطائي الأدبي والفكري، كما أنني لا أستجدي أحدًا، فالتاريخ الحق يومًا سينصف المظلومين في كل مكان.

*** وما أبرز مؤلفاتك العلمية؟!**

- لي كتاب عن «صلات بين العرب والفرس والترك» وهو دراسة نفسية وعلمية للروابط القوية بين هذه الشعوب الإسلامية، وكتاب «غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم في الآداب العربية والفارسية والتركية والأردية»، وكتب عن «سلمان الفارسي»، «أبو أيوب الأنصاري»، «المسجد في العربية والفارسية والتركية»، وموسوعة «القاموس العربي والتركي والفارسي»، كما قمت بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الروسية والفارسية والتركية والإسبانية والإيطالية، فضلاً عن كتب «تراثنا الإسلامي ونهضة المسلمين»، «إقبال والمصلحون الإسلاميون»، و«القدس الشريف في العربية والفارسية والتركية والأردية قديمًا وحديثًا»، علاوة على دواويني الشعرية الستة التي تتحدث عن الإسلام وقضاياه، وإسهامات أبنائه، وعن قضايا أدبية مختلفة، فهناك ديوان «موجة وصخر»، «همسة ونسمة»، و«وردة وبلبل»، كما كتبت شعرًا باللغات الشرقية وبالفرنسية أيضًا، ولا تنس كتبي الأكاديمية المتخصصة في الآداب الشرقية التي أبحث من خلالها عن الوحدة الإسلامية المفقودة اليوم.

*** وهل تأثر إنتاجك العلمي بعد فقدانك حاسة البصر منذ عشرين عامًا؟ ولماذا لم تعالج حتى الآن؟!**

- للأسف .. تأثر بعض الشيء، لكنني - والحمد لله - ما زلت أؤلف وأكتب بمساعدة تلاميذي الذين يكتبون عني ما أمليه عليهم من كتب وبحوث ودراسات، وهكذا تسير حياتي اليومية: دروس في الصباح لطلبة الماجستير والدكتوراه الذين يفدون لزيارتي في البيت، وإملاء لبعضهم، وقراءة من أجل التأليف العلمي، أما موضوع علاجي، فإنني أفضل عدم الخوض

فيه، بسبب التجاهل العام لي من قبل جامعة عين شمس التي أدَرِّس فيها، ولك أن تعرف أنهم رفضوا علاجي على نفقة الدولة، ولا أدري سبب ذلك، برغم أنني أفنيت عمري في كلية الآداب بجامعة عين شمس تدريسًا وبحثًا وتأليفًا، والنتيجة كانت إهمالاً تامًا وتجاهلاً دائمًا.. إلى أن تفاقمت حالتي وأصبحت لا أرى مطلقًا.. ولك أن تعلم أن راتبي الذي أتقاضاه اليوم من الجامعة هو (١٣٨) جنيهًا فقط لا غير (٣٣ دولارًا أمريكيًا)! بعد خدمة ستين عامًا في الجامعة!.

*** وما شعورك بعد استبعادك من الفوز بجائزة الدولة التقديرية في الآداب لهذا العام، وذهاب الجائزة لشاعر العامية عبدالرحمن الأبنودي؟!**

– انتابني شعور بالضيق والأسى، لعدم فوزي بها لثاني مرة على التوالي، ثم بسبب ذهاب الجائزة لمن لا يستحقها، وهو شاعر يكتب العامية والزجل، وهل يعقل أن تذهب أكبر جائزة أدبية في مصر إلى من يعادي العربية ويتنكر لها، في مقابل علماء أفاضل تم استبعادهم لسبب ما، على رأسهم الدكتورة نعمات أحمد فؤاد، والدكتور عبدالعزيز حمودة – الناقد الأدبي المعروف – وشخصي الضعيف!!

ثم إن الطامة الكبرى كذلك كانت في عدم فوز العالم الكبير والناقد البارع الدكتور شوقي ضيف – رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة – بجائزة مبارك للآداب لثاني مرة على التوالي، وذهابها إلى الصحفي أنيس منصور – صاحب الكتابات الضعيفة التي تتحدث عن الأشباح والأرواح، والتي لا تمت للأدب بأية صلة!

*** وماذا عن كتابك الجديد عن القدس الأسير؟!**

– كتابي عن القدس وثيقة تاريخية تدافع عن القدس وتثبت عروبتها وإسلامها، بعيدًا عن زيف الإسرائيليين والصهاينة، كما يثبت دفاع الشعوب الإسلامية جمعاء عنها، والنفور من أجلها، بدءًا من العصور الصليبية وحتى الآن.

نص الحوار (الثالث)

وهذا حوار ثالث أجري معه قبل وفاته بنحو عام، وفيه حديث عن أحوال المسلمين وأدب الإسلام، أورده للفائدة أيضًا، وقد أجرته معه مجلة (التقوى) الطرابلسية، ونشر في عددها الـ (١٣٣) في شهر ذي الحجة ١٤٢٤هـ، شباط ٢٠٠٤م، ص٢٤- ٢٥:

يخطئ من يظن أن تراثنا هو الموجود فقط من العربية؛ فمن المعروف أن الإسلام انتشر في ربوع العالم، وآمن به أهل فارس والترك والهنود وغيرهم من البلدان، وهؤلاء وأولئك تركوا إنتاجًا ضخمًا ورصينًا من الإبداع والأدب والفكر؛ ولذلك فإن تراثنا الإسلامي هو المكتوب بالعربية والفارسية والتركية والأوردية، وبغير ذلك من لغات الشعوب الإسلامية في الشرق والغرب. ونخطئ كثيرًا عندما نهمل هذا الإبداع الخصب، وتلك الكتابات المشرقة، بفعل الجهل والعنصرية العرقية واللغوية، أو أية عوامل أخرى نتيجة معرفتنا بتراث هذه الشعوب المسلمة.

بهذه المقدمة الضافية.. يؤكد الدكتور العلامة حسين مجيب المصري عميد الأدب الإسلامي المقارن في مصر والوطن العربي وأستاذ اللغات الشرقية وآدابها بجامعة عين شمس المصرية "٨٨ عامًا" أن إحياءنا لتراثنا الإسلامي العريق، بلغاته المختلفة.. يحقق الوحدة الثقافية المنشودة، التي تقوم على الدين واللغة والتاريخ والعادات والتقاليد، وذلك بعد أن فشلنا في تحقيق الوحدة على الأصعدة السياسية والاقتصادية، مشيرًا إلى رفضه الحاد لقصيدة النثر والشعر التفعيلة، معترفًا بحيوية وجمالية القصيدة العربية العمودية، التي تأسر الأسماع، وتجذب القلوب، وتدافع عن قضايا الأمة المصيرية، مثلما فعل شوقي والبارودي وحافظ ومحرم، أو الرافعي والشابي والجارم والعقاد، وليس كما فعل شعراؤنا التفعيليون اليوم!!. وإلى تفاصيل حوارنا المتشعب معه في كافة قضايانا السياسية والفكرية والثقافية، والتعريف بالأدب الإسلامي بمفهومه العام.

العولمة .. شعوذة باسم التقدم!!

التقوى: بحكم مؤلفاتكم الغزيرة المتعلقة بالتأصيل للأدب الإسلامي المقارن، ورسم خريطة له ولمبدعيه.. كيف ترى صورة وواقع هذا الأدب؟! وما جدواه اليوم؟! وهل

تستطيع العولمة كشبح مخيف أن تزيح الأصالة وقيم الحق والخير من هذا العالم كما تريد؟!!

د. المصري: يا سيدي، الأدب الإسلامي موجود منذ ظهر الإسلام حتى اليوم، وفي كل العصور والبيئات، وهو صورة صادقة وصالحة للوحدة الفكرية والثقافية القائمة على التراث الإسلامي الجامع لشعوب العالم الإسلامي على قلب واحد، والذي يجمعهم في لغة واحدة، هي لغة القرآن الكريم، ووحدة التاريخ والمشاعر والعادات والتقاليد.

وأستطيع أن أقول: إن أمة الإسلام في شتى اللغات تحتوي على أساطير الأدب والفكر والثقافة الذين يفوقون بإبداعهم الملتزم.. شكسبير وجوته وإليوت وهيمنجواي وبرنارد شو وديكنز، ومن هؤلاء الأدباء الإسلاميين الكبار: شاعر الإسلام وفيلسوفه محمد إقبال، والشاعر التركي محمد عاكف، وشاعر قازاخستان آباي، وألطاف حالي، وسعدي الشيرازي، وجلال الدين الرومي، إلى جانب أدباء العربية الكبار وشعرائها، من أمثال: أمير الشعراء أحمد شوقي ومطران البارودي وحافظ إبراهيم والرافعي والعقاد وسيد قطب ومحمود شاكر وعلي الطنطاوي وحمد الجاسر وشوقي ضيف وأنور الجندي. وأستطيع أن أؤكد أن إيماننا بتراثنا الإسلامي كرافد حضاري لازم ولازب، وهو الذي يقينا من أشباح وأوهام العولمة، ويقضي عليها بالضربة القاضية. أما إذا أدرنا ظهرنا وثقافتنا لهذا التراث.. فإننا سنقع أسرى العولمة والغطرسة، وهو ما لا نريده ولا نتمناه، لأن العولمة بلا قيمة ولا روح ولا ثقافة ولا فكر، فهي استحواذ وسيطرة وشعوذه باسم التقدم والمدنية، وسرقة لأقوات الشعوب وثرواتها!!.

هناك أدب ماركسي وصهيوني!!

التقوى: لكن البعض يتهم من ينادي بالأدب الإسلامي، بالعنصرية والانحياز الأيديولوجي وغير ذلك من الأباطيل.. فكيف تردون على هذه الافتراءات؟!!

د. المصري: يخطئ من يظن أن تراثنا هو الموجود – فقط – في العربية؛ فمن المعروف أن الفتوحات الإسلامية اجتازت الشرق والغرب، وفتحت دول العالم لسماحتها، وآمن بالإسلام ورسالته أهلُ فارس والهند والأتراك، والشعوب الأخرى. وهؤلاء وأولئك تركوا تراثًا ضخمًا ورصينًا من الإبداع والفكر، والذي لا نعرف عنه شيئًا؛ ولذلك نخطئ أيضًا عندما نهمل

دراسة وكشف هذا التراث العميق الروحي للمسلمين في شتى دول العالم، وبلغات غير العربية، ففي هذه الوحدة المأمولة، والتعاون المثمر، والأمل المرتقب لغد أفضل.

أما عن الاتهامات التي تطال الأدب الإسلامي من قبل العلمانيين والحداثيين تحت زعم الأيديولوجيا والدين، فهذا زعم أعوج منحرف؛ لأن هناك أدبًا صهيونيًا مقروءًا، وماركسيًا معروفًا، يعترف به الأدباء هنا وهناك، فلماذا المصادرة علينا وعلى الأدب الإسلامي، الذي هو أدب الروح والحق والالتزام والأصالة، بعيدًا عن السطحية والركاكة والغموض، الذي ينتاب أدب المواخير والحداثة؟!!.

وإن إحياءنا لهذا الأدب لهو الدليل الأكيد على قدرتنا على المواجهة والحياة اليوم؛ لأن الأدب الإسلامي هو الذي ينتظم الشعوب الإسلامية في وحدة ثقافية متينة قوية، لا تزعزعها الحوادث والعوائق!!.

رائد الأدب الإسلامي

التقوى: وماذا عن جهودكم المشكورة المعروفة في بناء صرح الأدب الإسلامي المقارن تأليفًا وترجمة وشرحًا وتعليقًا؟!.

د. المصري: مشواري مع الأدب بدأ عام ١٩٤٨م، عندما أصدرت أول كتاب لي بعنوان "فارسيات وتركيات"، ثم توالت المؤلفات البانية لصرح الأدب الإسلامي، والتعريف بقضاياه. وركائزه وشخصياته، مثل "صلات بين العرب والفرس والترك" و"تاريخ الأدب التركي" و"أبو أيوب الأنصاري بين الشعراء العرب والأتراك" و"سلمان الفارسي في العربية والفارسية والتركية" و"المسجد في العربية والفارسية والتركية والأوردية" و"فضولي البغدادي أمير الشعر التركي القديم: دراسة في الأدب الإسلامي المقارن". إلى جانب مراجعتي لترجمات معاني القرآن الكريم عن الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والروسية، فأنا أجيد الحديث بعشر لغات. إلى جانب ترجماتي لأشعار محمد إقبال عن الفارسية والأوردية، وترجمتي لديوان "الإسلام بين مد وجزر" لشاعر باكستان ألطاف حالي، و"المولد الشريف" لسليمان شلبي التركي، و"القدس الشريف بين شعراء الشعوب الإسلامية". وهناك ستة دواوين شعر لي بالعربية، وديوانان بالفارسية والتركية، مع ترجمتها إلى شعر عربي موزون مقفى. وقريبًا سيصدر – إن

شاء الله – لي كتاب "بين والدٍ وولده في العربية والفارسية والتركية والأوردية" وكتاب "بدائع إقبال في شعره الأوردي" وهو ترجمة غير مسبوقة في العربية. وكتاب "غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم بين شعراء الشعوب الإسلامية".

التقوى: وما هي الدروس المستفادة – مثلاً – التي خرجتم عند دراستكم وترجمتكم لأدب وفلسفة وفكر محمد إقبال، خاصة في ظل المادية التي تسيطر على عالمنا الراهن؟!!

د. المصري: محمد إقبال من مصلحي الإسلام الكبار في القرن العشرين، الذي درس الثقافة الإسلامية بعمومها، واطلع على الثقافة الغربية، فأخذ منها ما يتوافق مع الشريعة الدينية، وتخلى عن كل ما هو بعيد عن أصالتنا. وتقوم فلسفته الرائعة على عدة أشياء، منها: الوحدة الإسلامية التي آمن بها، وصدح من كل مكان يرددها، داعيًا إلى أن يكون المسلمون نسيجًا واحدًا، وكيانًا متلاحمًا.. ثقافيًا وحضاريًا وعسكريًا واقتصاديًا، ففيها.. صلاح المرء، وصلاح مسيرته، وابتعاده عن أعلاق الأرض وأوشابها. أما أشعاره.. فهي آية من الشعر الحق والمدافع عن الإسلام، والداعي إلى الفضيلة، والتعاون والأخلاق والقومية، وهو نموذج رفيع نقدمه للأدب الإسلامي. وياليت بيننا الآن شعراء مثل إقبال، يتخذون الشعر تعبيرًا لقضايا أمتهم المهمومين بحلها وعلاجها، بدلاً من هذا الزخم الموبوء، الذي نطالعه كل يوم، وهو بعيد عن حظيرة الأدب والإسلام.. وعالم البلاغة والبلغاء!!.

كما أن إقبالاً جاس الأرض، وطوف بها خطيبًا وداعية للإسلام كحضارة ومدنية، لا غنى عنها للغرب، كما خطب في جامعات الغرب مبشرًا هناك بالإسلام، وهو ما جعل الغربيين يقتنعون بأن الإسلام دين الفطرة والعلم والمدنية والروح والعمل الخلاق.

أحداث الأمة الكبرى .. ولا شاعر لها!!

التقوى: وصفكم شاعرًا كبيرًا.. ولديكم أشعار بالعربية والفارسية والتركية والفرنسية.. كيف ترون المشهد الشعري عربيًا اليوم؟!!

د. المصري: للأسف الشديد.. فلا يوجد اليوم شاعر الأمة الذي تلهب قصائده النارية حماسة الأمة، وتوقظ شعلتها ضد الأخطار والمخاطر والتداعيات الرهيبة، التي نمر بها اليوم،

لاسيما في فلسطين السليبة، والعراق المحتل المهان، وأفغانستان المغتصبة!!. فأين القصائد التي تدافع باقتدار عن محنة المسجد الأقصى الأسير وانتهاك حرمته، وعن احتلال بغداد، والتنكيل بكل ما هو عربي إسلامي تحت مسمى الإرهاب!!. وأما ما نقرؤه اليوم فهو قصيدة نثر ركيكة، لا تأسر الأسماع، ولا تشتمل على البلاغة الآسرة مثل الشعر الخليجي الملتزم!!. إن شعراءنا غرقوا في الحداثة الفجة فمات شعرهم، وأصبح كلامهم هراءً، كأدونيس ومحمود درويش ونازك الملائكة وسعدي يوسف وأحمد عبدالمعطي حجازي وغيرهم!!.

أحمد ديدات

(مناظر العصر)

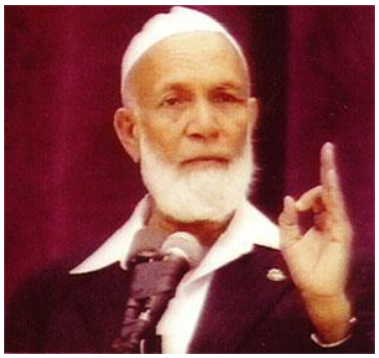

الترجمة:

ولادته في مدينة سيرات بالهند، ونشأ في دولة جنوب افريقيا، وتخصَّص في الهندسة والرياضيات في برامج وتدريبات. تولدت لديه معاني التحدي والإصرار على التبحر في دين الإسلام ودين النصرانية، لكثرة ما كان يستهزئ به أنصار الكنيسة وطلبة الجامعة منهم، لاعتناقه الإسلام، فدرس وتعلَّم، وواصل الليل بالنهار، وصار نابغة في الجدل والمناظرة، وخدم الدعوة الإسلامية نحو (٤٠) عامًا، واشترك في مؤتمرات إقليمية ودولية، وألقى محاضرات في أنحاء العالم، وعقد مناظرات كثيرة مع خصوم الإسلام والمناوئين له، وخاصة القساوسة وأباطرة النصارى، وطلب مناظرة (البابا) فلم يستجب. وكان يحفظ التوراة والإنجيل غيبًا. أنشأ مسجدًا ومركزًا عالميًا للدعوة الإسلامية بمدينة ديربان في جنوب إفريقيا، ووزع مؤلفاته القيمة بالملايين. وسقط فريسة لمرض الشلل منذ سنة ١٤١٦هـ. وتوفاه الله تعالى يوم الاثنين ٣ رجب ١٤٢٦هـ، ٨ آب (أغسطس) ٢٠٠٥م.

هذا اللقاء:

أجرى هذا اللقاء (يحيى غانم) في ديربان بجنوب إفريقيا، ونشر بعد وفاته بشهرين، في صحيفة

الأهرام القاهرية، العدد (٤٣٤٠٦) وتاريخ ٦ رمضان ١٤٢٦هـ، وكتب أعلاه: أحمد ديدات في آخر حوار قبل رحيله، وقال محاوره:

اشتهر الداعية الإسلامي أحمد ديدات بمناظراته التي تحدى فيها العديد من المستشرقين والمشككين في الإسلام ونبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكانت آخر مناظرة له مع ثلاثة من هؤلاء المشككين، مع أنه كان قد أصيب بالشلل الرباعي، وفقد القدرة على الحركة والكلام بعد المرض الذي أصابه منذ ١٠ سنوات (من وفاته).

وكان أغرب حوار خلال سنوات عملي الصحفي حتى الآن، فقد كنت ألقي بالأسئلة باللغة الإنجليزية، حيث إن الشيخ لم يفقد حاسة السمع، وذلك قبل أن يبدأ هو الإجابة عليها بحركات عينيه وجفونه، لكي يترجمها ولده إلى جمل وإجابات مفيدة.

نص الحوار

*** شيخنا الجليل، هل لك أن توضح لنا كيف بدأتم طريق الدعوة، ومقارعة كبار المشككين في الإسلام من جميع دول العالم في مناظراتك الشهيرة؟**

– ولدت في سيرات بالهند في عام ١٩١٨، وذلك قبل أن تهاجر عائلتي إلى جنوب أفريقيا أثناء خضوع البلدين للاحتلال البريطاني، وكنت في ذلك الوقت لم أتجاوز الـ ١٠ من العمر. ونتيجة لظروف جنوب أفريقيا في ذلك الوقت، وانعكاس الأوضاع العامة على ظروف عائلتي، فإنه لم تتح لي فرصة للحصول على نصيب من التعليم سوى محو الأمية الأبجدية، وذلك قبل أن أمتهن أعمالاً يدوية بسيطة لإعالة نفسي وعائلتي. إلا أنني كنت دائمًا استشعر رغبة ملحة في أن أعرف وأن أتعلم، ومن هنا كانت البداية في وضع نظام ذاتي صارم لتحصيل العلم والمعرفة في شتى مناحي الحياة.

*** هناك العديد من المناظرات التليفزيونية التي أجريتها مع العديد من المستشرقين ورجال الدين المسيحي ممن يشككون في الإسلام ونبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ومن بين أشهر هذه المناظرات تلك التي أجريتها مع القس الشهير جيمي سواجرت، وغيره. كيف كنت تستعد لهذه المناظرات، خاصة أنك كنت تبدو طلقًا بشكل مذهل، وملمًا**

بكافة تفاصيل القضايا المثارة، بل وبدا الأمر في بعض اللحظات أنك تقرأ ما يدور في عقل مناظرك قبل أن ينطق به، فتكون مستعدًا بالرد المفحم والقاطع لكل قول؟

– مناظرة القس سواجرت لم تكن أفضل مناظراتي، وإن كانت من أشهرها. وبالنسبة للاستعداد للمناظرات، فقد كانت من خلال الاعتكاف مدة شهر قبل المناظرة، أقوم خلاله بالبحث والتدقيق في كافة القضايا التي ستطرح، وذلك في الوقت ذاته الذي أتبادل مع نفسي الأدوار. فمرة أقوم بتقمص شخصي، ومرة أخرى أقوم بتقمص الشخص الذي سيناظرني، محاولاً أن أفكر بنفس منطقه، ومتخيلاً ومتوقعًا الحجج والبراهين التي سيلجأ لها، ناهيك عن محاولة توقع مواضع هجومه، وذلك قبل أن أعود لتقمص ذاتي للرد عليه، وهكذا لم تكن المهمة سهلة على الإطلاق، ولكن إحساسي بأنني يمكن أن أخدم الإسلام، ولو بسهم بسيط، كان يمنحني الدأب والقوة والجلد، سواء في مرحلة التحضير أو أثناء المناظرة.

*** هذا النجاح الكبير في أداء تلك المهمة العظيمة، وهذه الشهرة وذياع الصيت، ألم يشعرك في أي وقت من الأوقات بالزهو والفخار؟**

– إذا كنت تقصد الفخار والزهو بديني، فبالطبع، أنا كنت ومازلت أشعر بهما حتى من قبل أن أبدأ طريق الدعوة. أما إذا كنت تقصد بهما الغرور، فإنه لم يصبني في أي وقت والحمد لله.

– هذا الطود الشامخ الذي يحمل اسم أحمد ديدات الذي منحه الله تعالى ملكات متفردة من العلم، واللسان الطلق بشكل مذهل، والقدرة على مقارعة الحجة، والتواصل مع الجمهور، ملكات كلها عقلية وذهنية وكلامية، كيف يشعر الشيخ ديدات بعد أن قدر الله تعالى أن يذهب بقدرته حتى على مجرد النطق؟

– قبل أي شيء، وبعد كل شيء، فإنها إرادة الله سبحانه وتعالى، التي توجب ليس فقط الطاعة، وإنما الرضا والسعادة. أيضًا وحيث إن لكل فعل رباني حكمة، فإنه قد تكون الحكمة من وراء ذلك أن الله تعالى أراد ألا أفتتن بقدرات وهبها لي عز وجل. أيضًا، فإنه سبحانه وتعالى أخبرنا في كتابه العزيز بأنه بمعجزة إنطاقه أعضاء جسدنا يوم القيامة، ويمكنك أن تقول إن الله تعالى أراد أن يُري البعض جانبًا صغيرًا من تلك المعجزة في الدنيا، حيث إن عينيي وجفوني هي التي تنطق عني. وفي كل الأحوال، فإنني راض، وأشكر الله تعالى على كل

ما أنعم عليَّ به، وأول نعمة المرض.

*** لقد استثمرت الأموال الطائلة التي جنيتها من خلال مناظراتك الشهيرة في تأسيس المركز الدولي للدعوة في مدينة ديربان، ومعهد السلام لتخريج الدعاة، ولكن ألا تشعرون بالتقصير في أنكم لم تقوموا بتبني عدد من الموهوبين لكي يحملوا عنكم رسالة علم الأديان المقارن والذود عن الإسلام؟**

– قد يوجد بعض الصحة فيما تقول، ولكن دعني أؤكد لك أن الله تعالى كفيل بهذا الأمر، فهناك العديد من المواهب الشابة التي هي أفضل من أحمد ديدات مئات المرات. وكنت أتمنى أن تزوربي منذ شهرين، حيث كان في زيارتي أحد هؤلاء العباقرة، وهو ذاكر عبدالكريم، وهو مسلم هندي في الثلاثينيات من عمره، ويرأس مؤسسة البحث الإسلامي في مدينة مومباي بالهند. هذا الشاب يفوق أحمد ديدات في قدراته وعلمه، وقد أفاض الله تعالى عليه من علمه، وطلاقة لسانه، ولغته البديعة، وقدراته على مقارعة المشككين في الإسلام من المستشرقين. تأكد يابني، أن الله هو الذي يعدُّ هذه النوعية من البشر، ويلهمهم تحصيل العلم.

*** متى كانت آخر مناظراتك مع المشككين في الإسلام؟**

– منذ ما يقرب من ثلاثة شهور!!

*** كيف... ؟!**

– (بدت نظرة سعيدة في عينيه، وذلك قبل أن يطلب من الحضور، وكانوا ثلاثة من الجنوب أفارقة، وقد شهدوا المناظرة الأخيرة أن يرووا لي ما حدث..).

انبرى أحدهم يقول: إنه منذ ثلاثة شهور قام ثلاثة قساوسة من الكنيسة الكاثوليكية بالاتصال للقائي، وقد أفصحوا عن مهمتهم عقب استقبال الشيخ لهم وهو طريح الفراش، فقد قالوا: إن الشلل الذي أصاب الشيخ ليس سوى عقاب إلهي على ما وصفوه بتعديات الشيخ على الكتاب المقدس. وأعرب الثلاثة عن استعدادهم لعلاج الشيخ عن طريق استتابته وانضوائه تحت لواء الكنيسة الكاثوليكية. وقد قبل الشيخ تلك الدعوة على أن يقوموا بمناظرته لإقناعه. ودارت أغرب مناظرة بين ثلاثة من رجال الدين المتمكنين من علمهم، وبين رجل

مشلول عاجز عن النطق سوى بعينيه. وبدأ ديدات بالرد على اتهاماتهم، سواء له، أو للدين الإسلامي، من خلال نصوص الكتاب المقدس ذاته. وبعد ما يقرب من الساعتين، بادر الرجال الثلاثة بمغادرة المنزل، بعد أن شعروا بغلبة منطق الرجل العاجز عن النطق بلسانه!

*** ما هو تصورك لنهاية الصراع في منطقة الشرق الأوسط؟**

– قبل أن نخوض في تصورات مستقبلية لنهاية الصراع، يجب أن نقوم بتقويم الأوضاع في الوقت الحاضر، الذي هو الأب الشرعي لما تصفه بتصورات عن النهاية. وأرجو من الجميع أن يقوم بمراجعة مواقف العرب بصفة خاصة، والمسلمين بصفة عامة، فيما يتعلق بهذا الصراع، ومدى مطابقته لقرآنهم، لكي يعرفوا النهاية. ففي الوقت الراهن، نجد المسلمين وقد تخلوا عن حبل الله الذي أمرنا تعالى أن نعتصم به، إلا أن الله تعالى يبشرنا في قرآنه الكريم بأن الأوضاع لن تستمر على ما هي عليه الآن. ومن هذا يمكن أن تتخيل النهاية لهذا الصراع.

قال المحاور:

كان ذلك هو السؤال الأخير في الجلسة الثالثة لإجراء الحوار الذي أنهك شيخنا أيما إنهاك. وقبل أن أرحل فوجئت بطلب أدهشني! فقد طلب الشيخ ديدات أن أقرأ له جزءًا من سورة البقرة، وبعد الانتهاء من القراءة، طلب مني أن أدعو له بالرحمة. بدا لي الطلب غريبًا من ذلك الذي يجب أن ننشد منه الدعاء، إلا أنني استجبت، وها أنا ذا أطلب من كل من يقرأ آخر حوار مع هذا العالم الكبير أن يقرأ له القرآن ويدعو له بالرحمة.

مصطفى العقاد

(المخرج العالمي)

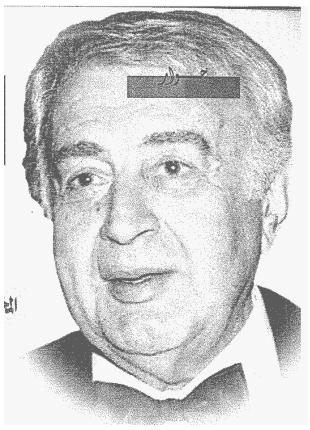

الترجمة:

من مواليد حلب الشهباء. درس السينما إلى جانب الفنون المسرحية بأمريكا، واعتبر أشهر مخرج عربي حقَّق شهرة على الساحة العالمية في هوليود في مجال الإخراج والإنتاج، ونُقشَ اسمه مع المخرجين العالميين عندما أنتج وأخرج رائعتين للسينما العالمية، هما فيلما «الرسالة» و«عمر المختار أسد الصحراء». وكان يحضِّر لفيلم «صلاح الدين الأيوبي» لكن لم تتحمس له أية دولة عربية كما قال، وكان يعتبر السينما أحد المنابر المهمة مع وسائل الإعلام لتقديم صورة إيجابية لمواجهة الإعلام الغربي والصهيوني... قتل في انفجار بعمَّان يوم الجمعة ٩ شوال ١٤٢٦هـ، ١١ تشرين الثاني ٢٠٠٥م.

هذا اللقاء:

أوردت هذا اللقاء ضمن هذه القائمة من العلماء والدعاة لافتخار صاحبه بدينه وبتاريخه الإسلامي، ونقده الحضارة الغربية بقوة، ولشهرته الإعلامية والفنية التي يتابعها شريحة كبيرة من المجتمع، وقد أجرت هذا اللقاء معه أيضًا مجلة إسلامية، هي مجلة (المستقبل الإسلامي)

التي كانت تصدرها الندوة العالمية للشباب الإسلامي، وقد صدر العدد (١٧٥) متضمنًا هذا الحوار، وهو بتاريخ شهر ذي القعدة ١٤٢٦هـ، ديسمبر ٢٠٠٥م. ونشر بعد وفاته، ففي أعلى الحوار: «المخرج العالمي مصطفى العقاد في آخر حديث له مع المستقبل الإسلامي».

وقال محاوره:

إنه صاحب الشخصية العصامية والعنيدة، قادتها روح المغامرة – في البداية – إلى عالم شبه مغلق، أو طريق مسدود، ليثبت – في النهاية – كفاية كبيرة وعبقرية فذة، مكنته من أن يقارع أكبر مخرجي عصره في مدينة السحر والخيال والجنون «هوليوود».

ذلكم هو المخرج السوري الكبير مصطفى العقاد، إنه العربي الوحيد الذي استطاع أن يبرع في مكان صار حكرًا على مخرجي الغرب بسيطرة مالية يهودية واضحة المعالم والقسمات، لكنه استطاع أن يخرج من «هوليوود» بأضخم عملين يذودان عن حياض العروبة والإسلام هما: فيلما «الرسالة» و«عمر المختار». التقيناه لمعرفة آخر مشواره الثقافي والفني، واستلهام رأيه حول بعض القضايا الثقافية والنقدية المطروحة للنقاش.

نص الحوار

أين أنت الآن؟

*** بداية بعد فيلمي «الرسالة» و«عمر المختار» أين أنت الآن؟!**

– أنا مازلت في الولايات المتحدة، أقدم أفلامًا أمريكية، فأنا لم أهب نفسي للأفلام التاريخية فقط، بل أعمل كأي مخرج عادي، أما الأفلام التاريخية والتراثية التي تعنى بالوطن والقومية والتراث، والتي أعشقها، وربما أجد فيها نفسي كثيرًا، فهي أمور «محرمة» في هوليوود تمامًا، وتحتاج أيضًا إلى تمويل من عالمنا العربي، كما حصل بالنسبة إلى فيلمي «الرسالة» و«عمر المختار».

يظنون أنهم أصحاب الحضارة

*** لكن ما هو الجديد عندك، أو الذي أنت بصدد إنجازه؟**

– بصراحة، أنا أخطط الآن لعمل فني رائع عن «صلاح الدين»، بعد أن بات توقيته مهمًا جدًا، وعمل آخر لا يقل عنه أهمية عن «الأندلس»، وهي حضارة نجهلها نحن العرب حتى المثقفون، ولذلك لابد أن نعرّفها لمدَّعي الحضارة هؤلاء في أوروبا وأمريكا، الذين يظنون أنفسهم أصحاب الحضارة، في حين أننا نحن الذين علمناهم أبجديات الحضارة وطقوس التمدن، وقدمناها لهم، على كل المستويات، في العلم والرياضات والفلك والكيمياء والفن، ولكن لا يعوقني إلا التمويل، فإذا لم أجد التمويل فلن أستطيع أن أنجزهما.

تمويل مشروط!

*** هل المشكلة أو العقبة الآن هي التمويل فقط؟**

– مع الأسف، هناك تمويل ولكنه دائمًا مشروط، وأنا أبتغي خدمة تراث أمة، من دون أي علاقة بالسياسات الحالية.

عدم الاستسلام

*** ألهذا السبب تلجأ دائمًا إلى الرموز التاريخية، مع العلم أن واقعنا الحديث مليء بالرموز القوية ولاسيما ما يحدث في الأراضي المحتلة؟**

– القضية الفلسطينية ليست بالتأكيد قضية محلية، بل هي قضية مصيرية، وفيلم «عمر المختار» يروي قضية فلسطين، فمثلاً، عندما نزل الرئيس المصري أنور السادات في القدس شعرنا نحن في الغربة بروح الهزيمة والاستسلام، لذلك قررت أن أقدم موضوعًا يرمز إلى عدم الاستسلام ومواصلة النضال، طبعًا فكرت في «عز الدين القسام» أو «عبدالكريم الخطابي» أو «عبدالقادر الجزائري» وغيرهم، وهم كلهم ناضلوا نضالاً مشرفًا، إلا أن «عمر المختار» كان أطولهم جهادًا أمام العدو الحضاري، وأصرَّ أن يستشهد في أرضه الحرة، لذلك قدمته

بإسقاط معاصر.

وكذلك، سيكون «صلاح الدين» – من وجهة نظري – لأن هناك عدة عوامل لإسقاطه:

أولاً: الإعلام الصهيوني الآن صبغ الإسلام بالإرهاب، وحين أتواجه مع المفكرين في أمريكا أقول لهم: إذا أردنا أن نتحدث عن الإرهاب الديني، فليس هناك أكثر من الحروب الصليبية إرهابًا باسم الدين.

ثانيًا: وضع المنطقة الآن أشبه بوضعها أيام صلاح الدين، دويلات بعضها يتعاون مع العدو – سرًا أو جهرًا – لذلك عندما جاء صلاح الدين نظف وطهر، ووحد وجمع، ثم غزا، وبعد ذلك أكد مبدأ (إسلامية القدس). أضف إلى كل ذلك الأخلاقيات الإسلامية التي تمتع بها صلاح الدين.

وإذا أردنا أن نكلم الغرب، فيجب أن نكلمهم بلغتهم وممثليهم وبمنطقهم.

صراع الحضارات

*** وماذا عن عمل «الأندلس»؟؟**

– عندما ذهبت إلى أمريكا لم يكن الأمر عملية عبقرية من قبلي، ولا نظرة متعالية، بل مجرد مغامرة من شاب عربي مليء بمركب النقص. ولكن عندما وجدت نفسي في مقاعد الدراسة ندًا للألماني أو الفرنسي أو الأمريكي، شعرت بثقة بالنفس فتحت أمامي المجالات كلها، وهذه التجربة أريد أن أنقلها إلى شباب أمتي، فكلنا نشعر وكأننا عالم تاسع أو عاشر.

أما أنا فعرفت على طريقتي ما هو الإسلام، وأنا اليوم أسعى لأصور صراعنا مع الحضارات الأخرى، ولكن قدمت الثاني على الأول لظروف تمر بها أمتنا الآن.

الغربة كبيرة

*** يقال: بعد أحداث ١١ سبتمبر حدث انقلاب في النظرة الغربية إلى الإسلام، فهل**

أنت بصفتك مخرجًا عربيًا في هوليوود شعرت بهذا الانقلاب؟!

– طبعًا شعرت بانقلاب خطير؛ لأن الضربة كانت كبيرة. اليهود نشيطون، ونحن موزعون ومفرقون، نأتي من دولنا العربية بخلفية لا تعرف التكتل أو التضامن، ونقلنا معنا أمراضنا الحزبية والطائفية والمذهبية وغيرها.

أما اليهود، فلأنهم ذاقوا المرارة في أوروبا في القرون السابقة، قرروا أن يسيطروا على عقول العالم عبر الإعلام، وذلك في بروتوكول صهيون السري، ونفذوا ذلك، ووصلوا بالفعل؛ لذا يلزمنا نحن برتوكول مماثل. أما أنا ففي وجودي بأمريكا أعتبر أن الجنسية وثيقة، ولكني أمارس قوميتي وأنافح عن ديني. في أمريكا نعيش على أساس دستور يحمي كل الأديان، ولكن سيطرة اليهود على الإعلام تترك تأثيرها البالغ. مشكلتنا الأولى والأخيرة هي الإعلام الخارجي. فلا دبابات ولا طائرات تفيد بقدر ما يفيد الإعلام، ونحن إذا قدرنا ميزانيات الدفاع في العالم العربي وجدناها مذهلة جدًا. لكني أنا أطلب فقط عشرين بالمائة من هذه الميزانيات للإعلام، ونستطيع من خلالها فعل المعجزات في أمريكا والعالم كله عن طريق الفن.

كما أننا نقع في خطأ إضافي، فعندما نفكر في الإعلام المباشر، وعندما نقول إننا نريد أن ننشئ فضائيات عربية ناطقة باللغات الأجنبية، لا نريد أن نقدم أنفسنا إليهم بشكل مباشر، ولكن نريد أشخاصًا منهم، وفيهم يتكلمون عنا كما يفعل اليهود. يجب أن نتعلم منهم، إن سيطرتهم مالية وليست إبداعية، وبإمكاننا أن نضع في الواجهة الأمريكيين أو الألمان أو غيرهم وندعمهم، هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكن أن نعد فيها لإعلام خارجي غير مباشر، لا يكون فيها أي اسم عربي ظاهر.

بلا مضمون

*** هذا يعني أنك بصفتك مشاهدًا عربيًا في أمريكا لا تشعر بأن الفضائيات تخدم القضايا العربية؟!**

– بالطبع لا، فأنا في أمريكا أرى الفضائيات العربية كلها بلا مضمون أو رسالة، فلم تستطع أن تعرض الإسلام بصفته رسالة عالمية لهداية البشرية، وإخراج البشرية من الظلمات إلى

النور، ومن عبادة الطواغيت إلى عبادة الواحد الديان، وإن كانت هذه الفضائيات تؤدي دورها في مجال ربط المغترب العربي ببلده الأم فقط، ولكن إذا أردت أن أدعو أيًا من أصدقائي الأمريكيين، فإنهم لا يفهمون اللغة العربية، وإذا كانت البرامج ناطقة بلغتهم فإنهم سيعرفون مسبقًا الخلفيات السياسية العربية. وفي رأيي أن هناك شركات إعلامية يمكن أن تكون لنا فيها أسهم نسيطر من خلالها على توجهاتها، ولكن للأسف – «رأس المال العربي» لم يدخل بعد مجال الإعلام، وربما إذا تعرضنا لمزيد من الضغوط نشعر بأهمية الأمر أكثر فأكثر.

لو لم أكن عربيًا..

*** تحدثت عن ضغوط يمارسها اللوبي الصهيوني، فما هو نوع هذه الضغوط التي يمكن أن تشعر بها أنت – على سبيل المثال –؟!**

– في العمل العادي لا أواجه أي ضغط، ولكن الخط الأحمر يبرز فورًا بالنسبة إلى الأوضاع السياسية، أو أي شيء يقدم صورة إيجابية عن العرب أو القضية الفلسطينية، الآن اسمي صار معروفًا، ولي حضوري في هوليوود وفي النقابات الفنية وغيرها. ولا يمكنهم منعي أو توقيفي... لكن لو لم أكن عربيًا مسلمًا لربما كنت وصلت بشكل أسرع.

*** ترى هل لهذا السبب وحده لا نرى مخرجين من الشباب العرب في هوليوود؟!**

– نعم، فربما ليست لديهم الشجاعة، نحن لدينا فنانون يمكن أن يصبحوا عالميين، فالعالمية هي اللغة والتقنية، وأي فنان موجود في العالم العربي لا يختلف عن أي فنان عالمي. هذا ما برهنا عليه في فيلم «الرسالة» عندما وضعت أكبر ممثل في العالم «أنطوني كوين» مع «عبدالله غيث»، وعندما أعطيتهم نفس التقنية أعطوني نفس النتيجة.

لذلك أتمنى من الشباب العرب أن يتجهوا أكثر نحو العالمية، والحضور هناك ليس عملية عبقرية، ولا تحتاج إلا إلى الجدية فقط.

ومما يؤسف له أن العديد من الشباب العرب يأتون إلى أمريكا ولكن جذورهم ضعيفة، فنراهم

سرعان ما يقلدون الأمريكيين ويغيرون أسماءهم. أنا لا أغير اسمي أبدًا، ولو استهجن الجميع اسم «مصطفى»، لأنه رمز لديني وجنسيتي معًا، وهما مصدر فخري واعتزازي دائمًا.

عبدالله المطوع

(الداعية المصلح)

الترجمة:

وجيه ثري وداعية مصلح من الكويت، تعلم في المدرسة المباركية والأحمدية، ووفِّق في أعمال تجارية، وعقد صلات قوية مع الدعاة إلى دين الله، في الكويت وخارجها، وفي مقدمتها حركة الإخوان المسلمين، واستضاف العلماء والمحاضرين، واعتبر من روَّاد العمل الدعوي والخيري في بلده، وكان قويًا في الحق، مع حماس الشباب، وحكمة الشيوخ، أسس «جمعية الإصلاح الاجتماعي في مطلع سنة ١٣٨٠هـ، وظلَّ رئيسًا لمجلسي إدارة الجمعية ومجلة «المجتمع» حتى وفاته، وكانت أقوى صوت إعلامي إسلامي، وكان منفقًا سخيًا وجوادًا كريمًا، يستقبل في مكتبه أصحاب الحاجات، وأوقف سبع عمارات للأرامل والمساكين والفقراء في الدول العربية، وتكفَّل من خلال جمعيته أكثر من (٥٠٠٠٠) يتيم، إضافة إلى إنشاء المدارس، ودور الرعاية، وآلاف المخابز، وصار رجلاً عالميًا مميزًا في أعمال الخير وكفالة طلاب العلم، وقد دأب على مطالبة تطبيق الشريعة الإسلامية، وحارب الفساد، ونادى بالإصلاح.. وتوفاه الله يوم الأحد ١٠ شعبان ١٤٢٧هـ، ٣ سبتمبر ٢٠٠٦م.

هذا اللقاء:

حاوره في لقائه الأخير هذا الأستاذ محمد محمد معافى المهدلي، ويبدو أن حديثه كان لموقع «الرسالة»، كما ورد أعلاه: «الشيخ عبدالله المطوع يقول كلمته الأخيرة لموقع «الرسالة». وقد نشر في مجلة (المجتمع) العدد (١٧٢٤) وتاريخ ٢٩ رمضان ١٤٢٧هـ ص٣٩- ٤١. وقال محاوره في تقديمه:

كان موعد لقائي به تمام الساعة الخامسة عصر الأربعاء ٦ شعبان ١٤٢٧هـ، لإجراء مقابلة صحفية معه، انطلقت وكلي سرور وبهجة لملاقاة هذا الرجل العظيم، الذي يأسرك ببشاشة وجهه وطيب كلماته العطرة، ويأخذ بمجامع قلبك بتواضعه الكريم وخلقه الجم، ولين قلبه، وفقهه العميق بأصول الكتاب والسنة، كنت كلما اتصلت به فيما قبل يأسرني بكلماته العذبة، «أهلاً يا خوي»، وكأن بيني وبينه معرفة طويلة، رغم أني لم أعرفه إلا منذ نحو شهر، من خلال ديوانيته المباركة التي يدعو إليها العلماء والمثقفين والأدباء والشعراء والمفكرين، وكنت كلما خرجت من ديوانيته أقول: هذا زادنا لسنة كاملة... وإلى الحوار:

نص الحوار

*** فضيلة الشيخ عبدالله المطوع، يهديكم موقع الرسالة أطيب تحياته، ويشكر لكم موافقتكم إجراء هذه المقابلة، والله تعالى نسأل أن يجزيكم خير الجزاء.. الوضع العالمي الجديد، أو ما يسمى بـ «النظام العالمي الجديد» الذي تتزعمه أمريكا.. هل ترون له ازدهارًا في الحالة الراهنة، أم أنه بدأ في الانكسار والتراجع؟**

- الوضع العالمي، أو ما يسمى النظام العالمي الجديد، هو نظام ابتدعته أمريكا لتحقيق مصالحها وأغراضها، وخطوة لتمرير ما تريده من فرض الهيمنة والسيطرة على كثير من أجزاء العالم تحت هذا المسمى، وهذا المسمى لا شك مرفوض عند معظم دول العالم، التي ترى في هذا النظام هيمنة أمريكية لا تقرها.

أما الشعوب العربية والإسلامية فتدرك الخطورة من وراء ذلك، وهذا أمر مرفوض، ولا شك أنه سيلاقي الانحدار والتقهقر وعدم التجاوب معه بإذن الله.

*** فضيلة الشيخ، كيف تنظرون إلى دور المثقف العربي لمواجهة الهيمنة الأمريكية والعولمة، والحصار الذي تفرضه على العالم الإسلامي؟**

الحقيقة يجب أن نصحح السؤال، بدل أن نقول المثقف العربي أن نقول: المثقف المسلم، وهذه أبعد، لا شك أن المثقف المسلم يرفض الهيمنة الأمريكية، ويرفض العولمة، ويرفض الحصار وهذه المسميات.

المثقف المسلم ينطلق من الكتاب والسنة، وله ثقافته الخاصة، وتوجهه الخاص الذي لا يرضى به بديلاً، ولا يمكن أن يقبل بالهيمنة الأمريكية، أو العلمنة، أو أي طرح آخر.

نحن أمة أعزها الله بالإسلام، فإن ابتغينا العزة بغير ما أعزنا الله أذلنا، فهذه المصطلحات مرفوضة عند المثقف المسلم.

يجب أن نرفض أي شيء لا يتفق مع الإسلام، وأن يقدم المثقف المسلم ما عنده من رؤية مستنيرة تنطلق من الكتاب والسنة، ويطرح هذا الطرح، ويأليت هنالك حكومة عربية أو إسلامية تتبنى هذه الطروحات الإسلامية، لتحمل هذا النور للعالم الجاهل الذي يتخبط الآن في كل شيء، لا أقول في اقتصاده، ولا أقول في ثقافته، بل تخبط في كل شيء. أصبح العالم الغربي الذي ينظر إليه البعض على أنه تقدمي، بالعكس رجع لحالة المجون، رجع لحالة الزنا والخنا والرذيلة، حيث أحلّوا اللواط، وأخذوا يعقدون للرجل على الرجل بالزواج المثلي! انحدار تام. وهذا أمر يرفضه جميع أهل الفطر السليمة، ونبرأ إلى الله منه، والله سبحانه وتعالى خسف بأقوام اتجهت كما اتجه العالم الغربي الآن في هذه الرذائل، كما حصل لقوم لوط وغيرهم من الأقوام.

*** في غياب دور المبادرات الحقيقية للتغيير والوعود الإصلاحية للحكومات، ما دور الجماعات الإسلامية في عملية الإصلاح الشامل؟**

الحقيقة أن الحكومات عليها مسؤولية كبيرة ودور كبير يجب أن تضطلع به، وتضع مخافة الله نصب عينيها، وأن العمل فيما يرضي الله هو الأساس.

أما الحكومات التي تتبع وتخضع للسيطرة الأجنبية والهيمنة الغربية وتسير في ذلك التوجه، فلا خير فيها.

أما الحكومات العاقلة، فهي تعي الخطر المحيط بها والمتمثل في واقعنا الآن.. نجد الهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين في أقطاره، فلننظر إلى فلسطين، ولننظر إلى الأقطار العربية الأخرى، ومحاولة الهيمنة التامة عليها، واستنزاف ثرواتها في فلسطين والعراق وأفغانستان وغيرها.

فنتمنى أن تكون حكومات الدول العربية والإسلامية بالمستوى المنشود لكي تؤدي دورها.

وطبعًا الجماعات الإسلامية والجمعيات الإسلامية والشعوب الإسلامية يجب أن يكون لها دورها المتميز في الإصلاح ورفض التغريب وما لا يتفق مع دينها وقيمها وعقيدتها رفضًا باتًا، وتعبر عن ذلك بشتى أنواع الوسائل المتاحة، من اتصالات وإعلام، ومن عمل تعلن به رفضها للتغيير الذي لا يتفق مع دينها وقيمها وعقيدتها، وتقدم البديل الصالح مما جاء في الكتاب والسنة، وأن يكون هذا المقياس لجميع أمورنا في الحياة.

*** هل ترون أن ثمة أزمة ديمقراطية في الوطن العربي؟ وهل من بوادر تلوح في الأفق لانفراج هذه الأزمة؟**

المسمى الديمقراطي مسمى غريب على مجتمعاتنا، نحن نعرف الحقوق، نعرف الشورى، نعرف العدل، فهذه هي الأشياء المطلوبة التي يجب أن تتمتع بها الشعوب العربية والإسلامية، منطلقة من دينها وعقيدتها.

وأما الديمقراطية، إذا كانت ترمز لما نريد من شورى وعدالة واستقامة وتبني الاتجاه الصحيح السليم والحريات، فهذا أمر يسمى أو يتعارف عليه ديمقراطية، لكن نحن لا نسميه ديمقراطية بقدر ما نسميه بالتسمية الإسلامية المناسبة.

أما الديمقراطية الغربية التي يزعمونها فهي ليست ديمقراطية، إنها دكتاتورية الأحزاب الحاكمة، الحزب الحاكم يتصرف في السياسة في تلك الأقطار وفقًا لمنظور الحزب، وهذه ليست عدالة وليست شورى، إنما مفهوم الحزب، فأنا أسميها دكتاتورية الأحزاب الحاكمة. ولابد من أن نعرف أن الديمقراطية الغربية هي هيمنة الحزب الحاكم وتبني خططه وأفكاره وسياساته، وهذه ليست عدالة، وليست شورى، وهذا ما يسود في العالم الغربي، ونرجو الله أن ينجي البلاد الإسلامية من هذا التقليد الأعمى، من الانفراد بالسلطة والتسلط، وفرض الرأي الذي يراه

الحزب أو تراه المجموعة أو يراه الحاكم.

عندنا أسس نبني عليها مجتمعاتنا، وهي ما جاء به المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهي موجودة في الكتاب والسنة، فعلينا أن نبني مجتمعاتنا على هذا الأساس، وهذا الأساس هو الشورى والعدل، فنرجو الله أن يهيئ لهذه الأمة من يقودها بإخلاص، ويفرض هذا التوجه الصحيح على شعوبنا، وأن تكون الحكومات جزءًا من تلك الشعوب التي تتبنى هذا الخط الإسلامي الواضح.

***كيف تقيمون ردود الأفعال الإسلامية حول إطلاق الغرب وأمريكا مصطلحات على المسلمين كـ «الإرهابيين» و«الفاشيين»، وما رؤيتكم في التعامل مع هذه المصطلحات الوافدة من وراء البحار؟**

نحن نعرف أنّ الأمم الإسلامية والمسلمين جميعًا بعيدون عن هذه الاتهامات، إنما تزعم أمريكا وتعينها أوروبا على هذه الاتهامات لتحقيق أهداف وأغراض معيّنة لضرب شعوب بذاتها، ولفرض الاحتلال والهيمنة، كما حصل في أجزاء كثيرة من العالم العربي والإسلامي وغيرهما. فالإرهاب ليس موجودًا عندنا، بل الإسلام جاء ليحارب الإرهاب، ويحارب هذه المسميات التي تتهم أمريكا العالم الإسلامي بها، بل بالعكس، ما نراه على الساحة الفلسطينية بدعم أمريكي هو الإرهاب بذاته، وما يقوم به الشعب اليهودي ضد المسلمين وضد العرب في فلسطين وفي لبنان وفي غيرهما هو الإرهاب بعينه، وتدعمه أمريكا، وليست الجماعات الإسلامية الموجودة على الساحة. فهذه الجماعات ليست إرهابية، ولا تمارس الإرهاب. هذا غلط، وتسميات خاطئة، وليس لها في الواقع العربي والإسلامي أي مكان، وإن وجدت فهي شذوذ نادر ومرفوض.. أما مقاومة المحتل وتحرير الأوطان والشعوب، فهو جهاد مشروع وليس إرهابًا كما تزعم أمريكا.

*** هل ترون أن ما يسمى بـ «الشرق الأوسط» بحاجة إلى إعادة صياغة من جديد؟**

الشرق الأوسط يطلق على منطقة ما، وأمريكا تريد «شرق أوسط كبيرًا»، أو «شرق أوسط جديدًا»، أو شيئًا من هذا، لفرض الهيمنة عليه، واعتراف الشعوب في المنطقة بـ «إسرائيل»، وتبادل التمثيل الدبلوماسي مع الوجود الصهيوني، وغير ذلك. هذا جزء مما تريده أمريكا من

هذا المسمى، فيجب علينا أن نتنبه لهذه المسميات، وماذا يراد منها، وما خلفها، لكي لا نقع بالفخ.

«الشرق الأوسط» يطلق على منطقة ما، ليس له نظام وليس له تجانس أبدًا، وشعوب تلك المنطقة يطلق عليها شعوب منطقة الشرق الأوسط.

ماذا تريد أمريكا بالشرق الأوسط الجديد؟ إنها تريد الهيمنة من جديد، تريد فرض «إسرائيل» كأمر واقع، وأن تدخل «إسرائيل» في كل مناطق الشرق الأوسط كدولة معترف بها، وإبراء ذمتها. هذا ما تريد أمريكا فرضه من هذا المسمى الجديد. وهذا أمر لا تقبله الشعوب العربية الإسلامية.

*** إذن أنتم لا ترون إعادة صياغة شرق أوسط جديد؟**

نحن نرى – كمسلمين – إعادة صياغة الشرق الأوسط الجديد على أسس الإسلام، والتعاون بين أقطار تلك المنطقة، على أساس أن يكون التوجه الإسلامي هو الهدف، وهو الغاية، وهو الوسيلة، وطرد المحتل، وأن تعيش شعوب تلك المنطقة بأمن وأمان، لا بهيمنة صهيونية بدعم أمريكي.

فعلى الشعوب العربية وحكوماتها أن تستشعر بهذا الخطر، وأن تتحرك، لا أن تعيش في أحلام مصالحها الخاصة وكراسيها الخاصة متناسية واجبها الديني والإسلامي، ومتناسية أن الله سيحاسبها عن كل صغيرة وكبيرة يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

الحكومات العربية عليها واجب، وهي مسؤولة أمام الله عن التفريط في أي شبر، والتقصير في مناصرة الشعب الفلسطيني والشعوب الإسلامية المستضعفة، وعدم تمكين حكومة فلسطين الشرعية المنتخبة أو دعمها بالمال لتقف على رجليها استجابة للضغوط الأمريكية. هذا خطأ واضح وأمر مرفوض.

أنا مع إعادة صياغة الشرق الأوسط الجديد على أساس إسلامي، وأن ترتبط هذه الشعوب برباط الإسلام، ورباط الأخوة الإسلامية، بالتعاون المشترك، وبالاقتصاد المشترك، وبالتبادل الصناعي، والتبادل التجاري، وبأن يكون الإطار العام إطار الإسلام.

*** ما تقييمكم لدور المقاومة اللبنانية، وما ردكم على دعاة التخذيل؟**

أخي، أي مقاومة.. مشروعة للدفاع عن النفس، سواء في لبنان أو فلسطين أو أي جزء من أجزاء العالم العربي والإسلامي. نحن لا نريد مقاومة تعتدي على الناس أو تنتقص من حقوقهم، وليست عندنا مقاومة لا في لبنان ولا في فلسطين ولا في غيرها تحاول الاعتداء، إنما هذه المقاومة قامت للدفاع عن النفس وللدفاع عن الأوطان.

المقاومة في لبنان أذهلت اليهود وأنهم ليسوا بتلك القوة التي خدعوا العالم إعلاميًا بها أبدًا، لقد أوقفتهم قلة من المقاومة اللبنانية عن التقدم، وكبدتهم خسائر كبيرة، وها هي الآن الاستقالات اليهودية والاحتجاجات اليهودية في الداخل ضد حكومة اليهود القائمة حاليًا للتخبط الذي وقعت فيه، وأثبتت المقاومة اللبنانية أنها مقاومة قوية وجيدة.

طبعًا اليهود تفوقوا بسلاح الجو والتدمير، ولكنهم لم يتقدموا كما كانوا يتصورون بسهولة، فأنا مع أي مقاومة مشروعة في الدفاع عن النفس، وضد المحتل وضد المعتدي، سواء في فلسطين أو في لبنان، أو في أي جزء من أجزاء العالم العربي والإسلامي.

*** بم تفسرون تفجر الأحداث في عدد من الأقطار الإسلامية كفلسطين والعراق ولبنان والصومال وغيرها، هل هي بداية أحداث مأساوية وسلسلة من الهزائم أم ولادة فجر جديد؟**

انفجار الأحداث في العراق له وجهة أخرى.. فهناك موساد «إسرائيلي» يعمل، وأمريكا باحتلالها تعمل، وهناك قوى أجنبية أخرى تحاول أن تجعل من العراق عراقًا مقسمًا، وهذا أمر يختلف عما يحصل في الصومال وفي فلسطين وغيرها.

أما ما يحصل في الصومال وفي فلسطين وغيرها، فهو إن شاء الله بداية تصحيح المسار. وحكومة المحاكم في الصومال هي حكومة أصلح بكثير من المليشيات السابقة المتقاتلة، وأصلح بكثير من الحكومات الأخرى التي تطرح نفسها على الساحة.

فحبذا لو تعاون الجميع مع المحاكم الشرعية التي تسيطر على معظم البلاد الآن، وتقف معها وقفة إسلامية صحيحة، لاستمرار الأمن والاستقرار في ذلك الجزء من العالم الإسلامي.

أما في فلسطين، فالمؤشرات تبشر بالخير بإذن الله، وهي أنه جاءت حكومة منتخبة، هذه الحكومة لها طابع إسلامي، وهي دليل على رفض الشعب الفلسطيني أي أفكار أو أيديولوجيات أو غير ذلك، وأنه يرغب في الإسلام وانتخب هذه الفئة التي تحمل الإسلام.. ولكن الغرب بأكمله و«إسرائيل» وأعوانهم لا يرضون بالاتجاه الإسلامي، ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يجعل كيد الظالمين في نحورهم، وأن تقوم هذه الحكومة التي جاءت بانتخابات مشروعة بإرساء العدالة والأمن والاستقرار في البلد، وأن تكف «إسرائيل» عن الاعتقالات والاغتيالات المستمرة، وأن تلاقي احتجاجًا قويًا من الدول العربية والإسلامية إذا أرادت النجاة، ليس لفلسطين [وحدها]، لكن لأقطارها ولبلدانها ولأنفسها من هجمة يهودية، وكما جاء في المثل «أكلت لما أكل الثور الأبيض».

*** ماذا قدمت الكويت في مجال الديمقراطية السياسية؟**

الكويت بلد يتمتع بالحرية وفق قوانينه وأنظمته أكثر من البلاد العربية الأخرى، ويعتبر من أكثر البلاد حرية في التعبير وفي الإعلام وغيرها، ولكن هذه الحريات يجب أن تكون أيضًا ملتزمة التزامًا بخطوط رئيسة لا تخرج عن إطار الإسلام، وأن تكون منضبطة وفق المنظور الإسلامي.

فالكويت.. الحريات فيها متاحة، ولا أقول حريات مطلقة، ولكن حريات إلى حد ما في التعبير، والكويت لا تخرج عن كونها بلدًا عربيًا يمتاز عن بعض البلاد العربية في تفعيل القوانين والأنظمة.

وهنالك قوانين وفق المنظور الشرعي فنقبل بها، أما القوانين التي لا يقرها الإسلام فلا نقرها ولا نعتبرها حريات، بل نعتبرها تعديًا على الحريات مثل القوانين وضعية التي لا تتفق مع الإسلام.

*** كان لجمعية الإصلاح في الكويت دور بارز في نشر الصحوة الإسلامية بها، ومن المعلوم أنه في الآونة الأخيرة ظهرت بعض التغييرات السياسية والدعوية على الساحة، فما دور الجمعية من الأحداث في فلسطين والعراق ولبنان؟**

جمعية الإصلاح جمعية كويتية محلية خيرية دعوية تنطلق من الكتاب والسنة في أمورها عامة في

داخل الكويت وخارجها.

وإذا كان هناك ثمة مساعدات أو عون للمسلمين في أقطارهم، فأيضًا هذا يخضع للأنظمة والقوانين المتبعة ذات الخط الإسلامي في ذلك.

فجمعية الإصلاح لا تدخر وسعًا في ذلك أبدًا، وتقوم بدور طيب إن شاء الله في المساعدات، سواء في الداخل أو الخارج.

***كلمة يا شيخ نختم بها هذا اللقاء توجهونها لقراء موقع الرسالة.**

الحقيقة أنا أوجه كلمتي لجميع الإخوة الأفاضل الذين يدخلون على موقع الرسالة أن يحددوا هدفهم في هذه الحياة التي لا يعلم الإنسان مداها، فما مضى منها أصبح في حكم التاريخ، والمستقبل هو مستقبل مجهول لا يدري الإنسان متى تتخطفه يد المنون، والإنسان يعيش في لحظاته الحالية أو الأخيرة، فيجب أن نتقي الله، وأن نستقيم ما بقي من أعمارنا في مرضاة الله، والدعوة إلى الله، والعمل المخلص الجاد، بأن نحمل لواء الإسلام ونور الإسلام للجميع، ونطرح الإسلام الطرح السليم بالحكمة والموعظة الحسنة كما جاء في محكم التنزيل، وكما جاء في الكتاب والسنة.

وهذه هي رسالة كل مسلم، أن يكون الله غايتَه وهدفه في الحياة، وأن يعمل ما يرضي الله، وليعلم أن الحياة مهما طالت فهي قصيرة، وهذه الآجال ستنتهي في يوم من الأيام، وسيقف الإنسان بين يدي الله يسأله ماذا قدَّم؟ وماذا عمل؟ فليكن ما نقدمه وما نفعله جميعه في مرضاة الله، وفي هذا التوجه للدعوة الإسلامية الصحيحة، ولنكن إن شاء الله أمة تدعو إلى الخير، وتعمل به، وتدعو الناس إليه.

والله نسأل أن يوفق الجميع، وأن يبارك جهود الجميع، وأن يجعلنا إن شاء الله جميعًا عبادًا مخلصين، ونستغل حياتنا وما بقي منها في مرضاته. والله ولي التوفيق.

صفي الرحمن المباركفوري

(العالم والباحث السلفي)

الترجمة:

ولادته في إحدى قرى بنارس بالهند، وتخرَّج في عدة مدارس نظامية هناك، ثم درَّس الفقه والحديث بالجامعة الإسلامية في بنارس، وأصبح أمير جمعية أهل الحديث المركزية بالهند، ورأس تحرير مجلتها (محدِّث)، كما عمل في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عشر سنوات، وباحثًا في مكتبة دار السلام بالرياض. وكان سلفيًا بحزم، وألَّف كتبًا اشتهرت، وحاز بعضها جوائز، مثل كتابه «الرحيق المختوم: بحث في السيرة النبوية» الذي ترجم إلى أكثر من (١٥) لغة. وقد توفي في قريته يوم الجمعة ١٠ ذي القعدة ١٤٢٧هـ، الأول من ديسمبر.

هذا اللقاء:

أجرى معه هذا اللقاء الأستاذ خالد بن عبدالله الراشد، ونشر في مجلة (الدعوة) الصادرة في الرياض، في عددها (٢٠٧١) وتاريخ ١٦ ذي القعدة ص٧٦- ٧٧.

وقدم له بما نصَّه:

توفي قبل أيام الشيخ الجليل الداعية والمحقق المعروف صفي الدين المباركفوري في الهند بعد أن أقعده المرض، وقد لاقى وجه ربه في ولاية يوبي الهندية عن عمر يناهز (٦٤) عامًا، حيث

أصيب بجلطة دماغية تكررت عليه – رحمه الله – أكثر من مرة حتى أقعدته عن الحركة، ثم توفي رحمه الله متأثرًا بها.

والشيخ – رحمه الله – خطيب بارز ومجيد لأسلوب المناظرات، وله مناظرات مشهورة. كما أنه مؤرّخ ومفسر ومهتم بالسنة النبوية، وله العديد من المؤلفات، توفي – رحمه الله – وهو يؤلّف كتابًا جديدًا عن الحج والعمرة، ولم يبق في الكتاب إلا القليل. وكان آخر كتاب ألَّفه الشيخ هو تاريخ مكة المكرمة وتاريخ المدينة المنورة، الذي طبع باللغات العربية والأوردية والإنجليزية.

«الدعوة» كانت التقت مع الشيخ قبل وفاته – رحمه الله – ننقله لكم بنصه:

*** سيرتكم الذاتية؟**

– اسمي صفي الدين المباركفوري، ولدت في أواسط سنة ١٩٤٢م بقرية حسين آباد، وهي من ضواحي مدينة مباركفور، تبعد أكثر من كيلومتر، إلى الشمال منها، ومباركفور مدينة صناعية معروفة بصناعة أقمشة الحرير، يقوم أهلها بالنسج والإعداد والتلوين والتطريز وكل ما يتعلق بهذا الفن.

*** سيرتكم العلمية والمؤلفات؟**

– تعلمت أولاً القرآن الكريم على جدي وبعض عمومتي، ثم التحقت بالمدرسة العربية دار التعليم بمباركفور وأكملت هناك الابتدائية، ثم التحقت بمدرسة إحياء العلوم بمدينة مباركفور ودرست هناك الكتب الابتدائية للنحو والصرف والأدب العربي وعلم المنطق، ثم التحقت بمدرسة فيض عام بمدينة مئونات بنجن، فدرست هناك إضافة إلى ما سبق كتب الحديث والفقه والبلاغة والتفسير والمصطلح وغير ذلك حتى تخرجت منها في سنة ١٩٦١م. وبعد التخرج بدأت بالتدريس، وكنت أقوم أيضًا بالتأليف في أوقات الفراغ جنبًا إلى جنب، حتى أعددت بعض الرسائل والكتب تأليفًا وترجمة، وقد قضيت عدة سنوات في عدد من المدارس حتى دُعيت أخيرًا إلى الجامعة السلفية بنارس الهند في سنة ١٩٧٤م، فدرست هناك نحو أربعة عشر عامًا، حتى دُعيت إلى مركز خدمة السنة والسيرة النبوية بالجامعة الإسلامية فجئت هناك في المحرم سنة ١٤٠٩هـ وأعمل الآن رئيس اللجنة العلمية والبحث بمكتبة دار السلام

للنشر بالرياض، أما المؤلفات فهي كما يلي:

- الرحيق المختوم - روضة الأنوار في سيرة النبي المختار - تعليق بلوغ المرام - منة المنعم شرح صحيح مسلم - تطور الشعوب والديانات في الهند - إبراز الحق والصواب في مسألة السفور والحجاب - تعليق على رياض الصالحين - الحكم الإسلامي وعدد الأحزاب السياسية - بهجة النظر في مصطلح أهل الأثر - البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم عند الهندوس - البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم عند البوذيين والفرس.

*** من مؤلفاتكم في السيرة النبوية كتاب «الرحيق المختوم»، هل تعطي القارئ نبذة عنه؟**

- كنت قرأت بعض الكتب في السيرة، ثم قرأت في كتاب العلامة أبو الكلام أزاد أن مواد السيرة موجودة في القرآن، وأنه يمكن إعداد كتاب كامل في السيرة من القرآن الكريم، وأنه قام بهذا العمل وأعد الكتاب، فكانت فكرة إعداد السيرة بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية تراودني وتدور في خلدي، فلما أعلنت الرابطة [رابطة العالم الإسلامي] عن تنظيم مسابقة كتابة أحسن بحث في موضوع السيرة، لقيني عدد من أهل العلم ورغبوا في مشاركتي في هذه المسابقة، فقمت بعمل التأليف، وحيث إن الوقت كان ضيقًا وما كان يسمح بالتبسط في التحقيق والمراجعة، فقد ألفت على عجل، وما استطعت أن أنجز تلك الفكرة التي كانت تدور في خلدي ولكني إلى حد ما، وقد وجدت فرصة أربعة أشهر له ذا العمل، فواصلت الليل والنهار حتى أثبت على ما قصدت، ولم استطع أن أنجز ما كنت أفكر، وبعدها أعلنت الرابطة أسماء الفائزين في كراتشي شهر شعبان وقد اخترت الأول على الفائزين في بحث «الرحيق المختوم» في السيرة النبوية، وتسلّمت جائزتي من صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن عبدالمحسن بن عبدالعزيز نائب أمير منطقة مكة المكرمة - آنذاك - أمير منطقة حائل حاليًا. وذلك في حفل الرابطة بمكة المكرمة، وذلك يوم السبت ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٩٩هـ. وأعلنت الرابطة عن طباعة جميع البحوث ومن ضمنها بحثي هذا.

*** موقف شدك وأنت تكتب هذا الكتاب؟**

- كل مواقف الصحابة مواقف مشرِّفة، ولكن شدَّ انتباهي موقف أولئك الصحابة الذين أوذوا في سبيل الله بأنواع من العذاب تتفطَّر لها القلوب، ومن تلك المواقف موقف بلال بن

رباح رضي الله عنه عندما أوذي في مكة على أيدي المشركين، وموقف أبو بكر الصديق رضي الله عنه عندما قام بإنقاذ النبي صلى الله عليه وسلم عندما هاجمه المشركون وحاول عقبة بن معيط قتل الرسول صلى الله عليه وسلم، وموقف الصحابة رضوان الله عليهم في الجهاد، ولاسيما موقف الزبير بن العوام رضي الله عنه في غزوة أحد.

*** شخصية من الصحابة أعجبت بها؟**

– شخصية أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقد كان له مواقف مشرِّفة في كل مرحلة من مراحل السيرة؛ في تأييد النبي صلى الله عليه وسلم والدفاع عنه، والانتصار له، ففي غزوة أحد أول من رجع من الصفوف الأولى إلى النبي صلى الله عليه وسلم حين حصل التطويق للدفاع عنه. والموقف الثاني موقفه في صلح الحديبية، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بأن قريشًا اجتمعوا له ويصدون عن البيت، فاستشار الصحابة بالهجوم على الذين خرجوا من كفار قريش ومن معهم، فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه إنما خرجت لعمرة ولم تخرج لقتال، ومن صدنا عن البيت قاتلناه، حيث كان رأيه عدم القتال.

*** ما هو أجمل كتاب في السيرة النبوية وتنصح بقراءته؟**

– كتاب «رحمة للعالمين» للقاضي محمد سليمان المنصورفوري في مجلد. وقد ترجم للغة العربية طباعة دار السلام، ويبدو جمال هذا الكتاب لأن مؤلفه قد كتبه وهو مستغرق في حب الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو كتاب جامع وتحقيق دقيق.

*** هل هناك مؤلفات لم تخرج للساحة؟**

– هناك كتاب «منة المنعم في شرح صحيح مسلم» في أربعة مجلدات سوف يصدر قريبًا من مكتبة دار السلام. وكتاب «الحكم الإسلامي وتعدد الأحزاب السياسية» مجلد واحد يصدر من مركز البحوث والدراسات الإسلامية التابع لوزارة الشؤون الإسلامية. وقد ترجم باللغة الأوردية. وكتاب «البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم في كتب الهندوس» باللغة العربية والهندية في مجلد واحد.

*** الكمبيوتر هل قضى على أهمية الكتاب والمكتبة؟**

– الكمبيوتر لم يقض على أهمية الكتاب والمكتبة، فالباحث يحتاج إلى أن يكون لديه معلومات تفيده وتغنيه في الموضوع، ولا يتمكن من ذلك إلا بعد مراجعة الكتب، نعم الكمبيوتر سهل المهمة لدى الباحث، ويجعله يتمكن مما لا يتمكن منه إلا بشق الأنفس.

*** الفضائيات والإنترنت.. هل سرقت القارئ؟**

– ليس بإمكان الفضائيات والإنترنت أن تسرقا القارئ، وإنما تلفته إلى نفسها، فهي من لفت نظر القارئ واتجاهه، وفعلاً حصل هذا، فإن سميتم هذا سرقة فطبعًا يقال إنها سرقت القارئ، وإلا فلا.

*** دور النشر يقال إنها تسرق جهد وعرق الباحثين هل هذا صحيح؟**

– كثير من دور النشر لا يبالون بحقوق الباحثين، ويستفيدون بجهودهم من حيث يجوز، ومن حيث لا يجوز، وهذا الذي يسمونه بالسرقة، فصحيح أنها تسرق جهد وعرق الباحثين، ومن الغريب أنهم يحتجون بأنهم يريدون خدمة الإسلام، فإذا نهى الباحث عن نشر جهده فقد أقام عقبة في نشر الإسلام، ولكن ماذا عليهم لو قدموا حق الباحث إليه ثم قاموا بنشر جهده، ألا يكون ذلك خدمة للإسلام؟ وهل مطالبتهم بحقوقهم إلا عقبة في الجشع المادي لهؤلاء أصحاب دور النشر؟.

*** من الذي خدم السنة في العصر الحديث؟ ومن الذي أساء لها؟**

– الخادمون للسنة في العصر الحديث الشيخ عبدالعزيز بن باز – رحمه الله – والشيخ محمد ناصر الدين الألباني – رحمه الله – والشيخ عبيدالله الرحماني – رحمه الله –، أما الذين أساؤوا إلى السنة فكثيرون من العقلانيين الذين رجحوا عقولهم على السنة، أو من المبتدعين الذين ينتهجون ما ألفوا عليه آباءهم.

*** ما هي أبرز المؤلفات حديثًا في السنة؟**

– من أبرز المؤلفات حديثًا في السنة كتب الشيخ الألباني، مثل سلسلة الأحاديث الصحيحة، والضعيفة، وما إلى ذلك من مؤلفاته الأخرى.

*** لماذا كل هذا الهجوم على السنة مؤخرًا من بعض الحاقدين؟ ولماذا في هذا الوقت**

بالذات؟

– لأن هؤلاء الحاقدين انحدروا من أصول مبتدعة، أو درسوا العلوم الأوروبية وتأثروا بها أي تأثر، ثم احتلوا مكان الدعوة والزعامة، فلم يجدوا شيئًا يعوق انفساخهم العقلي والبدعي مثل ما تعوق السنة، وأنها تطلب منهم التواضع والإخلاص، فرأوا أن السنة هي عدوهم اللدود، فعادوها، وأخذوا يهجمون على السنة هجومًا لا هوادة فيه.

*** مراكز السنة اليوم في بعض البلدان الإسلامية ماذا حققت؟**

– مراكز السنة أخرجت رجالاً اختاروا المنهج الصحيح المطلوب لخدمة السنة والقيام بها، كما أخرجت كتبًا مفيدة في السنة ومعرفة الشريعة الغراء.

*** ماذا تقترح من أجل عناية أكثر بالسنة؟**

– تدريس السنة في مراحل الابتدائية والثانوية والكلية، وتأليفها على التبويب الأحسن، وترجمتها إلى مختلف اللغات، وتقديمها إلى عامة المسلمين، بحيث تكون أقرب إلى فهمهم وأنسب لتمسكهم بها، والاهتمام بإلقاء الدروس حولها في المساجد والاجتماعات والندوات وغير ذلك.

*** كلمة أخيرة لقراء «الدعوة»؟**

– أن يهتموا بدراسة الكتاب والسنة ويتعمقوا في معانيهما ويستفيدوا بها في توحيد صفوف المسلمين، فإن توحيد الكلمة إنما يحصل بكلمة التوحيد، والتمسك بالكتاب والسنة، وهما الأساس لنبذ الخلافات، كما أنصحهم بقراءة السيرة النبوية لمعرفة ما كان للصحابة رضوان الله عليهم من جهود في إعلاء كلمة الله، وبالتضحية بالغالي والنفيس في هذا السبيل.

محمد عمرو عبداللطيف

(من علماء الحديث)

الترجمة:

من مواليد القاهرة، من أصل شنقيطي. درس في كلية التجارة، وأخذ عن الشيخ محمد نجيب المطيعي، وتعلق بالحديث الشريف وشغف بعلوم تخريجه، فكان جلُّ ما كتبه فيه، وهو من مدرسة الشيخ الألباني وإن لم يدرس عليه. وكان حييًّا زاهدًا ورعًا. وله مؤلفات عديدة ذكرها في هذا الحوار. مات في ١٣ محرم ١٤٢٩هـ، ٢١ يناير ٢٠٠٨م بالقاهرة عن (٥٣) عامًا.

هذا اللقاء:

أجري هذا اللقاء معه وعُرض عليه وأقرَّه بعد تعديلات عليه في آخر شهر رمضان من عام ١٤٢٨هـ، وتوفي هو في ١٣ محرم من العام التالي. وقد استفدته من الشبكة العالمية للمعلومات بُعيد وفاته.

نص الحوار

– فضيلة الشيخ.. نرحب بكم، ونود من فضيلتكم أن تعرفنا بموجز عن سيرتكم الذاتية، فنبدأ بالاسم والمولد والنشأة؟

الاسم: محمد عمرو بن عبداللطيف بن محمد بن عبدالقادر بن رضوان بن سليمان بن مفتاح بن شاهين الشنقيطي. فـ (محمد عمرو) اسم مركب، سماني والدي تيمُّنًا بمليونير سمَّى ابنه محمد عمرو، فالحمد لله الذي وهبني حبَّ العلم، وترجع أصولنا إلى شنقيط، حيث حضر بعض أجدادي إلى مصر قديمًا فرارًا من التجنيد واستقرّ بها.

أما المولد والنشأة: فقد ولدت في حي مصر الجديدة من محافظة القاهرة، عاصمة مصر، في الحادي عشر من شهر رمضان المبارك عام ١٣٧٤هـ، الموافق ١٩٥٥/٢/٥م.

ثم استقرت العائلة المكونة من ستة أفراد – أنا أصغرهم – في منطقة المعادي.

– وبالنسبة لشهاداتكم العلمية، وحياتكم العملية؟

تلقيت في منطقة المعادي مرحلة التعليم الابتدائي والإعدادي والثانوي – القسم العلمي – ثم التحقت بمعهد السكرتارية بمنطقة (مَنْيَل الرَّوضة)، الذي تقرر تحويله وأنا في السنة الثالثة من الدراسة إلى (كلية التجارة وإدارة الأعمال) التابعة لجامعة حلوان، كما تم نقل موضعه أيضًا من الموضع السابق إلى منطقة (الزمالك)، في الموضع الحالي مع كلية التجارة الخارجية.

بعد التخرج عُيِّنتُ موظفًا بمديرية القوى العاملة في مجمع التحرير براتب شهري (٣٨) جنيهًا.

لكن لم أستمر في الوظيفة الحكومية سوى شهرين فقط؛ وذلك لما في العمل من اختلاط بين الرجال والنساء، وما فيه من متبرجات.

وتفرغت للقراءة والطلب، وعملت مرّة في تخريج الأحاديث بالساعة، فخرَّجت قسمًا من "عمل اليوم والليلة" لابن السُّنِّي.

– فضيلة الشيخ.. تذكر لنا بداية اتجاهكم إلى طلب العلم؟

كان الأخ "عبدالرحمن بن يوسف بن حسين" – جزاه الله خيرًا – أول من لفت نظري إلى قراءة بعض كتب العقيدة السلفية، يوم كان عمري نحو (١٧– ١٨) عامًا.

وكان عندنا كتاب الترغيب والترهيب للمنذري – رحمه الله – ضبط وشرح الشيخ: محمد خليل هراس – رحمه الله – فقرأت تعليق الشيخ عند حديث دعاء حفظ القرآن الذي رواه الترمذي والحاكم، فقال فيه عند قول الترمذي "حسن غريب": وأي حسن فيه يا علامة

ترمذ؟ وهل نصدقك بَعد هذا فيما تحسن أو تصحح من حديث؟

وقال معلقًا على قول الحاكم "صحيح على شرطهما": ثم تأمل تبجح الحاكم وقوله صحيح على شرطهما، لا والله ما هو على شرطهما، ولو رواه أحدهما لسقط كتابه في الميزان كما سقط مستدركك أيها الحاكم.

وكان الشيخ محمد خليل هراس – رحمه الله – يسمي المستدرك: المستترك، أي: الذي يستحق الترك. فكان له تأثير كبير عليَّ في حب هذا العلم.

كما أن المنذري في آخر كتابه سرد أسماء الرواة المختلف فيهم، الذين مرّ ذكرهم أثناء الكتاب، فهذا أيضًا مما أثر فيّ وحبب إليّ علم الرجال.

– فضيلة الشيخ... سمعنا أنكم تقسمون حياتكم إلى مرحلتين: مرحلة المعادي، ومرحلة مدينة نصر، فهل تذكرون لنا معنى هذا التقسيم؟

في مرحلة المعادي كنت في بداية الطلب، وكنت أنتهج منهج المتأخرين في الحكم على الأحاديث، ويمكن أن نسميها: مرحلة التقليد؛ حيث كنت أعتمد على تصحيحات ابن حبان والحاكم مثلاً، ثم اعتمدت جميع ما يصححه العلامة الألباني ويحسِّنه.

أما مرحلة مدينة نصر فيمكن أن نسميها مرحلة الاتّباع؛ فهي تتميز ببذل الوسع في البحث والتحليل، وانتهاج منهج الأئمة المتقدمين في الحكم على الحديث، من تصحيح أو تحسين أو تضعيف أو إعلال، عن طريق جمع طرقه، والنظر فيها، ومقارنتها، وتتبع هل تكلم فيه أحد من الأئمة النقَّاد؟

– ومتى تم انتقالكم من المعادي إلى مدينة نصر، ولماذا؟

كان ذلك سنة ١٩٨٧م، حيث حضر إلي الشيخ عبدالرحمن بن عقيل ومعه الشيخ أبو إسحاق الحويني، وطلبا مني الالتحاق بالعمل في دار التأصيل.

وكذلك كان من جملة من تم استدعاؤهم للعمل في الدار الأخوان الفاضلان أبو تراب عادل بن محمد وأبو معاذ طارق بن عوض الله.

– هذا بالنسبة للانتقال المكاني... فماذا عن الانتقال المنهجي؟

طبعًا لم يكن ذلك من قِبَل نفسي، ولكن مخالطتي للأخوين الفاضلين عادل أبي تراب وطارق أبي معاذ ومدارستي معهم جعلتني أتعرف على منهج المتقدمين في الحكم على الحديث، وأقتنع به، وأتخذه منهجًا لي.

– فضيلة الشيخ... هل تذكر لنا نتاجكم العلمي بناء على هذا التقسيم؟

بالنسبة لمرحلة المعادي ألفت فيها الآتي:

١– أخذ الجنة بحسن حديث الرتع في رياضِ الجنة، ومعه الأذكار الصحاح والحسان في الصباح والمساء وبعد الصلاة.

٢– القسطاس في تصحيح حديث الأكياس.

٣– آداب حملة القرآن للآجري، الذي طبع زورًا باسم: أخلاق أهل القرآن.

٤– البدائل المستحسنة لضعيف ما اشتهر على الألسنة، الجزء الأول.

٥– تخريج أحاديث الحقوق (حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة للشيخ ابن عثيمين).

– فضيلة الشيخ... هل معنى تراجعكم عن منهجكم القديم عدم رضاكم عن هذه المؤلفات؟

قد لا أرضى عن الحكم النهائي على الأحاديث، باستثناء كتاب "تخريج أحاديث الحقوق" فأنا راضٍ عنه، إلا نحو حديثين.

– لكن أليس من الممكن لطلاب العلم الاطِّلاع عليها والاستفادة منها؟

لا شك، يمكن أن يقرؤوها، ولكن غالب هذه الكتب غير متوفرة الآن.

– وبالنسبة للكتب التي ترضون عنها؟

١– تبييض الصحيفة بأصول الأحاديث الضعيفة (جزءان، في كل جزء ٥٠ حديثًا).

٢– تكميل النفع بما لم يثبت به وقف ولا رفع (جزء واحد فيه ٢٥ حديثًا).

٣– تخريج أحاديث كتاب: "الذل والانكسار للعزيز الجبار" لابن رجب الحنبلي، اشتركت في تحقيقه مع حسين الجمل، لكن قد يحتاج حديث أو حديثان فيه إلى إعادة نظر.

٤- تعليقات على كتاب: (إماطة الجهل بحال حديثي "ما خير للنساء" و"عقدة الحبل") جمع وتنسيق زوجي: أم عبدالرحمن بنت النوبي.

٥- أحاديث ومرويات في الميزان، فيه حديث "قلب القرآن يس" في الميزان - وقد طبع مفردًا قبل ذلك - وحديث "ما من عبد مؤمن إلا وله ذنب يعتاده الفينة بعد الفينة ..." في الميزان.

- وبالنسبة للمؤلفات التي لم تطبع بعد؟

أكثرها متفرقات، لم تكتمل، منها:

١- تكميل النفع بما لم يثبت به وقف ولا رفع (الجزء الثاني) كنت قدمته للطبع ثم سحبته، ومن جملته حديث دعاء بعد الوضوء "اللهم اجعلني من التوابين..." الذي أتمنى إفراده بتصنيف.

٢- أحاديث وروايات فاتت أئمة وسادات (متفرقات، مازلت أجمع فيها منذ سنوات).

٣- جزء في تخريج حديث: "ما السماوات السبع..." (شرعت في تبييض بعضه).

٤- جزء في تخريج حديث: "ثلاث جدهن جد" (... كامل عندي لكنه لم يطبع).

٥- الدراري الفاذة في الأحاديث المعلَّة والمتون الشاذة (متفرقات).

٦- حديث "لا يدخل الجنة عجوز" في الميزان (أيضًا بيّضت منه جزءًا، ثم توقفت، وقد حكمت بحُسنه).

٧- جزء فيه زيادة "ونستهديه" في خطبة الحاجة (جمعت طرقه، ولم يبيّض حتى الآن، وله ثلاثة أسانيد: أحدها معضل، والآخر ضعيف جدًا، والثالث منكر).

٨- مختصر فضل ذي الجلال بتقييد ما فات العلامة الألباني من الرجال (ما زال في مرحلة التبييض، وقد تجاوزت نصفه، وهو الجزء الأول منه بحول الله وقوته).

٩- الهجر الجميل لأوهام المؤمَّل بن إسماعيل أو (المعجم المعلل لشيوخ العدوي مؤمَّل) (بيّضت منه جزءًا، والباقي لم يبيّض).

- فضيلة الشيخ... هل يمكن أن تذكروا لنا أبرز مشايخكم؟

ليس لي مشايخ إلا الشيخ: محمد نجيب المطيعي (صاحب تكملة المجموع) رحمه الله، حيث كنت أحضر دروسه في مسجد الفتح بالمعادي، وكان الشيخ يثق فيّ، مع أنني لم أخالطه كثيرًا، ولم ألزمه.

وكان يقول في أثناء بعض دروسه: (لا أثق إلا في محمد عمرو ومحمد الصوَّاف) في جملة الطلبة الذين يحضرون له هذه المجالس.

ثم بعد مدة أعطاني الإجازة دون أن أطلبها منه، فقال: اذهب إلى الجزء الثالث عشر من المجموع، وخذ إجازتي (وهما إجازتان، إحداهما إلى النووي، والأخرى إلى البخاري إسناد المعَمَّرين).

– وبالنسبة للعلامة الشيخ الألباني رحمه الله؟

رأيته مرة واحدة حين كنت متجهًا إلى مسجد أنصار السنة بعابدين، فرأيت رجلاً أبيض مشربًا بحمرة، له لحية بيضاء، والناس مجتمعون حوله في غرفة صغيرة، وهو يتكلم عن حديث السبعين ألفًا، فقال: وفي رواية: (الذين لا يرقون ولا يسترقون) وزيادة لا يرقون شاذة، والشذوذ من سعيد بن منصور.

وكانت هذه هي المرة الأولى والأخيرة التي أرى فيها الشيخ، ولما رأيته كنت لا أعرفه، ثم بعد ذلك عرفت أن هذا هو الشيخ الألباني، وكان عمري حينها نحو ٢١ عامًا.

– نريد أن نتعرف على شخصية كان لها بالغ الأثر فيكم؟

الأخ "عبدالرحمن بن يوسف بن حسين" الذي كان سببًا في لفت نظري إلى قراءة كتب العقيدة السلفية كما ذكرت من قبل، وكذلك الأخ الحبيب "محمود نظمي" زميلي بالكلية.

– وبالنسبة للكتب التي أثرت فيكم؟

كتاب "نزهة المجالس ومنتخب النفائس" للشيخ عبدالرحمن الصفوري، وكتاب "الترغيب والترهيب" للحافظ المنذري رحمه الله، ضبط وشرح الشيخ محمد خليل هرّاس رحمه الله.

– فضيلة الشيخ... اذكر لنا شخصًا كنت تتمنى أن تلقاه ولم يقدَّر لك لقاؤه؟

الشيخ الألباني رحمه الله.

– لكنكم ذكرتم أنكم رأيتموه في مسجد أنصار السنة بعابدين؟

نعم، لكنني لم أكن أعرفه، ولم يكن لقاء علميًّا، فأنا أقصد كنت أتمنى لقاءه يعني مصاحبته والتعلم منه.

– لكن نريد شخصًا معاصرًا كنت تتمنى لقاءه، ولم تلقه مطلقًا؟

الشيخ المعلمي رحمه الله تعالى.

– فضيلة الشيخ... نريد أن تذكر لنا كتبًا تنصح طلاب علم الحديث بقراءتها؟

كتاب التنكيل للشيخ المعلمي رحمه الله.

وسلاسل الشيخ الألباني رحمه الله، وإرواء الغليل له، وباقي مؤلفات الشيخ رحمه الله.

– والكتب التي تنصح بعدم قراءتها؟

كتب "حسن السقاف" لغير المتمكن، أو لمِن يمكن أن يصدِّق ما بها من شبهات، ومثله "محمود سعيد ممدوح" ومن كان على شاكلتهما.

– وبالنسبة للمتمكن من طلاب العلم؟

يستطيع أن يرد هذه الشبهات بسهولة.

– هل هناك أشخاص معاصرون تنصح بالقراءة لهم؟

سأذكر في مجال علم الحديث فقط؟

– نعم، هذا ما نقصده.

أنصح بمؤلفات الشيخ حمزة المليباري حفظه الله، وكذلك مؤلفات تلميذي النجيب الشيخ طارق أبي معاذ.

– وبالنسبة للاستماع في علم الحديث أيضًا؟

أنصح بسماع الشيخين: عبدالله السعد، وسعد الحميد، وكذلك القراءة لهما، وللشيخ خالد الدريس، والدكتور اللاحم أيضًا، وإن كنت لم أقرأ لهم كثيرًا.

– فضيلة الشيخ... نريد أن تذكر لنا موقفًا من المواقف العامة التي لا تنسى؟

كان ذلك مع الشيخ المطيعي، حيث كان بيننا بعض مساجلات، أذكر منها أنه مرة قال: لا دليل أن الله – سبحانه وتعالى – يوصف بالقديم.

فانصرف ذهني إلى حديث: "**كان إذا دخل المسجد قال: أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم...**" الحديث في سنن أبي داود، فحاول الشيخ تأويل هذا الحديث.

ثم في يوم الجمعة التي تليها، قال الشيخ: يا شيخ عمرو، هذه سنن أبي داود، هات الحديث الذي نَخَعتَه.

وكان معه سنن أبي داود، وجلس على المنبر وأنا أمامه، ففتحت الكتاب واستخرجت له الحديث.

فقال الشيخ: ظننتك تقول دعاء دخول المنزل وليس دعاء دخول المسجد. لكن هذا الحديث أنا متوقف في ثبوته الآن.

– نريد أن تذكر لنا موقفًا رمضانيًا لا ينسى.

نعم، كان ذلك سنة ١٩٨٧م، عند ادعاء محاولة اغتيال حسن أبي باشا، وكنت أسكن في المعادي، فجاؤوا وأخذوني ولم يهنِّؤوني بالفول (طعام السحور) حين طُرِق الباب فجأة، وظللت معتقلاً (٣٤) يومًا، لكن الحمد لله كانت بردًا وسلامًا، ولم نتعرض فيها للأذى.

– في نهاية الحوار... تعطي نصيحة عامة للمسلمين.

أوصيهم ونفسي بتقوى الله في السر والعلن.

– ونصيحة خاصة لطلاب العلم.

أنصحهم بالصبر وعدم استعجال الرئاسة، يعني لا يستعجل أن يكون شيئًا، فأوصيهم بالصبر بصفة عامة، وعدم تحديد الوصول إلى مرتبة معينة في عدد معين من السنين.

– فضيلة الشيخ... أخيرًا كلمة تختم بها الحوار.

أسألكم أن تدعوا لي بالعافية، وأن يرفع الله عني البلاء.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يشفيكم من كل مرض، ويعافيكم من كل سوء، وأن يبارك لنا في عمركم وعلمكم.

جزاكم الله خيرًا.

عبدالحميد طهماز

(العالم الداعية)

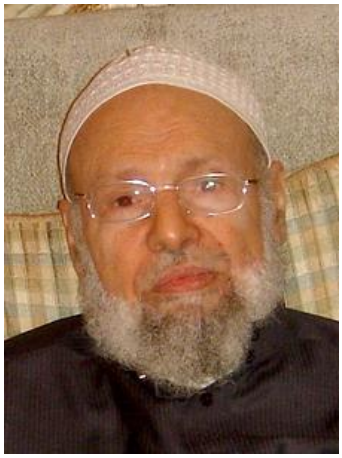

الترجمة:

من مدينة أبي الفداء حماة، وكان من خواصِّ عالمها الشيخ محمد الحامد رحمه الله، وينوب عنه في الخطب والدروس، كما تتلمذ على العلامة مصطفى السباعي، ودرَّس في المساجد، واعتقل، وعند أحداث حماة المؤلمة انتقل إلى بلاد الحرمين، ودرَّس في معهد لتدريب الخطباء والدعاة بمكة المكرمة، وأوفد إلى بلاد أجنبية للدعوة، وألَّف كتبًا عديدة، تدلُّ على علمٍ جمٍّ وقلم متمرِّس، منها: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، معاذ بن جبل إمام العلماء ومعلم الناس الخير، الفقه الحنفي في ثوبه الجديد، كما ألف كتابًا عن شيخه بعنوان: العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد رحمه الله تعالى. وتوفاه الله ليلة السبت ١٥ صفر عام ١٤٣١هـ، ٣٠ كانون الثاني ٢٠١٠م.

هذا اللقاء:

أجراه معه الفاضل النجيب فياض علي في العام الذي سبق وفاته (١٤٣٠هـ)، ولعله آخر لقاء معه، ونقلته من موقع (أحباب الكلتاوية).

نص الحوار

(سيرته أولاً)

بداية ... حبذا أن تعطونا ـ فضيلة الشيخ ـ نبذة عنكم وعن سيرتكم الذاتية والعلمية لو تكرمتم.

اسمه:اسمي: عبد الحميد محمود طهماز الحموي.

مولده : ولدت في مدينة حماة بسورية عام١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م ، ونشأت بها ، وتعلمت في مدارسها حتى نلت الشهادة الثانوية.

دراسته: ثم انتسبت إلى كلية الشريعة بجامعة دمشق، وتخرجت فيها مع الدفعة الثانية التي تخرجت من هذه الكلية عام ١٩٥٩ م.

شيوخه :لازمت الشيخ محمد الحامد رحمه الله ملازمة تامة ، لمدة سبع سنوات ، واستفدت من علمه الكثير.
ومن شيوخي في كلية الشريعة بدمشق: الدكتور مصطفى السباعي ، والأستاذ محمد المبارك ، والعلامة مصطفى الزرقا ، والدكتور محمد معروف الدواليبي ، والشيخ محمد المنتصر الكتاني ، والدكتور محمد فتحي الدريني ، والدكتور مصطفى الخن ، وغيرهم ... رحمهم الله تعالى.

أقرانه :ومن أقراني في كلية الشريعة: االشيخ الدكتور محمد هشام البرهاني ، والشيخ الدكتور محمد عجاج الخطيب ، والدكتور محب الدين أحمد أبو صالح ، والدكتور محمد فاروق بطل ، وغيرهم.

أعماله ووظائفه :عملت بعد تخرجي من كلية الشريعة ، مدرسًا لمادة التربية الإسلامية ، في ثانويات: أبي الفداء ، والسيدة عائشة ، وابن رشد ، بمدينة حماة.

بالإضافة إلى عملي خطيبًا ومدرسًا بجامع السلطان بحماة خلفًا للشيخ محمد الحامد رحمه الله ، لمدة ١٢ سنة.

ثم سافرت إلى الرياض عام ١٩٨٠ م ، وعملت معيدًا في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، لمدة سنتين ، وشاركت في إعداد المنهج الدراسي للطلاب.

ثم ذهبت إلى المدينة المنورة ، فدرست في المعهد العلمي لمدة سنتين ، ثم في المعهد العلمي في نجران ، لمدة سنتين أيضا ، ثم انتقلت إلى مكة المكرمة عام ١٩٨٨ م ، ودرست في المعهد العالي لإعداد الأئمة والدعاة ، التابع لرابطة العالم الإسلامي.

إلى أن أحلت إلى التقاعد ، أشرفت في خلال عملي على رسائل الماجستير لبعض الطلاب المتخرجين منه ، وبعد تقاعدي عن العمل في المعهد تفرّغت للبحث والتأليف . وأقمت في مكة المكرمة ثم في الرياض.

نشاطه ومشاركاته :أوفدتني رابطة العالم الإسلامي لعمل دورة علمية لبعض الطلاب في تايلاند.

وكذلك إلى جنيف بسويسرا ، لإلقاء خطب جمعة ودروس ومحاضرات في المركز الإسلامي ، (٣ مرات) ، ومرة إلى رومانيا وبولندا ، للإصلاح بين المسلمين هناك ، مع وفد شكلته الرابطة لذلك.

نشرت بعض المقالات عندما كنت أعمل في الرابطة.

حججت أول مرة في عام ١٩٦٩ م ، مع محسن الحامد ، ابن أخ للشيخ محمد الحامد.

ولم أكن أقدر على فراق شيخي محمد الحامد ، ثم حججت واعتمرت كثيرا والحمد لله ، بعد وفاة الشيخ محمد الحامد رحمه الله.

وأرى أن على من يريد تكرار الحج أن يحج حجة كاملة مستوفية للأركان والشروط والسنن،

ولا يتتبع الرخص والأقوال الضعيفة في أداء هذه الشعيرة . وإن كان عاجزا عن ذلك فإن الشرع لم يكلفه بتكرار الحج.

إجازاته :أجازني شيخي محمد الحامد ، بجميع الإجازات التي حصل عليها ، عن جميع شيوخه ، ولا سيما الشيخ محمد أبو النصر خلف الحمصي رحمهما الله تعالى.

قلت [فياض علي]: وقد أجازني الشيخ عبد الحميد طهماز ، بكل ما أجازه به شيخه العلامة محمد الحامد ، رحمهما الله تعالى ، وذلك بحضور ولده الدكتور محمود طهماز حفظه الله.

مؤلفاته:

إرشاد الناس إلى أحكام الحيض والنفاس.

الصحيح أن كل ما في البخاري صحيح.

نظرات في كتاب الحلال والحرام في الإسلام للدكتور يوسف القرضاوي.

العلامة المجاهد محمد الحامد.

ميزات الشريعة الإسلامية.

الفقه الحنفي في ثوبه الجديد (خمسة مجلدات).

السيدة عائشة أم المؤمنين وعالمة نساء الإسلام.

عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: الإمام البحر عالم عصره.

أنس بن مالك الخادم الأمين والمحب العظيم.

السيدة خديجة أم المؤمنين وسباقة الخلق إلى الإسلام.

أبو موسى الأشعري الصحابي العالم المجاهد.

معاذ بن جبل إمام العلماء ومعلم الناس الخير.

أمهات الأنبياء.

النور والسراج المنير للرد على من يقول بأن الذات النبوية الشريفة مخلوقة من نور .

الأنساب والأولاد.

حقوق الإنسان في الإسلام.

فتيان أسلم ... قصص من السيرة النبوية.

فرسان مخزوم ... قصص من السيرة النبوية.

حياتنا والموعد المجهول.

الأربعون العلمية: صور من الإعجاز العلمي في السنة النبوية.

السنن الإلهية في الخلق.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ... لم يطبع بعد.

أحكام الصيام ، طبع مستقلا ، ثم ضم إلى كتاب: الفقه الحنفي في ثوبه الجديد.

يا بني إسرائيل.

مذكرات في العقائد والمذاهب المعاصرة والفرق والنصرانية والأديان ، وأصول الخطابة ، كان قد درسها في معهد إعداد الدعاة ... كما درس الحديث والفقه والتفسير.

وفاته :انتقل فضيلة العالم الصالح الفقيه المفسر الشيخ عبد الحميد طهماز الحموي إلى رحمة الله تعالى مساء يوم الجمعة ١٥ صفر الخير ١٤٣١ هـ / الموافق ٣٠ / ١ / ٢٠١٠ م في مدينة الرياض ، عن عمر يناهز الثالثة والسبعين عاما. رحمه الله تعالى وجزاه عما قدم لدينه وأمته خير الجزاء.

(نص المقابلة)

١. من أهم شيوخكم الذين تأثرتم بهم وأفدتم منهم ؟

الشيخ محمد الحامد رحمه الله تعالى ، وقد لازمته ملازمة تامة ، لمدة سبع سنوات ، وما كنت أستطيع مفارقته.

٢. ما أثر العلامة الفقيه الشيخ محمد الحامد رحمه الله تعالى ، فيكم ، وفي مدينة حماة ؟

له أثر طيب وكبير جدا ... فهو شيخي وشيخ مدينة حماة.

٣. ما أهم مقومات وصفات الداعية، وما رأيكم في الدعاة الجدد ؟

أهم صفات الداعية هي الإخلاص لله تعالى، يريد بدعوته وجه الله سبحانه ، وهذا سر نجاحه وتوفيقه في دعوته ، كما ينبغي على الداعية أن يكون على علم وبينة ، متحليًا بالأخلاق النبوية الشريفة ، عاملاً بما يدعو الناس إليه .

٤. ما وصيتكم ونصيحتكم للدعاة وطلاب العلم ؟

نسأل الله تعالى أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، والدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة.

٥. لكم كتاب قيم بعنوان: الفقه الحنفي في ثوبه الجديد، ما الجديد الذي أضفتموه فيه ؟

الفقه الحنفي ـ فقه العبادات ـ ألفته في حماة ، في الدروس اليومية ، وهو مأخوذ من كتاب: الهدية العلائية ، مع إضافات وتعليقات للشيخ محمد الحامد ، وتعليقات خاصة لي ، وعملت منها مسودة الفقه الحنفي في ثوبه الجديد ، دونت فيه أهم مسائل الفقه الحنفي بأسلوب سهل وواضح ، مع ذكر بعض أدلة المذهب.

٦. ما رأيكم في هذه العبارة: من مسَّ امرأة بشهوة، فقد حرم عليه أصولها وفروعها ؟

هذا موجود في كتب الفقه الحنفي، لأن المس سبب داع إلى الجماع ، فأقاموا السبب مقام المسبب في موضع الاحتياط.

٧. وكذلك بنت الزنا، هل يجوز أن يتزوج بها أبوها من الزنا ؟

لا يجوز، لأنها أنثى مخلوقة من مائه حقيقة وإن كانت لا تنسب إليه شرعًا ، لما فيه من إشاعة الفاحشة.

٨. هل يجوز للحائض قراءة القرآن الكريم، والطواف حول الكعبة المشرفة ؟

الطواف لا يجوز، وأجاز المالكية لها القراءة.

٩. ماذا عن المني ، هل هو طاهر أم نجس ، مع أنه أصل الإنسان ؟

في المذهب الحنفي: المني نجس، إذا جف يطهر بالفرك ، والأصل عند الحنفية أن كل ما يخرج من بدن الإنسان مما يجب بخروجه الوضوء أو الغسل فهو نجس ، وكونه أصل الآدمي لا ينفي أن يكون نجسًا ، لأنه إذا استحال إلى إنسان فإنه يطهر، لأن الاستحالة مطهرة عندهم.

١٠. ما حكم القراءة خلف الإمام في الصلاة ؟

قراءة الإمام قراءة للمأموم ... وأنا أقرأ في السرية.

١١. هل القهقهة في الصلاة تبطل الوضوء ؟

تبطل الوضوء والصلاة عند الحنفية ، أخذًا بالحديث الثابت عندهم، وإن كان ضعيفًا عند بعض المحدثين .

١٢. ما حكم الترتيب في الوضوء عند السادة الحنفية ؟

الترتيب ليس واجبًا من واجبات الوضوء عند الأحناف.

١٣. هل يجوز إعطاء الذمي الفقير من الصدقة، أو صدقة الفطر ؟

أجاز أبو حنيفة رحمه الله ذلك.

١٤. هل يجوز للمرأة أن تزوج نفسها، وأن تشترط على زوجها أن تكون العصمة بيدها، أو عدم الزواج عليها ، أو عدم السفر دون أن يصحبها معه ؟

كل ذلك يجوز، إذا كانت بالغة عاقلة راشدة ... والمسلمون عند شروطهم.

١٥. ما أهم المسائل التي خالف فيها الصاحبان شيخهما أبا حنيفة النعمان رحمهم الله تعالى ؟

خالف الصاحبان أبا حنيفة في مسائل كثيرة، وعلى قولهما الفتوى في كثير من هذه المسائل عند المحققين والمتأخرين من علماء المذهب.

١٦. هل يصح ما نسب إلى الإمام أبي حنيفة من القول بجواز قراءة الفاتحة في الصلاة باللغة الفارسية، وهل تراجع عن ذلك أم لم يتراجع ؟

أجاز أبو حنيفة القراءة بالفارسية، و لا أدري إن كان تراجع عن ذلك.

١٧. وكذلك القول بجواز أخذ الربا من الكفار؟

يجوز ذلك لمن كان مقيمًا في بلاد الحرب.

١٨. ما ردكم على من يتهم أبا حنيفة بالإرجاء، وقلة البضاعة في الحديث الشريف ؟

هذا ليس صحيحًا ... والإرجاء إرجاء ... ليس هناك إرجاء سنة.

١٩. ما قولكم فيمن يثير شبهات حول السنة بشكل عام، وصحيح البخاري رحمه الله، وأبي هريرة رضي الله عنه بشكل خاص ؟

هؤلاء أعداء للإسلام، يريدون أن ينقضوا الإسلام بنقض أصوله التي بني عليها، والتشكيك بالسنة هو تعطيل لنصوص القرآن الكريم ولأحكامه ، لأنه لا يمكن فهم القرآن الكريم وتطبيق أحكامه بمعزل عن السنة المطهرة، وقد رددت عليهم منذ سنوات طويلة في رسالة لي بعنوان: الصحيح أن كل ما في البخاري صحيح.

٢٠. ما أهم الآراء والفتاوى التي انفردت وتفردت بها السيدة عائشة رضي الله عنها؟

السيدة عائشة رضي الله عنها من كبار علماء الصحابة، وكان الأكابر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يسألونها ويستفتونها، وقد انفردت ببعض الآراء الفقهية التي خالفت بها

جمهور الصحابة، كقولها بجواز التنفل بركعتين بعد صلاة العصر، وجواز صيام أيام التشريق، وحرمة المصاهرة في الرضاع تثبت مهما كان سن الرضيع، يوجد كتاب للإمام الزركشي رحمه الله تعالى جمع فيه المسائل التي استدركتها السيدة عائشة رضي الله عنها على الصحابة رضي الله عنهم.

٢١- ما قولكم فيمن يثير حادثة الإفك، التي اتهمت به السيدة الطاهرة المصون الصديقة بنت الصديق عائشة رضي الله عنهما، وبرأها الله تعالى من فوق سبع سموات، في عشر آيات من سورة النور في محكم كتابه العزيز ؟

من يشكك في طهارة السيدة عائشة رضي الله عنها، أو يطعن في أي واحدة من أمهات المؤمنين، فقد حكم عليه العلماء بالكفر، لأنه مكذب لصريح القرآن الكريم.

٢٢. ما أهم اجتهادات عبدالله بن عباس رضي الله عنهما؟

عبدالله بن عباس رضي الله عنهما كان من كبار علماء الصحابة في الفقه والتفسير، ببركة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم له: "**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**". وكان عمر رضي الله عنه في أيام خلافته يدنيه ويستشيره في المعضلات رغم حداثة سنه، ولا يكاد يخلو باب من أبواب الفقه من اجتهاد لابن عباس رضي الله عنهما في بعض مسائله، وقد نسب إلى أبو بكر محمد بن موسى أنه جمع فتاوى ابن عباس في عشرين جزءًا.

٢٣. ما أهم المسائل التي رددتم عليها في كتاب "الحلال والحرام" للدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله، وهل تراجع عنها؟

الدكتور القرضاوي خرج في بعض المسائل عن أقوال أئمة السلف إلى أقوال شاذة أو ضعيفة الثبوت أو منحولة مدسوسة على قائلها، وليس عليها دليل يعتد به ، كقوله بجواز أكل ذبائح أهل الكتاب حتى ولو لم يذكوها الذكاة الشرعية، والقول بتحليل الغناء والموسيقى، وليته وقف عند المبدأ الذي قرره في أول الكتاب أن الحلال ما أحله الله والحرام ما حرمه الله، فلا يكون منه التفات إلى مثل هذه الآراء الشاذة.

وقد ذكرتها في كتاب: نظرات في كتاب الحلال والحرام في الإسلام ... ولم يتراجع عنها.

٢٤. ما أهم المسائل التي رددتم عليها في كتاب "كبرى اليقينيات الكونية" للدكتور البوطي ؟

ليس لي أي رد على الدكتور البوطي، ولكني عندما قرأت الكتاب كتبت بعض الملاحظات عليه وأرسلتها له برسالة خطية، وقد وافقني الدكتور محمد سعيد في أكثرها، وكانت هذه الرسالة بداية تعارف وصداقة بيننا .

٢٥. ماذا عن لقائكم بالشيخ الألباني رحمه الله ؟

اجتمعت مع الشيخ الألباني في حماة للتعارف، وطرحت عليه تخريجه لأحاديث كتاب شرح العقيدة الطحاوية المنسوب لابن أبي العز الحنفي، مع أن فيه بعض الأخطاء في العقيدة، ونبهت الشيخ الألباني عليها، فأنكر الشيخ الألباني رحمه الله أن يكون ممن يقولون بها.

٢٦. وما أهم الأخطاء التي في شرح العقيدة الطحاوية ؟

وأخطر قضية في هذا الكتاب هي القول بقدم الأنواع، وهي من القضايا التي زلَّ بها بعض العلماء كابن تيمية رحمه الله، وغيره، متأثرين بالفلاسفة الذين يقولون بقدم العالم، وقد رد على هذه العقيدة كثير من العلماء .

٢٧. هل كتابكم: النور والسراج المنير، هو رد على الدكتور محمد بن علوي المالكي رحمه الله، في حديث: نور نبيك يا جابر ؟

النور والسراج المنير ليس ردًا على الدكتور محمد علوي المالكي رحمه الله بالذات، وإنما هناك اعتقاد عند بعض الصوفية منذ زمن بعيد بأن ذات النبي صلى الله عليه وسلم المادية مخلوقة من نور، ويستدلون بحديث جابر هذا، فبينت في هذه الرسالة العقيدة الصحيحة في هذا الجانب الذي يتصل بالنبوات. كما رددت فيها على القائلين بأن ذات الله تعالى من نور، وبينت أن النور ما هو إلا مخلوق من مخلوقاته سبحانه وتعالى.

٢٨. لكم كتاب عن ميزات الشريعة الإسلامية، فما أهم ما تميزت به الشريعة الإسلامية عن غيرها من الشرائع الأخرى ؟

الشريعة الإسلامية شريعة ربانية ثابتة في مصادرها ومبادئها، مرنة في أحكامها، قائمة على العدل والإحسان والمساواة، كاملة وشاملة لجميع جوانب الحياة، في واقعية ووسطية واعتدال.

٢٩. ما ضوابط التفسير العلمي للقرآن الكريم؟

يجوز تفسير القرآن الكريم بالحقائق العلمية الثابتة والقطعية، والتي تحتملها اللغة العربية وقواعدها، ولا تعارض ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير الآية، وينبغي أن يذكر هذا التفسير على أنه أحد الوجوه المحتملة في تفسير الآية دون الجزم بأنه المعنى المقصود أو الوحيد .

٣٠. ما المقصود بالتفسير الموضوعي للقرآن الكريم ... وما أهميته ؟

التفسير الموضوعي الذي كتبته يقوم على إبراز الوحدة الموضوعية لكل سورة من القرآن الكريم من خلال تفسيرها، حيث قمت بتحديد الموضوع الأساسي للسورة، وإبراز عناصر بحث هذه السورة للموضوع، وتقسيمها وتبويبها، ودراسة علاقة كل مقطع بهذا الموضوع، بدءًا بمقدمة السورة وانتهاء بخاتمتها. وهو يقوم على فكرة أن لكل سورة في القرآن الكريم موضوعًا رئيسيًا، ترمي إلى إيضاحه وبيانه وتفصيل جانبه وأبعاده، وتشير إليه السورة غالبا في بدايتها، وتدور في فلك هذا الموضوع جميع المواضيع التي تطرحها آياتها، وتبرز هذه الطريقة في التفسير وجهًا جديدًا من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، كما تساعد على تدبره وفهمه.

نشكر لكم ـ شيخنا الفاضل ـ طيب استجابتكم ، وتفضلكم بالإجابة عن هذه الأسئلة الفقهية والعقدية، وجزاكم الله خيرا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عبدالصبور شاهين

(العالم اللغوي الداعية)

الترجمة:

من مواليد القاهرة، حصل على الدكتوراه من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، ثم عمل أستاذًا بها، وكان خبيرًا بمجمع اللغة العربية، وحاضرًا في الساحة الفكرية والإعلامية، أحد أبرز وجوه الفكر الإسلامي والدعوة في مصر والعالم الإسلامي، وساهم في عقد العديد من اللقاءات والندوات والمؤتمرات الفكرية والحيوية، وأترك بقية ترجمته لما أورده محاوره في جمل معبِّرة تفي بذلك. وقد توفي يوم الأحد ١٧ شوال ١٤٣١هـ، ٢٦ سبتمبر ٢٠١٠م.

هذا اللقاء:

حاوره الأستاذ عامر أحمد عامر، ونشر في مجلة (المجتمع) العدد (١٩٢٢) بتاريخ ٩ أكتوبر، أي بعد وفاته بشهر كامل، وذكر أنه أجرى هذا اللقاء معه «قبل وفاته بقليل».

قال محاوره في تقديمه للقراء قبل إيراد نصِّ الحوار معه:

رحل عن عالمنا مؤخَّراً المفكّر الإسلامي الكبير د.عبدالصبور شاهين، وهو اسم لامع في سماء الفكر الإسلامي واللغة العربية، وله إسهاماته الكثيرة فيهما وفي غيرهما، قضى حيناً من الدهر مدافعاً عن لغة القرآن الكريم، وذاباً عن الإسلام في وجه كل حاقد أو جاحد أو جاهل، واعتلى المنابر في سن مبكّرة حتى غدا من أعلام الخطابة البارزين، وكان أبرز المنابر التي اعتلاها منبر مسجد «عمرو بن العاص» بمدينة القاهرة، وهو أقدم مسجد في أفريقيا كلها؛ حيث بدأ من فوقه رحلة تفسير كتاب الله عز وجل، وعمل على إتمامها من فوق منبر مسجده بحي الهرم في مصر، وقد أثَّر – من خلال عمله أستاذاً بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة – في أفكار وتوجّهات كثير من الطلاب من مختلف أنحاء العالم، داعياً إلى الوسطية التي هي نهج الإسلام. وأثرى – يرحمه الله – المكتبة العربية بما يقرب من سبعين مؤلفاً، في اللغة والفكر الإسلامي المستنير وبعض الترجمات التي قام بها، فقد كان مجيداً للغات عدّة غير العربية، على رأسها الفرنسية، وسيرته الذاتية ممتلئة بما تعجز عن الإلمام به هذه الكلمات القليلة.. وقد كان لنا معه هذا اللقاء قبل وفاته بقليل:

نص الحوار

< في ظل الهجوم المتلاحق على الإسلام، ما السبيل إلى الوقوف في وجه المعتدين والمهاجمين، لاسيما أن بعض هذه الهجمات للأسف تأتي من داخل صفوف المسلمين؟

– لا بد أن نقف موقف المؤسسة وليس موقفاً فردياً، فتقف المؤسسات الإسلامية (الأزهر مثلاً) موقفاً يشرفها ويدافع عن الإسلام، فحينما تهاجم الدنمارك – كدولة – الإسلام وتسبه وتسيء إلى نبيه، ولا توجد دولة أخرى ترد عليها، فهذا دليل على الفوضى، وأن الإسلام ليس له من يدافع عنه، وهذه هي المشكلة.

< البعض يرى أنه لا داعي للرد على هؤلاء، بدعوى أن النبي صلى الله عليه وسلم أوذي فصبر، وعلينا أن نصبر نحن كصبره على أذاه، فقد صبر هو من قبل، ما تعليقكم على هذا الكلام؟

– هذا كلام المتهرّبين، فالواجب أن تدافع عن دينك، لأننا في عالم إن لم تدافع سيأكلك وسيقضي عليك، فلابد أن يكون موقفك إيجابياً، تدافع عن الإسلام بكل ما تستطيع، لكي نُشعر هؤلاء بأن الإسلام له من يدافع عنه، والغريب أننا بدلاً من أن نجد في صفوف الأمة الإسلامية مدافعين عن الدين، خرج علينا من المحسوبين عليها للأسف من يقول: إن القرآن صنعة بشرية، فبأي وصف يمكن أن نصف هؤلاء؟! وأي رد يمكن أن نرد به عليهم؟!

< بصفتي فرداً من أفراد الأمة الإسلامية، ماذا يمكنني أن أقدم لأمتي ولديني في وجه هؤلاء المعتدين؟

– لابد للمسلمين من تجمّع يمثلهم؛ حيث لا تجدي مواقف الأفراد، فإذا استطعنا أن نوحد جبهتنا، وأن نجمع إخواننا حولنا، وأن نقف سداً منيعاً في وجه هؤلاء المجرمين فسنردعهم عن الهجوم على الإسلام وسنخيفهم، لكن إذا كان الساب يسب ونحن نقول له: «الله يسامحك»، «جزاك الشيطان خيراً»، فماذا ننتظر منه؟!

وحدة الأمة

تركزون في خطابكم على وحدة الأمة، فكيف ترون السبيل إلى هذه الوحدة؟

– كتبتُ أخيراً كتيباً تحت عنوان «السُّنة والشيعة أمة واحدة»، لأنني أرى أنه ليس هناك طائفة اسمها سُنة ولا طائفة اسمها شيعة، إنما نحن أمة واحدة كما قال الله تبارك وتعالى: {إِنَّ هَـذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}[سورة الأنبياء: ٩٢]، أما الاختلافات العقدية بين السُّنة والشيعة فإنها تذوب عندما نؤمن بالوحدة.

لو قلنا: دعائم وحدة الصف مع اختلاف وجهات النظر بين الحركات والجماعات الإسلامية.. فماذا يمكننا أن نكتب تحت هذا العنوان؟

– الدعائم هي الرجوع إلى كتاب الله الذي يقول: {وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [سورة الأنفال: ٤٦]، الدعائم هي التي تقول: {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [سورة الأنفال: ٦٣]، الدعائم هي التي تقول: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ} [سورة آل عمران: ١٠٣]. هذه هي الدعائم.. فهل نستطيع أن نجد دعائم

أفضل من هذه؟ مستحيل.

< كيف نترجم هذه الدعائم على أرض الواقع؟

– أن نمسك عن استخدام الهجاء والسب والتكفير في سبيل أن نكون طوائف، فنحن لسنا طوائف، إنما أمة واحدة، وفي كتابي الذي أشرت إليه من قبل مزيد من التفصيل حول هذا الموضوع.

الخطاب الديني

< تتعالى أصوات بين حين وآخر منادية بتجديد الخطاب الديني، فكيف يراه د. عبدالصبور شاهين؟

– نحن لا نستطيع أن نتحدث عن الخطاب الديني مجرداً من عرضه على الممارسة والمجتمع، فالخطاب الديني ليس مجرد عنوان، إنما هو واقع، فعلينا أن نحدد كيف يكون الخطاب الديني؟ ومَن الذين سيُخاطَبون بهذا الخطاب؟ هل هم المسلمون أم غير المسلمين؟ لابد من التحديد، لأن الكثير لا يدركون البعد الأدبي لكلمة الخطاب الديني ولا يفهمونها، فلابد من تحديد الإطار الأدبي والإطار الديني حتى نفهم أولاً المصطلح ثم نتكلم فيه، والموضوع يحتاج إلى تفكير وترتيب عناصر، حتى لا تكون المسألة ارتجالاً يقال فيه أي كلام، فالموضوع ليس هيناً. والمهم أن يكتب في الموضوع المؤمنون بالدين لا المتربّحون من ورائه، صحيح أن الخطاب الديني الآن ليس قائماً بما هو منوط به، لكن لابد أن يوكل الأمر إلى أهله وتكثر الكتابات في هذا الاتجاه حتى يصح أن نقول: إن هناك شيئاً اسمه تجديد الخطاب الديني.

< لا يخفى على ناظر في أخلاق مجتمعنا وأمتنا الآن ما تعانيه من تطرف فكري وأخلاقي.. برأيكم ما أسباب هذا التطرف؟ وكيف يُعالج؟

– المهم أيضاً أن نحدد أولاً معنى هذا التطرف وكيفية المعالجة، وهل يراد بالمعالجة أن نقول كلاماً وعظياً يمكن أن يُنسب إلى الدين وليس هو الخطاب الأخلاقي وإنما مجرد كلام؟ والكلام عن هذا لا يكون بمجرد سؤال يُطرح ويُرد عليه، بل يحتاج الأمر إلى المزيد من

الدراسة والتأمل والتفكير والبحث، وكلما مضى الزمان ظهرت لنا رؤوس موضوعات يمكن أن تمثل اتجاهاً معيناً نحب أن نركز عليه وننطلق منه، وكل ذلك له أبعاده الفكرية وإسهاماته الفكرية أيضاً، وعلينا تحديد المفاهيم أولاً ثم التحدث حولها.

< بعد رحلة حافلة بالعطاء وإثراء الساحة اللغوية والفكرية.. كيف يرى د. عبدالصبور شاهين نفسه؟

– أحاول أن أكون مفيداً من الناحية الإسلامية، ولا أستطيع أن أقول إنني مفكر إسلامي كما يقولون، غير أنني والحمد لله سعيد بما وصلت إليه من تفسير للقرآن على المنبر، حيث فسرت ٢٢ جزءاً، وباقي ٨ أجزاء، أسأل الله أن يتمه على خير، وابني يقوم على جمع هذه الخطب في كتب.

واجب مقدَّس

< كيف ترون اللغة العربية في وسائل الإعلام؟

– اللغة العربية مصونة ومحفوظة، وأعتقد أن الذين يحرسون العربية كثيرون، ويشعرون بالواجب الذي عليهم، ولا يفرِّطون في هذا الواجب أبداً، فحراسة اللغة العربية أمر مقدس، ولا نستطيع أبداً أن نغفل عنه، والمسابقات التي نسمع عنها في الفضائيات وغيرها لا شك أن لها تأثيرها في الاهتمام باللغة، سواء كانت مسابقات شعرية أو غير ذلك.

< بم توصي القائمين على أمر اللغة العربية في الجرائد والمجلات وغيرهما من وسائل الإعلام؟

– بأن يصروا على التزام الفصحى مهما تكن غريبة، حتى يمكن أن نقيم لها بناء ضخماً إن شاء الله، ونستطيع أن نقول: إننا نملك لغة معبرة، وألا يستسلموا، فاللغة العربية لغتنا، ونحن مصرون على التزامها، ولابد من عودة الفصحى بعد أن أُهملت، وإحياء الإحساس بما علينا من أمانة تجاهها.

< كيف يمكننا أن نربّي أبناءنا على الفصحى؟

– العزلة اللغوية لا فائدة منها، ولابد من أن نعلِّم أطفالنا طريقة النطق عن طريق تحفيظهم نصَّ القرآن، فلا شك أن حفظ الأطفال القرآن هو الحارس الأول لتنشئتهم على سَنن اللغة الفصحى، فإذا قرأ الأطفال الفصحى ونطقوها فإنه يمكن أن يكون لها رصيد عندهم.

< أقامت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت مشروعاً يُسمّى «علماء المستقبل» يقوم على اختيار مجموعة من الأطفال وفق شروط محددة، وتهيئتهم وتربيتهم دينياً ولغوياً وفكرياً ليقودوا الأمة في المستقبل، فما رأيكم في هذا المشروع؟

– هذا المشروع يمكن أن يسفر عن رصيد كبير يخدم اللغة الفصحى والدين أيضاً ويفيدهما أكبر فائدة، وأوصي القائمين عليه بألا يفرطوا فيه مهما تكن الصعوبات، فنحن نشأنا على الفصحى لأنه لم يكن من سبيل إلا هي، لكن الملهيات أمام الطفل الآن كثيرة، فليكن اجتهادنا في تثبيت الطفل على المطالبة بالفصحى.

علي جريشة

(الداعية الشجاع)

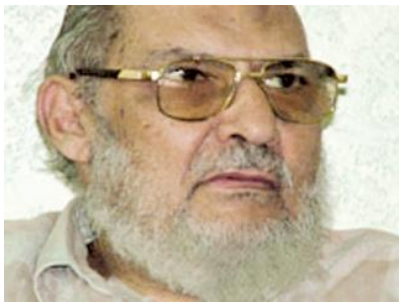

الترجمة:

من قرى محافظة الشرقية بمصر. تعرَّف على جماعة الإخوان المسلمين وهو في العاشرة من عمره، وحصل على إجازة في الحقوق من جامعة القاهرة، وترقى في المناصب الحقوقية حتى كان مستشارًا، وقد عمل أربع سنوات في مجلس الدولة، واعتقل، ولبث في السجن الحربي ثماني سنوات، سافر بعدها إلى المدينة المنورة ليدرِّس بالجامعة الإسلامية، وألقى أول خطبة باللغة الإنجليزية في أول جمعة من شهر رمضان بمسجد الأمم المتحدة في نيويورك، وكتاباته متميزة جدًا، حماسية وقوية إلى أبعد حدّ، وكأنها صوت القعقاع في معارك الإسلام، لشدَّة غيرته على شريعة الإسلام، وفي أيامه الأخيرة قامت الثورة الشعبية ضدَّ الرئيس حسني مبارك وأطاحت به، وتوفي قبل العودة التي كان يجهِّز لها، في يوم الأربعاء ٢٣ جمادى الأولى ١٤٣٢هـ، ٢٧ أبريل ٢٠١١م.

هذا اللقاء:

أجري هذا الحوار معه عبر الشبكة العالمية للمعلومات من قبل الأستاذ أسامة الهتيمي قُبيل وفاته، ونشره في يوم وفاته في موقع (علامات) بتاريخ ٢٧ نيسان (أبريل) ٢٠١١م، ثم نشر في مواقع أخرى.

يقول محاوره:

أعددت الأسئلة وتواصلت مع نجله الزميل الإعلامي هاني علي جريشة الذي رحب جدًا بإجراء الحوار، وتلقى عبر الإيميل أسئلته التي أرسلها بدوره للشيخ الوالد، الذي قام بدوره بإرسال إجاباتها لي عبر إيميله الخاص.

غير أنه لم تمر أربع وعشرون ساعة على تلقي إجابات فضيلته حتى هاتفني أحد الزملاء ليخبرني بأن الدكتور جريشة فارق الحياة، وأنه الآن في ذمة الله، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وإزاء هذا فإن هذا الحوار مع قلة كلماته آخرُ كلمات فضيلته ...

نص الحوار

***سيادة المستشار.. ظللتم وإخوانكم لعقود طويلة تنتظرون لحظة التغيير في مصر والعالم العربي .. هل يمكن أن تُقيِّموا لنا الأوضاع التي تعيشها البلدان العربية في الوقت الحالي؟**

مَنَّ الله على بعض البلاد العربية بالتغيير .. وبعضها في الطريق إليه، وبعض ثالث يسارع فيه الحكام إلى شيء منه، نرجو أن يوفق الله الجميع، بيد أني أحذر هؤلاء وأولئك من الذين يحاولون القفز لمصالح خاصة، أو خدمة وعمالة لجهات أجنبية.

***بعد مرور أكثر من شهرين على انتصار ثورتي مصر وتونس .. هل ترون أن مسار الثورتين يسير في الاتجاه الصحيح؟ وما هي برأيكم الخطوات التي يجب أن تتخذ من أجل ضمان نجاح الثورتين؟**

الثورتان في مصر وتونس .. تحاولان تَلمس الطريق الصحيح، نتمنى لهم مزيدًا من التوفيق، ولضمان نجاح الثورتين ينبغي أن يكون على الثغرات الكبيرة من يُطمأن إليهم، من خلال المعرفه الدقيقة بأشخاصهم، ومن خلال تاريخهم.

***تعيش بعض البلدان العربية حالة من الغليان الثوري، منها ليبيا واليمن وسوريا .. هل تعتقدون أن ثورات شعوب هذه البلدان يمكن أن تحقق ما حققته ثورتي مصر وتونس؟**

البلاد التي تعيش غليانًا ثوريًا – كما تعبر – تحتاج إلى دعاء أبنائها، ودعائنا معهم كذلك،

كما تحتاج إلى تخليص صفوفها ممن قد يكونون سببًا في تأخير النصر، وتحتاج كذلك إلى وحدة الصف، ووحدة الكلمة، وإن تحقق لها ذلك فسوف تصل إلى ما تصبوا إليه {ذَلِكَ فَضْل اللَّه يُؤْتِيه مَنْ يَشَاء}.

***ما إن أعلن الرئيس المخلوع مبارك تنحيه عن الحكم حتى تصدر الإسلاميون المشهد السياسي في مصر..كيف تنظرون إلى هذه الحالة؟**

أهل مكة أدرى بدروبها، وكنت أفضل التروي وعدم الاستعجال، لكن قدَّر الله وما شاء فعل، والخيرة فيما اختاره الله.

***تحاول بعض التيارات والقوى السياسية إثارة حالة من القلق تجاه الإسلاميين .. برأيك ما مغزى ذلك؟ وهل ترون أنه قلق طبيعي أم مبالغ فيه؟ وما سبل تعاطي الحركة الإسلامية مع هذا الوضع؟**

بحمد الله وفضله استطاع (الإسلاميون) في ميدان التحرير أن يثبتوا لسائر التيارات أصالتهم، وعدم أنانيتهم، بما أثار إعجاب الكثيرين حتى في الخارج، فالقلق منهم بعد هذه التجربة مبالغ فيه، بل لا محلَّ له، ولعله – إن وجد – من آثار مكر الليل والنهار من القوى الحاقدة، أو بقايا الحزب الفاشل والعهد البائد.

***تأزمت العلاقة بين اتجاهات الحركة الإسلامية في فترة من الفترات، هل ترون أن هذه العلاقة في اتجاهها للتحسن؟**

بمشيئة الله، ثم بحكمة القائمين على هذه الاتجاهات، ومراعاتهم لما يتربص به أعداؤهم.

***من خلال خبرتكم الطويلة مع العمل الدعوي، ما هي خارطة الطريق التي يجب أن تتبعها الحركة الإسلامية في المرحلة المقبل؟**

بالنسبة لما ينبغي أن تتبعه الحركة الإسلامية في المرحلة المقبلة، أُفضل أن يجتمع لذلك القيادات وذوو الرأي .. لأن الأمر جدُّ خطير .. ولا أود أن أعطي فيه آراء فردية.

***خرجت جماعة الإخوان من الثورة بمكاسب كثيرة، أقلها أنها حسمت مسألة الشرعية، فكيف ترى وجود الإخوان وتحركهم بعد نجاح الثورة؟.**

لا شك أن الاعتراف الكريم الذي تم لجماعة الإخوان منذ أن استدعاهم نائب رئيس الجمهورية السابق عمر سليمان، هو في نظري هدية ربانية على صبرهم الطويل الجميل ..

أما ما يفعلون في المرحلة القادمة ...فينبغي في ذلك كذلك تبادل الرأي بين القيادات ..وبين القواعد كذلك .. وصولاً إلى الرأي السديد بإذن الله.

***تشهد جماعة الإخوان حالة من الخلافات في وجهات النظر بين بعض الشباب وقيادات الجماعة.. ما تقييمك لهذا الخلاف .. وكيف يمكن تجاوز ذلك؟**

بالنسبة لظاهرة الاختلاف .. فهي ظاهرة طبيعية وصحية {**وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ *إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ**} [سورة هود: ١١٨-١١٩] لكنها تصير حالة مرَضية إذا وصلت إلى إعجاب كل ذي رأي برأيه، و لها ضابطان، أو علاجان:

أ – [أن] يوقر الصغير الكبير، وأن يعطف الكبير على الصغير.

ب – بين الكبار هناك أدب جميل قدمه لنا الأئمة وهم من السلف الصالح، فقد كان الإمام يقول: رأيي خطأ يحتمل الصواب، ورأي غيري صواب يحتمل الخطأ)

كل ذلك ما دمنا في دائرة الاختلاف الذي لا يوجد معه نص قطعي، فإذا وجد النص القطعي فينبغي على الجميع أن ينصاع له، وإلا كان الأمر (خلافًا لا اختلافًا).

***في أعقاب انتصار الثورة بدأ يعود لكل من مصر وتونس عدد من رجالات الدعوة الذين اضطروا لمغادرة البلاد.. ماذا يعتزم المستشار جريشة بهذا الشأن؟**

بمشيئة الله أنوي الحضور قريبا (بس إياك تتحملوني) !

***المستشار علي جريشة.. تعرض للاعتقال سنوات، وغاب عن البلاد لعقود .. ما شعوركم الآن وقد تحقق ما حلمتم به؟**

شعور الحمد لله والشكر له، مع الشعور بأن ما وقع كان مكافأة ربانية..على الصبر والاحتساب.

***صرحتم بأنكم تتمنون ترشح الدكتور أحمد كمال أبو المجد لمنصب الرئاسة في مصر .. أولاً: ما هي دوافعكم لهذا التمنى؟.. ثانيًا: لماذا لا تفكرون أنتم في الترشح .. وثالثًا:**

ماذا لو ترشح للرئاسة إسلامي من غير الإخوان؟

أ- أولاً: دوافع ترشيحي للأستاذ الدكتور أحمد كمال أبو المجد أنه غير محسوب على اتجاه محدد، فهو أقرب للحيدة .. والحيدة مطلوبة في الفترة القادمة.

وثانيًا: لأنه عمل (وزيرًا) مرتين..فتكونت عنده (خلفية وخبرة سياسية كافية).

وثالثًا: لأني أعلم فيه كثيرًا من الأخلاق والمواصفات التي تؤهله لهذا المنصب في العهد الجديد، ربما لا يعرفها كثير غيري.

ب – بالنسبة لترشيحي لنفسي .. لا أوافق .. لأني لا أراني صالحًا لهذه المسؤولية، وصدق من قال: (رحم الله امرءًا عرف قدر نفسه)، وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال لأبي ذر "**إنها الأمانة، وإنها يومَ القيامةِ خزي وندامة**"(٩).

جـ – وبالنسبة لترشيح إسلامي من غير الإخوان .. لا مانع عندي ولا عند أحد آخر – في ظني – ما دام صالحًا للمكان، وعلينا أن نتمثل الحكمة (المنصب تكليف لا تشريف)، ومن ثَمَّ نُشفق على من ابتلي به ولا نحسده عليه.

(٩) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة (١٨٢٥).

عبدالحليم عويس

(المؤرِّخ والمفكر الإسلامي)

الترجمة:

من قرى محافظة الغربية بمصر، حاصل على درجة الدكتوراه من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، وعمل أستاذًا في جامعات إسلامية عديدة، وأمضى في جامعة الإمام بالرياض (١٧) عامًا، وحضر أكثر من (١٠٠) مؤتمر عالمي، وكان خبيرًا بمجمع فقهاء الشريعة بأمريكا، ونائب رئيس رابطة الأدب الإسلامي بالقاهرة، ورأس تحرير مجلة (التبيان) التابعة للجمعية الشرعية، وأنجز موسوعات علمية كبيرة، منها موسوعة في الفقه الإسلامي، وتفسير للقرآن الكريم للناشئين، وله مئات المقالات والبحوث المنشورة، وعشرات المؤلفات المطبوعة، منها: دراسة لسقوط (٣٠) دولة إسلامية، والغارة المعاصرة على المسلمين. توفي يوم الجمعة ١٤ محرم ١٤٣٣هـ، ١١ ديسمبر ٢٠١١م.

هذا اللقاء:

أجرى هذا الحوار معه الأستاذ جمال سالم، ونشر في مجلة (البيان) الصادرة في الرياض، العدد (٢٨٨) بتاريخ شعبان ١٤٣٢هـ، ص٣٤- ٣٩، وذكر لي أنه آخر لقاء معه.

البيان: يعتقد كثير من أعداء أمتنا أننا يجب أن نحارب الناس حتى نرغمهم على عقيدتنا؛ بمعنى آخر هو ادِّعاؤهم استخدام السيف لدعوة البشر للدخول في دين الله؟

د. عبدالحليم: هذا الادِّعاء كاذب، وخير شاهد على ذلك هو التاريخ نفسه؛ حيث توجد أقليات غير إسلامية عاشت ولا تزال تعيش أطيب حياة في كل البلاد الإسلامية، ومع ذلك لم يسجل التاريخ حالة غصب واحدة لغير مسلم لإجباره على الدخول في الإسلام، إلا حالات فردية قام بها بعض الجهلاء ويرفضها الإسلام؛ بل إنك ترى أن الإرهاب العقدي يأتي من داخل الكنيسة نفسها، وما حدثُ وفاء قسطنطين وكاميليا شحاته في مصر عنا ببعيد.

وأيضًا شهد التاريخ أنَّ التسامح كان صيغة أصيلة في كل سلوكنا وأحوالنا مع أهل الذمة قبل أهل الملة، وها هو قول ربنا – تعالى –: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [سورة النحل: ١٢٥]، ويقول أيضًا: {كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ} [سورة الأنعام: ١٠٨]، وثمة عشرات الآيات التي تبين وتبرهن على الطبيعة السمحة للمنهج الإسلامي في التعامل مع العقائد الأخرى؛ فإن ما بيننا وبين العقائد الأخرى في الأرض قديمًا وحديثًا، إنما هو تعايش مسالم من جانبنا.

البيان: شهدت العصور الحديثة خللاً في موازين القوى في العالم، وللأسف احتل المسلمون مكانة متأخرة فيها، فما أسباب ذلك من وجهة نظركم؟

د. عبدالحليم: من أهم أسباب ما ذكرت: أن أهمل المسلمون الأخذ بأسباب القوة المادية والفكرية، والركون إلى الدعة والسكون، والاعتماد الخاطئ على المفاهيم المغلوطة في حق دينهم؛ فأصبح الزهد تواكلاً، وأصبح القرآن لا يجاوز حناجرهم، وأخذوا ببعضه وتركوا بعضه الآخر، وانفصلوا حضاريًا عن عصور تألُّقهم ومجدهم، فتُسأل: هل يركنون إلى العقل أم إلى الوحي؟ وكأن العقل والوحي ضدان لا يجتمعان، وتفشت أمراض كثيرة حول هذا الموضوع

ومن هذا القبيل. فوجئ المسلمون في القرن الثامن عشر بأنهم في آخر السُّلم الحضاري، وبأن عصر السيف والرمح قد ولَّى، وحل مكانه عصر المدفع والقنبلة والذَّرة.

البيان: وما النتائج المترتبة على ذلك؟

د. عبدالحليم: أخذ المسلمون موقع المدافع، بعد أن كانوا قادة الأرض؛ يُنصَرون بالرعب مسيرة شهر في شخص نبيِّهم صلى الله عليه وسلم، فأجهز عليهم عدوُّهم بكل ثقله، مُستخدمًا كلَّ الوسائل غير الشريفة، وأفاق المسلمون على أخطاء داهمة: من تنصير لا يحاور بالحجة؛ وإنما بالمدفع الاستعماري، ومن يهودية تتعاون مع التنصير في هذا الغزو، وتقتسم معه الأسلاب والمغانم، ومن شيوعية جدلية لا تقلُّ عنهما خبثًا ولا سفكًا لدماء المسلمين، وتهجمًا على عقائدهم، ومن وثنيات وفوضويات تحاول بدورها أن تغزو التراث الإسلامي بكل الصور والأشكال.

البيان: تؤكدون أنه منذ ظهور الإسلام، فقد أخذ موقفًا مشرفًا من النصرانية، لم يشترك فيه دين غيره؛ فهلاَّ وضحت لنا أكثر؟

د. عبدالحليم: هذه بديهية من بديهيات التاريخ لا تحتاج إلى كثير من الأدلة، وحسبنا أن نستشهد في هذا المجال بالكلمة التي ألقاها «أنريكي تراتكون» (مطران مدريد، ورئيس أساقفة إسبانيا) في مناسبة افتتاح ندوة للحوار الإسلامي والمسيحي بمدريد، حيث قال: إن علينا نحن المسيحيين أن نعترف بالانشراح الذي نشعر به إزاء المكانة التي يحتلها عيسى وأمه مريم – عليهما السلام – في الإسلام؛ فهناك كثير من النصوص القرآنية التي تسمي عيسى مسيحًا ورسول الله وكلمته: {إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ} [سورة النساء: ١٧١]، وتؤكد بكارة مريم وقداستها: {مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ} [سورة المائدة: ٧٥]، وتوصي بمعاملة المسيحيين معاملة أخوية محترمة، وإنه لمن العدل الاعتراف بأن الإسلام هو بلا ريب الدين الوحيد غير المسيحي الذي يعظم المسيح تعظيمًا كبيرًا.

ولعل أنريكي لا يدري أن هذا جزء أساسي من ديننا نؤمن به: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ} [سورة البقرة: ٢٨٥]، ونعتبر أي

مساس بشخص عيسى وأمه – عليهما السلام – إنما هو كفر بالله والإسلام مثل الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم، وسارت شعوبنا الإسلامية في هذا الجانب نظيفة مطيعة لربها، ملتزمة بتعاليم دينها وإسلامها.

مقارنة بيننا وبينهم

البيان: إذا عقدنا مقارنة بين حال الأقليات غير الإسلامية في الدول الإسلامية، وأقلياتنا الإسلامية في الدول غير الإسلامية، فكيف ستكون النتيجة في رأيكم؟

د. عبدالحليم: لقد عاشت الأقليات المسيحية في المجتمعات الإسلامية على نحو أرقى بكثير من حياة الأقليات المسلمة التي كثيرًا ما تُضطَّهد بأبشع صور الاضطهاد؛ فعُقدَت لها محاكم تفتيش في المجتمعات المسيحية، بل إنه لا وجه للمقارنة أصلاً، وهي الصورة نفسها بين تعاملنا مع شخص نبي الله عيسى – عليه السلام – وبين معاملتهم لشخص نبينا صلى الله عليه وسلم؛ فالمسيح في ديننا لا نحتاج إلى الكلام فيه، فالكل يعلم مكانته في ديننا وقلوبنا. أما هم، فقد أساء المستشرقون بصورة متعمَّدة، والغريب أن هؤلاء من رجال الكنيسة، ولقد ذكروا مغالطاتهم العلمية والفكرية والمعلوماتية عن الحبيب صلى الله عليه وسلم، وهي التي روجوا لها وخدعوا بها الإنسان الأوروبي قرونًا طويلة.

البيان: قد يقول قائل: هذا كان في العصور السابقة؛ فماذا عن الوضع في العصر الحديث؟

د. عبدالحليم: في العصر الحديث، ومع انحسار دور الكنيسة الروحي في المجتمعات الأوروبية والأمريكية، وانهزامها التام في روسيا والصين ودول الكتل الشرقية التي كانت المسيحية هي السائدة فيها، مع أن الكنيسة قد غُلبَت على أمرها في مواقعها الحيوية والأساسية، فإنها ما زالت متشبثة بالحروب الدائمة ضد الإسلام؛ سواء في مجال الفكر أو الحركة، وهي في ذلك تضع أيديها في أيدي الاستعمار الحديث، ولعلها صورت له أنها هي الستار الواقي لمنع الزحف الإسلامي الذي من شأنه أن يحول دون تحقيق الأطماع الاستعمارية في إفريقيا وآسيا، والذي يمكن كما تتصور الكنيسة أن يهدد أوروبا وأمريكا.

المسيحية الصهيونية

البيان: وماذا عن المسيحية الصهيونية ومعاداتها للإسلام؟

د. عبدالحليم: تواطؤ الكنيسة مع الصهيونية ضد الإسلام في أمريكا وأوروبا وإفريقيا وآسيا لا يحتاج إلى برهان، برغم أن اليهود هم أكثر من أساؤوا إلى المسيحية، وإلى المسيح، عليه السلام؛ لكنها السياسة – يا صاحبي – هي التي تجعل أصحابها ينسون تحت ظلالها بعض أساسيات الدين؛ وصولاً للمصلحة المرجوة من وراء تلك التحالفات الشيطانية.

ثم تطورت الأمور بين المسيحية والإسلام إلى ما هو أكثر من الحروب العابرة، والاتفاقات مع أعداء الإسلام وأعداء الأديان كلها ضد الإسلام، فتطورت الأمور إلى ما هو أكثر من ذلك، فأعلنت الكنيسة في العصر الحديث حربًا عالمية شاملة على الإسلام راغبة في التخلص منه إلى الأبد (كما يخيل لها).

البيان: ما هي الأسباب التي تلجأ إليها الكنيسة في حربها على الإسلام رغم زعمها أنها تتحاور معه؟

د. عبدالحليم: تلجأ الكنيسة في حربها مع الإسلام إلى الأسلوب السياسي (والميكيافيللي) المعروف؛ فهي تستغل كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة ضد الإسلام، كما أنها أيضًا مُستعدة أن تتعاون حتى مع الشيطان ضد الإسلام.

ومع أننا نرى «إعلانات بابوية» متكررة عن ضرورة الحوار بين المسيحية والإسلام، إلا أننا لم نر – ولو لحظة – هدنة واحدة في حرب الكنيسة العالمية ضد الإسلام؛ حتى باتت ضرباتها الآن في قلب العالم الإسلامي ورمز الإشعاع الروحي للمسلمين، فترى أن مخالب الغزو التطويقي الذي دخل القرن الإفريقي، كالصومال وجنوب السودان الذي اشتراه التنصير الفاتيكاني في صفقة من أغرب الصفقات في التاريخ، كما أن أكثر الخطوط تعرضًا الآن لهذا الدمار الكنسي هو خط الفلبين وتايلاند وإندونيسيا في آسيا، وخط نيجيريا ومصر في إفريقيا.

التفسير التاريخي

البيان: هل ثمة تفسير تاريخي لتلك الحملات التنصيرية في قلب عالمنا الإسلامي؟

د. عبدالحليم: بالتأكيد! لقد كان ارتداد فلول الصليبيين منهزمة أمام جيوش المسلمين في الحروب الصليبية باعثًا على التفكير في وسيلة أخرى للقضاء على المسلمين؛ ما دام الصدام المباشر والمسلح لم يفلح في الإجهاز على هذه الأمة؛ بل كان في أكثر الأحايين باعثًا على وحدتها وإظهار معدنها الأصيل.

ولقد عُقدت مؤتمرات عدة، ودار جدل جديد حول الأسلوب الجديد الذي يَصلُح اتباعُه للقضاء على الغارة الإسلامية والعالم الإسلامي... ثم تمخضت هذه المؤتمرات وهذا الجدل عن الإيمان بمعادلة بسيطة واضحة:

«إذا كان هدف الغرب هو القضاء على المسلمين، فلابد من القضاء على الإسلام ذاته، وقوته السياسية والمعنوية؛ فالإسلام هو الطاقة المحرِّكة للعالم الإسلامي، وبضربه لن تبقى لهم قوة ولا مَنَعَة، وسيتكون وقتها فراغ يمكن ملؤه بأي طاقات أخرى: كالمسيحية أو الشيوعية».

وكانت هذه المعادلة هي المنهج الذي سار عليه الغرب منذ هزيمة وارتداد الجيوش الصليبية وحتى اليوم، ولم يكن تصادمه المباشر مع المسلمين في القرنين التاسع عشر والعشرين إلا مرحلة تأكيدية للقضاء على الإسلام، وعلى قوَّته السياسية والمعنوية، على أنه في نفس مرحلة الاستعمار العسكري هذه كان يستغل انتصاراته التي كان يطوق بها العالم الإسلامي من أطرافه، فيتبعها فورًا بمخطط تنصيري يقضي به على ما يكون قد بقي لدى المسلمين من طاقة إسلامية محرِّكة.

أريد أن أقول: إن إستراتيجية الغرب قد تبلورت فلم تَعُد هجومًا مباشرًا على المسلمين؛ لأن المسلمين حتى في الحروب التي هُزِموا فيها عسكريًا على يد الإستعمار، كانوا يعودون بالإسلام أقوياء من جديد.

ويجب إعلام الجميع أن الميزانيات المخصصة للحملات التنصيرية تفوق ميزانية دول النفط

مجتمعة؛ فعن آخر الإحصائيات الخاصة بالتنصير، وكما ورد عن مصادر كنسية موثقة، أن هناك ارتفاعًا شديدًا ومكثفًا في أعداد المؤسسات والهيئات التنصيرية العاملة في العالم الإسلامي، وأن عدد مؤسسات التنصير في العالم بلغ حوالي ربع مليون مؤسسة تنصيرية، تمتلك أكثر من مائة مليون جهاز كمبيوتر، وأكثر من ٣٥ شبكة إلكترونية موزعة على الكنائس الكبرى، وتصدر مئات الآلاف من الكتب والصحف والمجلات المطبوعة والإلكترونية بأكثر من ١٥٠ لغة، وكلها تخدم التنصير، وهناك ٥٠٠ قناة فضائية وأرضية جديدة، كما أن هناك حوالي ١٠٠ ألف مركز ومعهد يتولى تدريب وتأهيل المنصِّرين على مستوى العالم الإسلامي.

نماذج صارخة

البيان: هلاَّ أوردنا للقارئ الكريم نموذجًا من نماذج التنصير والتبشير الصارخة في العالم الإسلامي؛ ليقف على حجم الخطر الحقيقي المحدق بالأمة والإسلام؟

د. عبدالحليم: نكتفي بنقل تقرير سري أصدرته إرساليات التنصير البروتستانتي في جنوب شرق آسيا، ذكرت فيه ما نصه: «إن ما ينفق على التنصير سنويًا في إندونيسيا يزيد عن ٣٥٠ مليون دولار، منها ٥٠ مليون دولار لأعمال التنصير الإعلامية وحدَها».

كما تُقدِّم هيئة المعونات الكاثوليكية ستة ملايين دولار سنويًا إلى حكومة إندونيسيا لمساعدة قطاع الإنماء القروي. وتقوم إحدى الهيئات التنصيرية الأجنبية في إندونيسيا بتقديم المعونات الغذائية إلى ٣٢٠ ألف شخص من مختلف أنحاء إندونيسيا، ينتمون إلى مختلف دور الأيتام والمؤسسات الصحية وملاجئ العجزة بجاكرتا. كما تقوم هيئة تبشيرية بروتستانتية بتقديم المعونات الغذائية إلى ٣١ ألف شخص في مختلف أنحاء إندونيسيا، كما أنها تقوم بتقديم معونات طارئة عند الحاجة، بالإضافة إلى مئات المشروعات القروية للإنماء؛ لترقية مستوى إنتاج المواد الغذائية جدًا؛ فلماذا كل هذا في نظرك؟

أما المؤسسة التنصيرية العاملة في أيريان الغربية، فهي تمتلك ٧١ طائرة، فضلاً عن شبكة اتصالات لاسلكية من أعلى الشبكات تقدُّمًا في العالم؛ كما تمتلك خمسة مطارات، وتقف

هذه المؤسسة بكل كياناتها وإمكانياتها وراء الحركة الانفصالية، التي تستهدف فصل أيريان الغربية عن إندونيسيا، وإقامة دولة نصرانية مستقلة عن إندونيسيا المسلمة.

وفي قطاع الشؤون التعليمية تقوم مؤسسة «مونتفورت فاذر» ببناء المدارس العامة، والمدارس المهنية، ومدارس التمريض، والعيادات، والصيدليات، في كل من سنتاخ وبينومارتينوس وبوتوس سيبا وسيغرام وبنغهابينا وبيكا وسراواي.

وفي قطاع ملاجئ الأيتام تقوم المؤسسات التبشيرية الكبرى بتقديم المساعدات الغذائية والملابس لمئات ملاجئ الأيتام هناك، كما تقوم بتقديم البرامج والمساعدات التقنية، وتقديم المواد الغذائية والملابس والأدوية لمنكوبي الكوارث الطبيعية واللاجئين والفقراء في مناطق إستراتيجية للتنصير.

أما في ميدان النشر والشؤون التعليمية، فتقوم مؤسسة تنصيرية متخصصة – مركزها جاكرتا ولها فروع أخرى – بنشر كثير من الكتب سنويًا، في مختلف الموضوعات الثقافية والفلسفية والدينية.

كما تقوم المؤسسة بتسهيل تعليم الشؤون الفنية الخاصة بنشر الكتب الدينية، ويمتلك المنصرون مطابع متخصصة في طبع الأناجيل وبيعها بأقل سعر أو مجانًا، وفي قطاع المكتبات تتصدر عمارة دار النشر المسيحية بجاكرتا مكتبات دور النشر التنصيرية.

وفي ميدان الصحافة يملك التنصير صحيفتي كومبارس وأسينارهابان اللتين تطبعان يوميًا زهاء ٢٠٠ ألف نسخة، هذا فضلاً عن مُلكِية التنصير في سومطرا لمستشفيات ومطابع على مساحة تقدَّر – تقريبًا – بأربعة آلاف هكتار، وأسطولاً من السفن، وطائرات، وزوارق سريعة جدًا، وسيارات ودراجات بخارية، وغير ذلك مما قد يحتاجونه في تضليل المسلمين وجذبهم إلى النصرانية، وخاصة في ظل صمت وغياب من الدول الإسلامية.

الوجود الإسرائيلي في إفريقيا

البيان: ما هي الأهداف السياسية للوجود الإسرائيلي في إفريقيا؟

د. عبدالحليم: تسعى إسرائيل لتحقيق كثير من الأهداف الإستراتيجية التي يمكن إيجازها في النقاط التالية:

أولاً: السعي لتحقيق متطلبات الأمن الإسرائيلي في جوهره: فلقد رأى الإسرائيليون بزعمهم أن خطر الاعتداء يحيط بهم ويحاك ضدهم من جراء إحاطة العرب لهم؛ وأنهم في «جيتو» على شكل دولة؛ ولهذا عملوا على خرق الجيتو، بالضغط نحو الطريق خارج حدود الجيتو المزعوم، والالتفات نحو العرب باعتبارهم عناصر هذا الحصار، وكان ذلك يعني النزوع إلى توزيع ما أطلقوا عليه «المجال الإستراتيجي الحيوي». وتُعَدُّ إفريقيا دائمًا هي أهم أقطاب هذا المجال الإستراتيجي الحيوي. وتم ترجمتها في استراتيجية تعزيز الوجود الإسرائيلي في إفريقيا؛ لأن إسرائيل تسعى دائمًا إلى ما يسمى «بالأمن المطلَق»، والذي يعني في المقابل «انعدام الأمن» بالنسبة للدول العربية، وما يرتبط بذلك من ضرورة التحكم في المنطقة، من خلال مجموعة من الآليات، من أهمها: خلق علاقات ودية مع الدول الإفريقية، والوجود العسكري في بعض المناطق. ومن هنا كانت المحاولات الإسرائيلية للحيلولة دون أن يصبح البحر الأحمر بحيرة عربية، وضمان هجرة اليهود الأفارقة إلى إسرائيل.

ثانيًا: كسر حدّ العزلة الدولية التي فرضتها عليها الدول العربية، ومحاولة كسب قواعد للتأييد والمساندة، وإضفاء نوع من الشرعية السياسية عليها في الساحة الدولية. وفي هذا الإطار نظرت إسرائيل إلى الساحة الإفريقية باعتبارها ساحة للنزال بينها وبين العرب.

ثالثًا: كسب تأييد الدول الإفريقية من أجل تسوية الصراع العربي الإسرائيلي وَفْق الرؤية الإسرائيلية، باعتبار أن الدول الإفريقية بعيدة عن أي انحياز سابق لأي من الطرفين، وهو ما يجعلها وسيطًا مقبولاً لدى إسرائيل.

رابعًا: العمل على تحقيق أهداف أيديولوجية توراتية خاصة بتقديم إسرائيل على أنها دولة نموذجية لشعب الله المختار، ويفسر ذلك أن إسرائيل اعتمدت دائمًا على تقديم المساعدات التقنية والتنموية للدول الإفريقية، حتى في حالة عدم وجود علاقات دبلوماسية معها. ويعد مركز التعاون الدولي في وزارة الخارجية «الموشاف» الذي يرأسه نائب وزير الخارجية، هو الجهاز المسؤول عن تصميم وتنفيذ سياسات التعاون مع الدول الإفريقية، وكان «الموشاف»

من وسائل الاتصال السياسية مع كبار المسؤولين في الدول الإفريقية، وعلى الرغم من قطع العلاقات الدبلوماسية كما حدث مع كينيا وزامبيا وتنزانيا وأثيوبيا؛ حيث كانت العلاقات الاقتصادية والفنية أكثر قوة من العلاقات السياسية.

التصدي للتنصير

البيان: كيف نتصدى لهذه الحملات التنصيرية الكثيرة على طول العالم الإسلامي؟

د. عبدالحليم: لابد أن تكون لدينا صحوة ويقظة إلى تلك الحملات التنصيرية المنظمة على جميع أنحاء العالم الإسلامي، التي لا يقلُّ خطرها وشراستها عن الحملات الصليبية العسكرية؛ ولكنها تستتر في ثوبها الجديد، وتتقلد أسلحة جديدة، ألا وهي محاولة التشكيك في التراث الإسلامي وقيمه، وتفريغه من محتوياته الإنسانية والحضارية، كما أنها تحاول الطعن في رموز التيار الإسلامي والعربي، والغمز في رجالاته، من خلال مواقف وسقطات بسيطة جدُّوا في تضخيمها وتهويلها، وهو ما يريحهم ويشرح صدورهم ويحقق مآربهم.

وللأسف فإنك تجد أن في بلادنا الإسلامية من يساعدهم في تحقيق أهدافهم؛ فتجد من يريد منع جمع الزكاة، وإيقاف العمل الخيري التطوعي، وإيهام المسلمين أن مالهم يذهب في غير محله إلى الإرهاب وقتل الناس، وتجد فضائيات عربية – وللأسف إسلامية – ترهب الناس من الإنفاق في سبيل الله؛ على الرغم من [أن] جميع ميزانيات كل الجمعيات الخيرية في دولة كمصر – مثلاً – لا تصل إلى ميزانية أقلِّ مؤسسة تنصيرية غربية.

المطلوب:

* إيجاد دعاة ملتزمين بتعاليم الدين الإسلامي، فاهمين ومطبقين لما جاء في القرآن، وعلى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ونهجه سائرون.

* ضرورة دراسة معرفة القبيلة والبيئة التي سيدعو الناس فيها، ومعرفة الأمثال الواردة في القرآن والسُّنة عن الدعوة، واستغلالها بأحسن صورها، لجذب المسلمين وإعادتهم إلى دين ربهم

الحنيف.

* محاولة التغلُّب على العقبات التي تقابلنا في الدعوة؛ خاصة مع الأوروبيين.

* ضرورة التعامل الذكي والحذر في الرد على الشبهات التي يطلقها الأعداء ضد الإسلام كـ (المرأة، والرق، وعدم المساواة، وإكراه الناس في دخول الإسلام، وربط الإرهاب بالإسلام، والتخلف والرجعية، والبعد عن التحضر والتمدن، وإقصاء الآخر)، وغيرها من الشبهات التي تجدها موجودة في أعدائنا، ويربطوها بنا ظلمًا وجورًا وعدوانًا.

* الثقافة الأوروبية ثقافة استعلاء، والمسيحية دين الطبقة العليا، والدين لا يعرفه إلا القساوسة، فعلينا أن نوجد جيلاً يستطيع التعامل مع مثل هؤلاء، في مثل هذه الظروف.

* تقديم الخدمات التعليمية والصحية والغذائية والمياه للفقراء والمحتاجين؛ على الأقل في بلاد الإسلام؛ لنقطع الطريق على المبشرين والمنصرين والإرساليات التبشيرية.

يجب أن تقودَنا الفطرة السليمة المشبعة بالروح الإسلامية لدعوة الذين يتقبلون الرسالة، ولا نتوقف على إفهام المسلمين دينهم فحسب.

ضرورة تفهم ثقافات ونظام الآخرين، والرفق في دعوتهم، وتحويلهم خطوة خطوة ليفهموا الثقافة الإسلامية، وضرورة التأثير عليهم من داخل أُطُرِهم الثقافية.

الفهرس

مقدمة ٢

مصطفى صادق الرافعي: الأديب الإسلامي النابغة ٤

محب الدين الخطيب: الكاتب الإسلامي الكبير ٨

سعيد حوَّى: العالم الداعية ٢١

سعد ظلام: الأديب والناقد الإسلامي ٣١

جمال منصور: القائد السياسي المجاهد ٣٧

حسين عرب: أول وزير للحج ٤٨

محمد حسن بريغش: أديب إسلامي ريادي ٥٧

إسماعيل أبو شنب: السياسي والمجاهد ٦٤

محمد مأمون الهضيبي: الداعية المستشار ٧٧

عبدالقادر الأرناؤوط: العالم المحقِّق ٨٩

حسين مجيب المصري: عميد الأدب الإسلامي المقارن ١١٤

أحمد ديدات: مناظر العصر ١٢٧

مصطفى العقاد: المخرج العالمي ١٣٣

عبدالله المطوع: الداعية المصلح ١٤٠

صفي الرحمن المباركفوري: العالم والباحث السلفي ١٤٩

محمد عمرو عبداللطيف: من علماء الحديث ١٥٥

عبدالحميد طهماز: العالم الداعية ١٦٤

عبدالصبور شاهين: العالم اللغوي الداعية ١٧٤

علي جريشة: الداعية الشجاع ١٨١

عبدالحليم عويس: المؤرّخ والمفكر الإسلامي ١٨٦
الفهرس ١٩٧